رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت
ص. ب ٤١٢٣ – تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH . LIBAN B. P. 4123
Tél . 32832

العدد الحادي عشر
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦
السنة الرابعة

No. 11. Octobre 1956
4 ème Année

مؤتمرنا الأدبي

مهما قيل في مؤتمر الادباء العرب الذي عقد في الشهر الماضي بدمشق ، وأياً كانت الانتقادات التي وجهت اليه ، معدّدةً وجوه النقص التي اعترته ، فانه يظل حدثاً ادبياً ذا وزن كبير في الفكر العربي المعاصر .

ذلك ان هذا المؤتمر خرج عن ان يكون اجتماع ادباء ، وتداول شؤون ، واتخاذ توصيات ، الى ان يصبح دليلا قاطعاً على ان الاديب العربي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بواقع القضية التي تعيشها أمته الآن ، وان هذا الارتباط قائم على الوعي والاختيار ، لا على القسر والإلزام ، لأنه صادر عن احساس صادق بالمسؤولية والتبعة .

لقد كان يخيم على المؤتمر ، وعلى كل عضو فيه ، ايساً كان اتجاهه ونزعته ، الجو الذي تعيش فيه الأمة العربية في مختلف اجزاء الوطن ، ذلك الجو الذي يضطرم فيه شعور المعركة من أجل البقاء ، في عالم يحاول ان يخنق إحساس اليقظة ويعطل وثبة النهضة العربية التي تخرج الى الدنيا قوةً جديدة فتية ذات شأن بالغ في الحضارة الحديثة .

كان كل اديب ، ممن اشترك في المؤتمر اولم يشترك فيه ، يشعر شعوراً تلقائياً صادقاً أنه مدعو الى ان يجند موهبته وطاقته الابداعية لصالح القضية التي تتوقف على انتصارها كرامته البشرية ، ومن ثم قيمته الأدبية .

وبوحي من هذه الحقيقة وهذا الواقع ، اصدر مؤتمر الادباء العرب نداءه وتوصياته.

اما النداء ، فكان موجهاً الى ضمير المفكرين الأحرار ، في كل انحاء الدنيا ، ليشعرهم بان انتصار القضية العربية هو جزء من انتصار القيم التي يعيشون من أجلها ويدافعون دونها ، وأن واجبهم في ذلك هو أن يقفوا إلى جانب الأدباء العرب في نضالهم العادل في فلسطين ومصر والجزائر وكل أرض عربية مهددة .

وأما التوصيات ، فقد أكدت « مهمة الأديب العربي في إذكاء الروح القومية وحماية التراث العربي وإنشاء مجتمع واحد يحقق للعربي وجوده الصحيح ويجعل منه أهلا لكل تضحية في سبيل وحدة أمته وحريتها وعزتها وكرامتها » كما تؤكد مهمته في « نصرة القيم الإنسانية التي يقوم عليها تاريخه ، ويتميز بها تراثه ، والتي تصله بالحضارة الإنسانية . »

تلك كانت وجهة المؤتمر ، وهي الوجهة التي لم يكن له مفر من أن يسلكها ، ما دام المؤتمرون مواطنين في هذه الأرض التي يعيشون عليها . وإن كونهم مواطنين ممتازين في وعيهم ، لأمر يعزز ارتباطهم ويشدهم شداً إلى هذه الأرض ، وليس هو أمراً يبعدهم عنها كما يزعم بعض ذوي الأحلام .

لقد كان مؤتمرنا الأدبي مؤتمر الوعي الصادق .

الآداب

قضية اللغة العربية

عالج المؤتمر الاول للمجامع اللغوية العلمية العربية الذي انعقد في الشهر الماضي بالعاصمة السورية قضية اللغة العربية معالجة مستفيضة عميقة فكان في ذلك كأنه يتمم عمل مؤتمر الادباء العرب الذي سبقه بايام . ويهم «الآداب» ان تنشر في عدد من صفحاتها الاولى أهم محاضرات هذا المؤتمر . وبوسع القارىء ان يجد هذا العدد متمماً للعدد الماضي من المجلة ، كما كان هذا المؤتمر متمماً لذاك .

قضية اللغة العربية -١-

يسّروا النحو والكتابة

بقلم الدكتور طه حسين

سيداتي وسادتي

اريد ان اتحدث اليكم في موضوع عسى ان يكون ثقيلا ، واعتذر اليكم من ثقله، فالحق ثقيل دائماً ، لا يخف الا على أولى العزم من الناس ، والعهد بكم انكم من اولى العزم، لأنكم من العرب الذين يؤثرون الجد على الهزل ، ويفضلون الصراحة على المدارة والمداربة وبيني وبين الذين سينكرون ما اقول ، ما قاله ابو العلاء :

خذي رأيي وحسبك ذاك مني
على ما فيّ من عوج وامت
وماذا يبتغي الجلساء مني
ارادوا منطقي واردت صمتي
ويوجد بيننا امد قصيّ
فأموا سمتهم وأممت سمتي

والموضوع ثقيل لانه يتصل باللغة العربية الفصحى ، وبتعليم الشعب، فما اكثر ما نتحدث عن هذه اللغة العربية الفصحى ، وما اكثر ما نعلن اعتزازنا بها ، واعتدادنا بتراثها وحرصنا عليها وعلى تراثها العظيم. ويقيننا انها هي اساس وحدتنا وهي العروة التي تجمع الشعوب العربية على اختلاف وتباعد اوطانها ، والعروة التي لا انفصام لها . نتحدث عن هذا فنكثر الحديث ، ونقول في هذا فنطيل القول ، ونملأ به افواهنا ، وتطمئن اليه قلوبنا، وتثور له نفوسنا . واذا نحن نفيض ايماناً وثقة واملا ويقيناً ، فاذا فرغنا من هذا كله ، وثبنا الى نفوسنا او ثابت نفوسنا الينا ، وهدأت عنا الحماسة ، اكتفينا بما قلنا ، وبما سمعنا ، وبما صفقنا وبما صحنا ، ثم لم نكد نصنع شيئاً .

ولست انكر ان علماء اللغة في البلاد العربية على اختلافها يبذلون جهوداً عنيفة ، وينفقون من اوقاتهم ومن نشاطهم اكثر مما يطيقون لحماية اللغة وصيانتها ، وحراستها والمحافظة عليها من كل عبث او كل شر يمكن ان يصيبها ، ولكن السؤال الخطير الذي القيه الآن ، واريد ان يلقيه كل واحد من حضراتكم عن ثقة : لمن نحفظ هذه اللغة ولمن نصونها ، ولمن نريد ان نخلدها ؟ ولمن ننفق كل ما ننفق من جهد ووقت ومال في سبيل هذا كله ؟ انفعل هذا كله لانفسنا لنستأثر بالعلم ، وليقال اننا علماء ، حفاظ ، نتصرف في اللغة العربية بعد ان طوعناها بقدرتنا ، ونستطيع ان نصرفها كما نحب ونهوى ؟ أم نحن نفعل ذلك لتكون هذه اللغة ملكاً للشعوب كلها ، لا لطبقة معينة منها هي طبقة العلماء الائمة ، الحفاظ ، ولكن لجميع طبقات الشعوب العربية، الطبقات الممتازة او الراقية ، والطبقات الوسطى والطبقات الفقيرة ،

وهذا السؤال هو الذي اريد ان ادير الحديث حوله

اما ان فينا علماء ، فهذا ليس فيه شك ويكفي ان اكون في دمشق وان القى الاعلام من اعضاء المجمع العلمي في دمشق، وان القى هذه الطائفة الممتازة من المثقفين الشاميين لاقنع بان اللغة العربية حية قوية ، وان لها حفاظاً ، وان لها انصاراً يذودون عنها ويحمونها ، يذودون عنها الشر ، والعبث والفساد ، وما اشك ان في البلاد العربية الاخرى شيئاً يشبه ما في الشام كثيراً او قليلا ، ولكن الشيء الذي لاشك فيه هو ان هذه اللغة العربية التي يبذل في سبيلها كل هذه الوقت ، هذه اللغة لم تصل بعد الى الشعوب ، او لا يكاد يصل منها الى الشعوب الا اصداء لا تغني عنها شيئاً .

وليس ادل على هذا من اننا اذا استقصينا امر اللغة العربية في الاقطار العربية الاخرى ، فسنرى ان اكثر الذين يقرأون ويكتبون لا يستطيعون ان يقيموا السنتهم بهذه اللغة الفصحى ، وسنرى شراً من هذا : سنرى كثيراً من الشباب في غير قطر

عدد « المسرح » الممتاز

في منتصف تشرين الأول الماضي (اكتوبر) انتهت المدة الممنوحة للاشتراك في مسابقة « المسرحية » التي اعلنت عنها « الآداب » في اعدادها السابقة . وقد تلقت المجلة عدداً قليلاً من المسرحيات تدرسها الآن لجنة المسرحية التي تألفت للنظر في هذه المسابقة

وستعلن النتائج في عدد المسرح الممتاز الذي يصدر في اواخر كانون الاول (ديسمبر) القادم ، كما ستنشر فيه المسرحيات الفائزة . وسيكون هذا العدد حافلا بالدراسات والبحوث والمسرحيات ، بحيث يعتبر وثيقة هامة عن المسرح الحديث في البلاد العربية وفي الغرب .

من الاقطار العربية يفكرون ويعلنون ان هذه اللغة اصبحت عاجزة عن ان تساير الحياة الحديثة ، ويفكرون ويعلنون ان هذه اللغة اصبحت عاجزة عن ان تعرب عن ذات النفوس في هذا العصر الحديث، ويفكرون ويعلنون ان هذه اللغة اصبحت لا تصلح لتكون لغة الكتابة ، ولغة الادب في بعض البيئات ، وما اكثر الذين اخذوا ينحرفون عن هذه اللغة الى اللغة العامية التي يتحدثها الناس في الشوارع ، وفي القرى ، وفي اعماق الريف ، يكتبون بهذه اللغة ، ويرون الكتابة بها ايسر من الكتابة بهذه اللغة العامية واطوع لهم ، واقدر على تصوير عواطفهم ، واهوائهم وميولهم وما يجول في رؤوسهم من الخواطر والمعاني من اللغة العربية الفصحى .

وهم يعللون ذلك باسباب كثيرة اهمها انهم لا يستطيعون ان يتعلموا اللغة العربية لانها عسيرة ، ولانها مملة ، ولأن التلميذ اذا ذهب الى المدرسة واستمع الى دروس الاستاذ في اللغة العربية . في النحو او في الصرف او في البيان لم يستفد من استاذه الا شيئاً واحداً وهو النفور من الاستاذ والنفور من اللغة العربية ، والانصراف الى اي شيء آخر يلهيه ويريحه من هذا العناء الثقيل . ولا تظنوا انني ابالغ ، او اتكثر ، فهذه حقيقة واقعة لا ينكرها الا المكابرون ، ولا تقولوا ان المدارس قد اخرجت طائفة من الكتاب والادباء الممتازين ، فهؤلاء هم الشذوذ الذي يثبت القاعدة او الاستثناء الذي يحقق القاعدة كما يقال ، ولكن التلاميذ في المدارس ، لا يبغضون شيئاً كما يبغضون دروس اللغة العربية ، وهم مع ذلك اذا استمعوا لمحاضرة عن اللغة العربية ومجدها القديم وتراثها الخالد العظيم ، ثاروا حماسة وامتلأوا نشاطاً ، وايماناً واعجاباً بهذه اللغة . ولكنهم حين تسقط عنهم الحماسة يعودون الى تذكر الاستاذ وكلامه الثقيل .. الذي كان يمليه عليهم ، او يلقيه عليهم في المدرسة ، وهذه الاسئلة الشاقة التي كان يمتحنهم بها بين حين وحين .

والامر اشد من هذا كله خطورة . فنحن في هذا العصر الحديث الذي نعيش فيه قد آمنا بان التعليم حق للشعب كله ، منذ السن المبكرة ، الى ان يبلغ الفتى او تبلغ الفتاة الرشد ، واذن فنحن لا نبيح التعليم للقلة التي وقفت نفسها على ان تتعلم ، واتاحت لها الحياة ان تفرغ للتعليم ، وان تنفق فيه شيئاً من الجهد والوقت والمال ، وانما نفرض هذا التعليم على الاغنياء والفقراء ، وعلى الاقوياء والضعفاء وعلى القادرين

والعاجزين : نفرض هذا التعليم على الشعب كله ، ونعاقب الذين يقصرون في اداء هذا الواجب ، وهو تعليم انفسهم اولا وتعليم ابنائهم وبنا ذلك . ثم بعد

قوانينا تعاقب الذين يقصرون في تعليم ابنائهم وبناتهم ، ومعنى هذا اننا نفرض التعليم على هذه الملايين الكثيرة التي تتألف منها الاجيال في هذه البلاد العربية .

واذا فرضنا التعليم على كل هذه الملايين فيجب ان نبتغي الى هذا التعليم وسائله الصحيحة التي تنتهي به الينا حقاً ، ويجب أن لا نكلف الكثرة الضخمة التي نعلمها ، هذه الكثرة الضخمة من البنات والبنين ، ما نكلف به القلة التي يتاح لها الوقت والجهد والمال . واذن فلا بد من ان يكون التعليم يسيراً ، ومن ان يكون قريباً ، ومن ان يكون سائغاً ، لا تجد فيه هذه الكثرة مشقة ولا عنتاً ، ولا تحتاج فيه الى هذا العناء الثقيل الذي يفرض على ابنائنا فرضاً .

واخرى ليست اقل من هذه خطورة ، وهي اننا نعيش الآن في القرن العشرين ، اي في العصر الذي تغير فيه التاريخ ، وتغيرت فيه الحضارة المادية تغيراً تاماً ، وتغيرت فيه الثقافة العقلية تغيراً يوشك ان يكون تاماً ايضاً ، وتغير فيه العقل نفسه بحكم ما طرأ على الحضارة والثقافة من تغيير ، وما زلنا نعلم اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا كما كان القدماء يعلمونها في معاهدهم ومدارسهم منذ اكثر من الف عام ، وقد نستطيع ان نطلب الى القلة القليلة جداً ان تحتمل هذا العناء ، وان تتكلف هذا الجهد ، وان تخرج من القرن العشرين او التاسع عشر للميلاد ، لتتعلم النحو ، والصرف ، واللغة كما كان القدماء يتعلمونها . ولكنك لا تستطيع بحال من الاحوال ان تطلب الى هذه الملايين الكثيرة ان تبذل هذا الجهد وتحتمل هذا العناء وتخرج من حياتها التي تحياها بالمشقة ، والكد ، والعناء — لتعود الى حياة اخرى لعلها لا تعرف من امرها شيئاً .

فعند ما تريدون ان تعلموا هؤلاء الاطفال في المدرسة الابتدائية او هؤلاء الشباب في المدارس الثانوية ، عند ما تريدون ان تعلموهم النحو ، تعلمونهم النحو كما كان المبرد واستاذه المازني وتلاميذها المختلفون يعلمون في مساجد البصرة ، وكما كان الكسائي والفراء يعلمان في مساجد الكوفة ، او في مساجد بغداد ، والفرق بعيد بين المدرسة الابتدائية التي ننشئها في اعماق القرى وبين مسجد البصرة ، او مسجد الكوفة او مسجد بغداد ، والفرق هائل جداً بين القرن العشرين وبين القرن الثامن او التاسع حين كان يعيش هؤلاء العلماء .

كان القدماء يعيشون عيشة خاصة ويتأثرون من ناحية بالبداوة العربية الاولى ، ومن ناحية اخرى بالفلسفة اليونانية الطارئة ، ومن ناحية ثالثة بالحضارة الفارسية المادية التي احاطت بهم وشملتهم شمولا . اما نحن فقد صرفنا عن البداوة العربية الاولى ، واغرقتنا الحضارة الحديثة الى آذاننا ، وقد انسينا فلسفة ارسطاطاليس وغيره من قدماء اليونان ، واصبحت هذه الفلسفة لا يعرفها الا الاقلون من امثال الصديق الدكتور منصور فهمي والدكتور جميل صليبا ، واصبحت الحضارة الفارسية شيئاً يعني الفرس حين يدرسون تاريخهم ، أما حضارتنا الآن فهي الحضارة الحديثة ونحن نعنى بحضارتنا القديمة لنستبقي منها ما يصلنا بالقديم حتى لا نفنى شخصيتنا وحتى لا نفقد عروبتنا ، وحتى يظل الاتصال قوياً بيننا وبين ماضينا المجيد ، فاذا اردتم ان تعلموا النحو لهؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريدونهم على ان يفهموا ان قولك — قرئ الكتاب — فعل مبني للمجهول ، والكتاب نائب عن الفاعل لأن الفاعل قد حذف لغرض من الاغراض التي تذكر في علم المعاني ، وعلم النحو ، وانيب عنه المفعول به . فكيف تريد التلميذ المصري او الشامي او العراقي الذي لم تتجاوز سنه الثانية عشرة ان يفهم هذا الكلام ؟ ما هذا الفاعل الذي حذف ؟ وما هذا المفعول الذي انيب عنه ؟ ما هذا المجهول الذي بني له الفعل ؟ وعندما تريد ان تفهمه قول الله تعالى (وان احد من المشركين استجارك ، فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم ابلغه مأمنه) قلت له : — ان احد — في قوله — وان احد من المشركين — فاعل لفعل محذوف تقديره استجارك وان تقدير الآية — وان استجارك احد من المشركين استجارك فيسألك التلميذ واين توجد استجارك الاولى هذه ومن اين نأتي بها ؟ وفي وجود هذا الفعل مرتين ، ولِمَ لا نكتفي بهذا الفعل الذي اكتفى به القرآن الكريم ، كيف تجيبون ؟ . أما أنا فقد سألت احد الشيوخ عن اعراب هذه الاية فأعربها كما تسمعون ، فقلت له يا سيدي : اتريد في كتاب الله ؟

وعلة هذا ان النحاة القدماء قرروا في قواعدهم ان حرف (أن) لا يدخل الا على فعل ، ولما جاء في القرآن وفي كلام العرب (ان) وبعدها اسم لم يخضعوا لما جاء في القرآن ولم

يخضعوا لما جاء في كلام العرب نثراً وشعراً ، وانما ارادوا ان يخضعوا القرآن للقاعدة التي قرروها ، وقد طوعت لهم فلسفتهم هذا النحو من المصرف واستطادوا ان يحتملوه ، واستطاعوا ان ينهضوا باثقاله ، لان عقولهم في تلك الاوقات ، في تلك السنين ، كانت عقولا فلسفية متأثرة (بالميتافيزيك) أو بالميتافيسقة كما يقولون التي تركها ارسطاطاليس ، وورثها العرب ، فكانوا يستطيعون ان يفهموا مثل هذا الكلام ، ولكن شبابنا في هذه الايام يعيش في عصر لا يكاد يحفل بالميتافيزيك وما بعد الطبيعة ، ويعيش في عصر لا يكاد يعرف ارسطاط ليس منه الا المختصون ، فاذا قلت لهم بالفعل ، وحدثتهم عن الفعل المحذوف الذي يفسره ما بعده ، وذكرت لهم هذا الفعل حاروا في امره حيرة بعيدة ، واذا اردتم أن تعلموا التلميذ — فأما ثمود فهديناهم — فأفهمتوه ان ثمود ليست مفعولا لهديناهم . وانما هي مفعول لفعل محذوف تقديره هدينا ، ثم قلتم معنى الآية او تقدير الآية — فأما ثمود فهديناهم — لم يستطع التلميذ الا ان يضحك اولا ، ويسخر ثانياً ، وان ينصرف عن الاستاذ ودرسه بعد ذلك ، والحمد لله على انه لا ينصرف عن الاسلام ولا عن القرآن لان الأسلام اقوى والقرآن اقوى من ان يؤثر فيهما مثل هذا العبث. او اذا قلت لطالب للتلميذ نحن المصريين نفعل كذا ، او نحن السوريين نفعل كذا ، وطلبت اليه ان يفسر هذا او يعربه ، الهمته ان هناك فعلا محذوفاً تقديره اخص نحن اخص السوريين نفعل كذا ما موقع اخص هذه ؟ لا معنى لها مطلقاً الا اننا وجدنا هذه الكلمة منصوبة ووجدنا هذا التعبير يدل على التخصيص ، فقدرنا هذا الفعل . وقدرنا هذا العقل ولنا ان نقدر ما نشاء ، ولكن التلاميذ لهم ايضاً عقول صغيرة ساذجة ، لا ينبغي ان نكلفها مالا تطيق . واذا قلت للتلميذ — اياك والكسل — وطلبت اليه اعراب هذه الكلمة ، اخترعت له فعلا مقدراً لا ادري ، ولا يدري هو أين يكون ولا من أين جاء — احذرك — ونظراً لانك حذفت الفعل فقد اضطر الى ان تستعمل الضمير المنفصل مكان الضمير المتصل فلم تقل كالنار وانما قلت — اياك والنار —

كل هذا كلام انا شخصياً احبه أشد الحب ، واؤكد لكم ان النحو هو أحب علوم اللغة العربية الي واؤكد لكم إنني اجد لذة لا تعدلها لذة حين اجلس الى الصديق ابراهيم مصطفى ونتذاكر باباً من ابواب النحو ، ونحاول اعراب آية من آيات القران على قواعد النحويين ، او اعراب بيت من ابيات الشعر على قواعد النحويين ، ولا انسى اني تذاكرت معه غير مرة في اعراب الاية الكريمة : — ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما احملكم عليه ، تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً أن يجدوا ما ينفقون — كيف يكون اعراب هذه الآية ، ولان هناك : — اذا ما أتوك لتحملهم — قلت : — ثم تولوا — فعلان و — اذا — محتاجة الى جواب .. اين يكون الجواب بين هذين الفعلين ، بين — قلت لا اجد — أو بين — تولوا — ويكفي ان تنظروا الى اعراب القرآن لابن حيان لتروا ما يقال هناك ، ولكن كل هذا العمل ما يعمل به التلاميذ في المدارس صغار او كبار ؟

هذا فصل ، وفصل آخر ليس اهون منه ، الاصل ان الناس يكتبون ليقرأوا ، ويقرأون ليفهموا ، ونحن نكتب لنقرأ ، ولكننا لا نقرأ لنفهم ، وانما نفهم اولا لنقرأ بعد ذلك، واذا كان هذا جائزاً بالقياس الى الممتازين النابهين الاذكياء ، فهذه الملايين ما الذي تطلبونه اليها ؟ كيف تطلبون من هذه الكثرة من الاطفال الصغار ، في هذه السن المبكرة ان يفهموا الكتب التي تعطي اليهم بالمدارس ليقرأوها كما ينبغي ان تقرأ ، ويجب عليهم ان يفهموا قبل ان يقرأوها ، او ان يقرأوها خطأً فيلقون من اساتذتهم ومعلميهم سخطاً ، فلا بد اذن من ان نختار بين اثنتين : اما ان نريد المحافظة على اللغة العربية في مجامعنا العلمية على اختلافها فنذود عنها كل شر ، ونحميها من كل بأس ، ونحيي تراثها القديم ، ونجتهد في أن نضيف اليه كل جديد ممكن ، ينفع ولا يضر . — اما أن نكون نفعل هذا كله لانفسنا واشباهنا من المتخصصين ولا نحفل بالشعب ولا بتعليم الشعب ، واذن فنحن لا نصنع اكثر مما يصنع المتخصصون في اللغة اليونانية القديمة ، وفي اللغة اللاتينية القديمة ، اي ما يصنعه المتخصصون في اللغات الميتة.

اتريدون ان تكون اللغة العربية احدى هذه اللغات الميتة التي يفرغ لها المتخصصون ولا يحسنها غيرهم ؟

هذه واحدة. والثانية ان نكون انما نفعل هذا كله لتكون اللغة العربية لغة حية حقاً كما تحيا اللغة الالمانية والايطالية والفرنسية والانكليزية والاسبانية وغيرها من اللغات الحية التي يتكلمها الناس ويكتبون بها، ويفهمونها حين يقرأونها

او يقرأونها ليفهموها فاذا قرأوها فهموها في غير مشقة ولا عسر ، واذا تعلموها فلا يجدون فيها جهداً ، ولامشقة ولا عناء ، الا ما يجده التلميذ في حياته العادية حين يتعلم اي شيء من هذه الاشياء التي يتعلمها في صباه .

ولم اذهب بعيداً ؟ .. انظروا الى تلاميذنا في المدارس الثانوية ! اننا نعلمهم اللغة العربية ، ونعلمهم لغة اجنبية او لغتين اجنبيتين .. في اي اللغتين يتثقف هؤلاء التلاميذ ، وبأي اللغتين يسرع هؤلاء التلاميذ الى النطق والفهم والحديث .. اتظنون انهم يتثقفون باللغة العربية .. اتظنون انهم يسرعون الى التحدث بالعربية الفصحى ، ويسرعون الى قراءتها او فهمها ام أن الواقع شيء آخر ؟. اما انا فقد جربت كثيراً ، والذي اعرفه من التجربة ان تلاميذنا يتعلمون اللغة الانكليزية والفرنسية اسرع مما يتعلمون اللغة العربية ، لولا ان عواطفهم تفرض عليهم شيئاً من التحفظ وتفرض عليهم شيئاً من الجهد.

اؤكد لكم ايها السادة ان كل هذا الذي عرضته عليكم حتى الآن انما يصور خطراً محققاً اشرت اليه في افتتاح مؤتمر المجامع العلمية منذ يومين ، واضيف اليه ان هناك كتاباً كبار يقرأون في الشرق العربي كله ، ويطالب بعضهم الآن بالغاء الاعراب والغاء قواعد النحو .. انا أطالب بتيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية لتشيع اللغة العربية ، وتصبح لغة الشعوب حقاً ولغة حية حقاً ، ولكن من الناس من كتبوا في هذه الايام القريبة يطلبون الغاء قواعد الاعراب وتسكين اواخر الكلام لا لشيء الا لانهم لم يتعلموا اللغة العربية حين كانوا تلاميذ في المدارس ، لا لشيء الا لأن النحو القديم والكتابة الموروثة والاساتذة الذين يعلمون النحو القديم والكتابة الموروثة كل اولئك عجزوا عن ان يحببوا هذه اللغة الى الكاتب الكبير وبغضوا اليه العربية الفصحى ، وغرسوا في نفسه هذا البغض ؛ واصبح الآن لا يكره شيئاً كما يكره التكلم بهذه اللغة ، ولا يتحرج ان يطالب بالغاء قواعد الاعراب وتسكين آخر الكلمات ، وجعل اللغة العربية الفصحى كأي لهجة من اللهجات العامية .

انتم كذلك بين اثنتين : اما ان تريدوا وحدة الشعوب العربية حقاً وتكونوا مؤمنين بهذه الوحدة حراصاً عليها مستعدين للجهاد في سبيلها بالحياة والنفوس ، والأموال والمنافع ، مهما تكن ، واذن فلابد من ان تجعلوا لغتكم العربية التي تكون وحدتكم ، لغة الشعوب لا لغة الخاصة .

واما ان يكون حديثكم عن هذه الوحدة كلاماً لا اكثر ، واعوذ بالله واعيذكم من ذلك . واذن فدعوا اللغة العربية تموت ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة وانظروا بعد ذلك اذا اراد السوري ان يقرأ الكاتب مصري عليه ان يترجمه الى لهجته السورية ويضطر العراقي اذا اضطر ان يقرأ لسوري ان يترجمه للهجة العراقية .

اختاروا فليس لكم بد من الاختيار ، ان نحن مضينا فيما نحن عليه وابينا ان ننصرف عن النحو والكتابة وان نتيح للشباب والصبية ان يقرأوا ليفهموا لا ان يفهموا ليقرأوا ، ان ابينا ان نمضي كما كان النحو وكما كانت الكتابة ، لابد ان تنشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة كما نشأت الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة .

لقد اتت اللاتينية وخلفها ابناؤها وبناتها ، فهل تريدون ان تموت اللغة العربية وان تخلفها بناتها التي نشأت بالفعل في الأقطار العربية المختلفة .. هذه هي المسألة ، اختيار ، وانا اعلم انه ليس اشق على الانسان من الاختيار . فنحن نحب القديم ولا نستطيع التفريط فيه الا بعد مشقة ، وجهد وعناء ، وبعد ان تتمزق قلوبنا حسرة ، ولكن لابد مما ليس منه بد .

وبعد : لا ادعو ان يهجر القديم مطلقاً وعسى ان اكون أشد الناس محافظة على قديمنا العربي ، ولا سيما في الادب واللغة ، ولكن لم لا يكون النحو القديم ، والكتابة القديمة ، والبلاغة القديمة ، وكل هذه العلوم العربية التي انشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه .. لم لا يكون هذا كله متطوراً كما تطورت اللغة نحتفظ قديمه لدرس المتخصصين في الجامعات ، وفي المعاهد ، ونخصص للملايين البائسة من الصبية والشباب ان يتعلموا تعلماً قريباً سهلا عسى ان يتخرج من بينهم من يضيف الى ثروة هذا القديم ، ويحسنه اكثر مما نحسنه نحن ، ويحيي هذا التراث القديم اكثر مما نحييه نحن .

انا اعرف ان هذا كله لا يرضي كثيراً من الناس لا في دمشق وحدها بل في مصر وغيرها من البلاد العربية ، ولكنني لا احب ان أكذب العرب ، وقد قيل ان الرائد لا يكذب قومه ، ولا احب ان اكون كهؤلاء الذين يقولون ان أمة محمد بخير ، ولا أريد ان أكون كهؤلاء الذين يطمئنون في

التتمة على الصفحة ٧٣ –

قضية اللغة العربية -٢-

الاصطلاحات الفلسفية

بقلم الدكتور جميل صليبا

اللغة العربية من اغنى اللغات ، واوسعها اشتقاقاً ، وادقها تعبيراً ، صقلتها القرائح والعقول في الماضي بضعة عشر قرناً حتى جعلتها لغة الشعر والخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب و كيمياء و لرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة .

والسبب في اتساع اللغة العربية لجميع الاصطلاحات العلمية انها لغة غنية كثيرة المرونة ، لطيفة المخارج ، فيها الفاظ متباينة ، ومتفقة ، ومترادفة ، ومشتقة (١) . وربما وجدت فيها ايضاً الفاظ مختلفة دالة على معان متقاربة ، وان كانت اشخاص تلك المعاني مختلفة ، وربما دلت على احوال مختلفة ولكنها مع اختلافها هي لشخص واحد .

ولكن هذه المرونة في دلالة الالفاظ على فائدتها لا تخلو في بعض الاحيان من الالتباس والاشكال ، ولا من الغلط والخطأ في التعبير . لان الاصل في الكلام اختلاف الالفاظ باختلاف المعاني . ومن حق المعنى كما قال الجاحظ ان يكون الاسم له طبقاً ، وان لا يكون له فاضلا ولا مفضولا ، ولا مقصراً مشتركاً ولا مضمناً (٢) .

ولكن العلماء الذين اخذوا في عشرات السنين الأخيرة يدونون علوم العصر ، وينقلونها من اللغات الاوربية الى اللغة العربية لم يتقيدوا بهذا الاصل الذي قدمناه ، بل مالوا الى استعمال الالفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، او الى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة . فعرض لهم من الخلاف في المعاني ما عرض للشعراء والخطباء واصحاب السجع من استعمال الالفاظ المترادفة والمتواطئة ، وان كانت متباينة بالحقيقة ، فادى فعلهم هذا الى الالباس والاشكال ، والى كثير من الغلط والخطأ . مع انه كان ينبغي لهم اذا وجدوا الفاظاً مختلفة متقاربة المعاني ان ينظروا فيها ويبحثوا عن السبب في اختلافها ليضعوا لكل معنى لفظاً مطابقاً له ، الا انهم قلدوا في ذلك البلغاء والشعراء والخطباء فجاءت اصطلاحاتهم كثيرة الغموض وعلومهم قليلة الوضوح والضبط.

والدليل البين على أن الامر ما ذكرناه ان الشخص الواحد يستعمل للدلالة على المعنى الواحد الفاظاً مختلفة فيترجم كلمة (Déduction) تارة بالاستدلال واخرى بالاستنتاج او بالاستنباط ، ويستعمل اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة فيترجم كلمات (Intelligence و Raison و Bon sens) كلها بكلمة عقل .

واذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالاصطلاحات التي اختارها ، فما بالك بالمترجمين الآخرين الذين يوافقونه على اختياره او يخالفون انفسهم ؟ وما بالك بالقارئ الذي يجهل اللغة الاجنبية ، هل يفهم ما يقوله هؤلاء وما يكتبونه ؟

ان مدار الامر والغاية التي يجري اليها الكاتب والقارئ ، انما هو الفهم والافهام . فاذا كانت معاني الالفاظ تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف تصح ، وكيف تفهم ؟ ان التفاهم بالفاظ متبدلة المعاني اصعب من التعامل بنقود متبدلة القيم ، فلا بد للعلماء اذن من الاتفاق على معاني الالفاظ . ولا بد لهم من تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الالفاظ التي افرغت فيها . ان الالفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية هو الحجر الاساسي في بناء العلم . فاذا اقيم هذا البناء على اساس متحرك لم يبلغ الغاية التي انشئ من اجلها

---

(١) المتباينة هي التي تختلف باختلاف المعاني ، والمتفقة هي التي تتفق فيها الفاظ واحدة بعينها ومعانيها مختلفة ، والمترادفة هي التي تختلف الفاظها ومعانيها واحدة .

(٢) البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص : ٧٥ .

على انه قد يقال ان الأساس في العلم هو الكشف عن الحقائق ، وان الحقيقة اذا كشفت فبأي لغة بلغت الافهام فذلك هو البيان المطلوب . ولكن هذا القول يهمل ناحية اساسية من الاصطلاحات العلمية وهي ان السبب الذي من اجله احتيج الى وضعها لا يقتصر على الافهام وحده . لأن العالم بالشيء يفهمه مهما تكن اللغة التي تستعملها في تفهيمه اياه ركيكة ومضطربة . ولكن تثبيت الاصطلاحات العلمية لا يفيد العلماء الاخصائيين وحدهم بل يفيد المعلمين والمتعلمين كما يفيد جمهور القراء . فله اذن فائدة في التربية ، وفائدة اجتماعية معاً .

اما الفائدة في التربية فهي ان تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الالفاظ وتوضيحها ، فلا يستعمل اللفظ الا فيما وضع له ، ولا يدل على المعنى الواحد الا بلفظ واحد. وفي ذلك تيسير لعمل المعلمين والمتعلمين معاً. لأن المعاني اذا كانت محددة ، سهل على المعلم شرحها وعلى المتعلم فهمها . وكذلك الالفاظ اذا كانت مطابقة للمعاني صار استعمالها ادق ووضوحها اتم . وقد عرفنا بالتجربة ان التلاميذ الذين يقرأون النصوص الفلسفية دون ان نشرح لهم اصطلاحاتها يضيعون زماناً طويلا في تفهم ما يقرأون دون ان يصلوا الى نتيجة . وكثيراً ما يورثهم هذا الامر كرهاً للفلسفة وعجزاً عن النجاح في الامتحان . حتى ان بعضهم وان نجح في فحوصه يعتاد استعمال الالفاظ الفارغة فيردد ما قرأه كالببغاء او يلوكه كما يلوك الطفل طعامه ، وهذه العقول الببغائية التي تردد الالفاظ الفارغة تعجز في مستقبل حياتها الفكرية عن الانتاج العلمي . وربما كانت تمارين الترجمة التي تقتضي مراجعة معاني الالفاظ في المعاجم العلمية والفلسفية خير وسيلة لشفاء هذه العقول من الببغائية الفكرية ، لانها تمنعها من استعمال الفاظ لم تتضح معانيها ، وتعودها الدقة في التعبير ، والمطابقة بين المعنى واللفظ ، فلا يكون احدهما زائداً على الآخر .

واما الفائدة الاجتماعية فهي ان تحدد معاني الالفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم ، فلا يتكلمون بما لا يعملون ، ولا يمارون فيما لم يتضح لهم من المعاني . ان معظم الاختلافات في الآراء السياسية والاجتماعية يرجع الى ان الناس لم يحددوا معاني الالفاظ التي يجادلون فيها ، فالحرية والعدل والمساواة لا تدل على معان واحدة عند الاشتراكيين والممولين ، وكذلك الحق والواجب والخير والكرامة وغيرها . فاذا اردت ان تحسم الخلاف بين الناس ، وتحقق التفاهم بين اصحاب المذاهب المتباينة فابدأ اولا بتحديد هذه المعاني تحديداً علمياً واضحاً . ان هذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض ويبطل اسباب الخلاف ، ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والوقت .

وربما كانت الالفاظ التي يستعملها المترجمون المحدثون اكثر الالفاظ احتياجاً الى هذا التحديد ، لانهم كما قلنا ، لا يطلقون على المعنى الواحد لفظاً واحداً . مثال ذلك ان بعضهم يترجم كلمة (Intuition) بكلمة حدس ويترجمها الآخر بالبداهة او الاكتناه ، او الاستبصار ، وكذلك كلمة (Conscience) بعضهم يترجمها بالشعور وبعضهم يترجمها بالوعي . فاذا استمر الامر على هذه الحال ادى الى كثير من الفوضى والاضطراب ، لان النقلة اذا لم يوحدوا اصطلاحاتهم عجزوا هم انفسهم عن فهم ما ترجموه . ولا يكفي ان تتطور الاصطلاحات العلمية تطوراً عفوياً حتى تصل الى الوحدة ، لأن التطور العفوي قد يؤدي الى الاحتفاظ بألفاظ كثيرة للدلالة على معنى واحد ، واذا ادى انتصار لفظ على غيره لم يكن هذا اللفظ الفائز في المعركة احسن الالفاظ دائماً . فلا بد اذن من توجيه هذا التطور حتى يبلغ غايته . والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي انشاء مجمع علمي واحد ينتقي من الاصطلاحات التي اهتدى اليها النقلة الاخصائيون اصطلاحاً واحداً يثبته ويحله حظيرة اللغة ، لا ان يضع هو نفسه اصطلاحاً علمياً جديداً. ذلك لأنه ليس من شأن المجامع العلمية ان تضع الاصطلاحات وانما هي بمثابة عضو رئيسي في جسم العلم ، ينقح ما يكشفه العلماء ، ويمحصه وينظمه ويثبته . واذا خرجت المجامع العلمية عن هذا الحد الذي يجب عليها ان تقف عنده عرضت نفسها لكثير من الخطأ والغلط والنقد .

ان لكل علم لغة فنية ، والعلماء الاختصاصيون وحدهم يفهمون هذه اللغة . فانت لا تفهم معنى كلمة (تفاعل) الا اذا كانت كيماوياً ، كما انك لا تفهم معنى الساحة المغناطيسية الا اذا كانت فيزيائياً. ومن كان طبيباً كان قادراً على الكلام عن المرض بلغة لا يفهمها المريض . وكذلك لما كانت الالفاظ التي يستعملها الادباء الصحافيون والمحامون كان هذا الاتفاق

فيها ادعى الى الاشكال والاضطراب . ان رجال الادب لا يستغنون عن اصطلاحات علم النفس ، كما ان رجال السياسة لا يستغنون عن اصطلاحات علم الاجتماع والاخلاق . ولكن الفلاسفة الذين يستعملون كلمة ذاكرة وعقل وحقيقة وواجب وحرية وارادة لا يبلغون غايتهم الا اذا كانت هذه المعاني المتصورة في اذهانهم محددة معرفة . وكثيراً ما يكون لبعض هذه الالفاظ في اذهانهم معان مخالفة لما يتصور المحامون والاطباء والمهندسون . فينبغي لنا اذن اذا شئنا ان نختار اللفظ الموافق للمعنى العلمي ان نعتمد في ذلك على ارباب الاختصاص لان صاحب البيت أدرى بالذي فيه . ومتى عرض علينا الاخصائيون الناظم نقحناها ومحصناها واخترنا اوفقها واصلحها وثبتناه في معاجم اللغة .

والسبيل الواضحة والطريقة الصحيحة التي يجب على الاختصاصيين اتباعها في وضع الاصطلاحات العلمية الموافقة تنحصر عندنا في القواعد الآتية :

القاعدة الاولى : هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته . ويشترط في هذه القاعدة ان يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد . فاذا وجدناه مطابقاً له اطلقناه عليه دون تبديل او تغيير ، مثال ذلك ان القدماء اطلقوا لفظ الجوهر على المعنى الذي تدل عليه كلمة (Substance) واطلقوا لفظ المقولات على المعنى الذي تدل عليه كلمة (Catégories) فاذا اردنا ان نترجم هذه الالفاظ اطلقنا عليها الاسماء التي سماها من عرفها من اصحاب اللغة .

والقاعدة الثانية : هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الاوربي الحديث ، فيبدل معناه قليلا ويطلق على المعنى الجديد . مثال ذلك ما ترجمنا به لفظ (Intuition) فقد اطلقنا على هذا المعنى اسم الحدس بعد ان وسعنا معناه القديم . فالحدس كما يقول الجرجاني في تعريفاته « هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب ويقابله الفكر ، وهو ادنى مراتب الكشف » ، والحسيات عنده هي « ما لا يحتاج العقل في جزم الحكم فيه الى واسطة بتكرر المشاهدة » ، ويعبر ابن سينا عن ذلك بقوله : « ان من المتعلمين من يكون اقرب الى التصور لان استعداده ... اقوى ، فان كان ذلك الانسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد حدساً ، وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في ان يتصل بالعقل الفعال الى كبير شيء والى تخريج وتعليل» . ثم يقول : « الحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الاوسط . والذكاء قوة الحدس ، وتارة يحصل بالتعليم ومبادئ التعليم الحدس . فان الاشياء تنتهي لا محالة الى حدوس استنبطها ارباب الحدوس ، ثم ادوها الى المتعلمين . فيمكن ان يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية الى ان يشتعل حدساً اعني قبولا لالهام العقل الفعال في كل شيء ، فترتسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء اما دفعة واما قريباً من دفعة (١)» ويقول ايضاً في كتاب الاشارات : « واما الحدس فهو ان يتمثل الحد الاوسط في الذهن دفعة ، اما عقيب طلب وشوق من غير حركة واما من غير اشتياق وحركة » (٢) . فهذه النصوص كلها تبين لنا ان معنى الحدس عند القدماء هو اصابة الحد الاوسط اذا وضع المطلوب ، او اصابة الحد الاكبر اذا اصيب الاوسط ، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول . فهذا المعنى كما ترى يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي تدل عليه كلمة حدس عند المحدثين . ولكننا نلاحظ ان للحدس عند كل من هؤلاء الفلاسفة معنى خاصاً . فهناك حدس عقلي كحدس البداهة ، وهناك حدس حسي وحدس نفسي كالذي تكلم عنه « برغسون » . فاذا كان معنى الحدس مختلفاً باختلاف الفلاسفة ، فان اختلاف معناه في الفلسفة الحديثة عن معناه في الفلسفة العربية القديمة لا يمنع من اطلاق اللفظ نفسه على المعنيين . ولا حاجة الى البحث عن لفظ آخر كلفظ البداهة الذي اختاره بعضهم للدلالة على هذا المعنى لان البداهة انما تقابل كلمة (Evidence) لا كلمة حدس . فيكفي اذن في هذه الحالة الاعتماد على اللفظ القديم مع تبديل معناه وتحديده تحديداً جديداً .

والقاعدة الثالثة : هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق العربي ، كأن تستعمل لفظ الشخصية للدلالة على (Personnalité) ولفظ الاستبطان للدلالة على (Introspection) ولفظ الاهتمام

(١) ابن سينا : النجاة ، ص ٢٧٢ — ٢٧٤ من طبعة القاهرة .
(٢) ابن سينا : الاشارات ، ص ١٥٣ — ١٥٦ من الطبعة الخيرية القاهرة ١٣٢٥ .

للدلالة على (Intérêt) ولفظ الانحاء للدلالة على (Tropisme) ولفظ التكيف او المؤالفة للدلالة على (Adptation). فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء ولكننا نستعملها مطمئنين لانها مسابقة للاصول التي وضعها اصحاب اللغة، وهذا شبيه بما فعله القدماء من استعمال قوة للدلالة على (Puissance) وكلمة فعل للدلالة على (Acte) وكلمة صورة للدلالة على (Forme) وكلمة امكان للدلالة على (Posssibilité) فقالوا ان الامكان في الشيء هو جواز ظهور ما في قوته الى الفعل، وطبيعته بين الواجب والممتنع، فاشتقوا من الامكان التمكين بمعنى اخراج الشيء من القوة الى الفعل بالارادة وقد يجيء التمكين عندهم بمعنى آخر وهو ان يكون تفعيلا من المكان. فتقول مكنت الحجر في موضعه اذا وفيته حقه من بسط المكان وتسويته ليلزمه ولا يضطرب وليس في استعمالنا اليوم لفظ الحتمية (Déterminisme) والموضوعية (Objectivité) والوضعية (Positivisme) شطط، ما دام القدماء من علمائنا لم يحجموا عن استعمال لفظ الهوية والآنية والصوفية وغيرها. ولكن اللغويين المحافظين منا لا يريدون ان يخرجوا من قفص المعاجم، كأن الالفاظ التي اصطنعها علماؤنا القدماء في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والطبيعيات لم توضع الا اعتباطاً.

والقاعدة الرابعة: هي اقتباس اللفظ الاجنبي بحروفه على ان يصاغ صياغة عربية كقولنا (هرمية) في ترجمة (Hormique) وقولنا (الراد) في ترجمة (Radium) او قولنا (المناد) في ترجمة (Monade)، او قولنا الديمقراطية (Démocratie) ومن البديهي انه لا ينبغي لنا العمل بهذه القاعدة الا عجزنا عن اشتقاق لفظ عربي للدلالة على المعنى الجديد.

فاذا كانت كتب العلم القديمة لا تحتوي على لفظ نقتبسه كما هو او نبدله، وكانت اللغة نفسها لا تشتمل على اسم قريب من المعنى نشتق منه فعلا او صفة، كان استعمال اللفظ الاجنبي اوفى بالقصد واقرب الى الوضوح من اطلاق لفظ عربي غير مألوف يفرض على العلم فرضاً. ان علماءنا القدماء لم يجدوا في استعمال كلمة فلسفة وكلمة جغرافيا وكلمة كيمياء انتقاصاً من حقوق اللغة العربية، فاذا استعملنا اليوم كلمة (فيزياء) للدلالة على (Physique) وكلمة ديمقراطية للدلالة على (Démocratie) فاننا لا نكون أقل منهم اصابة. فهم قد استعملوا كلمة البخت مع انه لا وجود لها في لغة العرب.

يقول صاحب كتاب الهوامل والشوامل في الجواب عن احدى المسائل: « على اني رأيتك تستعفي ان تفهم حقيقة الا ان تكون في لفظ عربي. فان عدمت لغة العرب رغبت في العلوم لكنا ايدك الله لا نترك البحث عن المعاني في اي لغة كانت وبأي عبارة حصلت » (١). وهذا القول يدلنا على ان القاعدة الرابعة التي ذكرناها هي السبيل الواضحة التي يجب سلوكها عند افتقار اللغة العربية الى لفظ اجنبي لا يدل على المعنى الجديد الا به، شأنها في ذلك شأن سائر اللغات التي تقتبس المعنى العلمي الجديد باللفظ الذي اختاره واضعه. فنقول مثلا ميكرسكوب وتلسكوب كما نقول سينما وتلفزة دون ان نخل ببلغة العرب، لان انتشارهذه الالفاظ على السنة الناس يجعل استعمالها في الكتب العلمية اوفى بالقصد من استعمال لفظ المكبرة والمنظار والصور المتحركة وغيرها. فالمعاني القائمة في الصدور كما يقول الجاحظ مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة (٢) وانما تحيا تلك المعاني في ذكر الناس لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها. ومهما يكن الاصطلاح العلمي وحشياً بعيداً عن المألوف فانه اذا انتشر على السنة الناس كان أحق بالترجيح من اللفظ الصحيح الذي لم يكتب له الانتشار. والخطأ المشهور كما قال بعضهم خير من الصحيح المهجور.

هذه اربع قواعد ذكرناها هنا على سبيل الاشارة لا على سبيل الاحاطة. ولا نزعم ابداً اننا استقصينا بها جميع الصعوبات التي تعترض طريق المترجم. ان العلماء الاوربيين يعتمدون في وضع الاصطلاحات العلمية على اللاتينية واليونانية. وفي وسعهم ان يؤلفوا كلمات مركبة من كلمتين او اكثر او ان يضموا السوابق (Préfixes) او اللواحق (Suffixes) الى جذر المادة الاصلية بحيث يتألف منها كلمات متكاملة دالة على معان متباينة. مثال ذلك ان (Synthèse) و (Parenthèse) و (Antithèse) و (Hipothése) تدل على معان مختلفة جذرها الاصلي واحد. اما الاشتقاق في اللغة العربية فانه يغير الاصل الثلاثي بما يضيفه عليه من حروف الزيادة. وليس في اللغة العربية سوابق ولواحق مضافة على الاصل، كما انه لا يمكنها الآن ان تستمد من غيرها من اللغات القديمة ما تستمده اللغات من اللاتينية واليونانية... وهذه صعوبة اخرى يجب التغلب عليها بما امتازت به اللغة العربية من سعة المناهج ولطف المخارج وسهولة الاشتقاق.

جميل صليبا

---

(١) الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه، ص: ١٠٤ القاهرة ١٩٥١.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، الجزء الاول، ص ٦٨.

قضية اللغة العربية -٣-

مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية

بقلم احمد حسن الزيات

انشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الشهر الأخير من سنة ١٩٣٢ ، وكان في مصر حينئذ بقية من شيوخ الادب الذين فقهوا علوم الدين في الازهر وحذقوا فنون اللغة فيه وفي دار العلوم ، فكانوا بحكم ثقافتهم وطبيعة بيئتهم يعتقدون بحق ان اللغة التي اتخذها الله ترجماناً لوحيه ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولساناً لدعوته هي من حقيقة الاسلام . فالمحافظة عليها محافظة عليه والتفريط فيها تفريط فيه . لذلك كانوا يؤثرون السماع ويتشددون في القواعد ويتقيدون بالمعاجم ويكفرون بالمولد والدخيل ، ويرون ان العربية هي لغة الاولين الذين انقضى عهدهم في آخر المائة الثانية بالامصار ، وفي آخر المائة الرابعة بالبوادي ، فلا يملك المولدون ان ينقصوا منها ولا ان يزيدوا فيها . ويقفون من الكتاب والصحفيين موقف المعلم المرشد او الناقد المنكر . ويرشدونهم الى الالفاظ العربية والاساليب الصحيحة ويصدونهم عن الكلمات الدخيلة والتراكيب الاعجمية . ويحاولون ان يضعوا لكل مصطلح من مصطلحات العلوم الحديثة ، ولكل اداة من ادوات الحضارة الغربية لفظاً عربياً بطريق القياس او المجاز او الاستعارة ، ولا يقبلون المولد والمعرب والدخيل الا في الضرورة الشديدة . ولقد دخل المجمع في عهده الاول طائفة من هؤلاء الفضلاء فذهبوا به هذا المذهب وصبغوه بهذه الصبغة وجروا في وضع المصطلحات العلمية والمسميات الحديثة ذلك المجرى . فصرفوا النظر عما اصطلح عليه الخاصة في التعليم والتأليف ، وعما تواضع عليه العامة في البيت والشارع والسوق والمعمل والحقل ووضعوا للهدروجين المائه وللاكسجين المحر وللترام الجهاز وللتليفون الارزيز وللبنزين الصريم وللترمس الكظيمة وللريال او الدولار الرقين وللقرش النمية الى آخر هذه الالفاظ التي ظلت موضوعاً للتندر زمناً طويلا في الصحف والمجالس ثم ذهبت جفاء كما يذهب الزبد .

ثم مضى عهد المطهرين محموداً غير مذموم ومعذوراً غير ملوم ، لأن المطهرين في العربية كالبوريست في الفرنسية شيعة لغوية دعاهم حبهم للغتهم وتعصبهم لها الى ان يبالغوا في تنقيتها من العامية وتطهيرها من الدخيل ، فكان لهم اجر المؤمن وان اسرف ونصيب المجتهد وان اخطأ . وعذر اخواننا الذاهبين رضوان الله عليهم انهم كانوا ادباء ولغويين ونحويين ولم يكونوا كتاباً ولا مترجمين ولا صحفيين ممن يكتبون للجمهور ويتصلون بالعامة ويدفعون الى مزالق التعبير عن المعاني المستحدثة والاعيان المخترعة . ثم خلف من بعدهم خلف من الكتاب والصحفيين فحاولوا ان يخرجوا المجمع من [illegible] الزمان والمكان التي حصروا فيها حق الوضع والتعريب وان ينبهوا الى ان بجانب الفصحى التي قيدها او جمدها لغة اخرى هي العامية التي سيطرت على حياة الامة العربية في شؤونها العامة واغراضها المختلفة لأنها هزة تنزو على القيد وطبيعة تنفر من الصنعة فهي تقبل من كل لسان وتستمد من كل لغة وتصوغ على كل قياس . وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المولدة والمقتبسة في المنزل والحديقة والمتجر والورشة والغيط . والناس في سبيل التفاهم يؤثرون السهل ويستعملون الشائع ويتناولون التعريب وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود ، والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية وحلولها محلها ، اذ تكون بسبب مرونتها وتجددها ادق تصويراً لاحوال المجتمع واوفى اداء لأغراض الناس .

بدأت هذه المحاولة في الدورة الثالثة عشرة للمجمع سنتي ٤٦ — ١٩٤٧ اذ قدم احد الاعضاء الكتاب الى مجلس المجمع بحثاً في (موقف اللغة العامية من اللغة الفصحى) الم فيه بنشأة

اللغات العامية من امهاتها الفصحى أو بين العوامل التي تؤدي الى ذلك وذكر كيف نشأت العامية العربية من فصحاها وما نالها من تغير في الالفاظ وفي الاساليب ثم انتهى الى استخلاص هذه الأمور :

الأمر الأول : ان اكثر الالفاظ العامية عربية اصابها التحريف في النطق للتخفيف والتيسير .

والامر الثاني : ان اسلوب العامية قد استقر على صورة تعودها الناس وهو يختلف عن الاسلوب العربي الفصيح

والأمر الثالث : أن العامية لا تزال تتطور . هذا التطور ناشيء من حياة الناس فهي وليدة الحياة نفسها وفيها من المرونة ما في الكائن الحي .

والأمر الرابع : انها لاتصلح إلا للتعبير الأدبي الساذج. فاذا أردت أن تعبر عن المعاني الدقيقة الرفيعة حاولت الاقتراب من الفصحى .

والأمر الخامس : ان العامية ليست مسخاً مجرداً للفصحى وانما هي لغة قائمة بذاتها لها قواعدها وأصولها . فاذا شذ عنها شاذ فكأنما خرج عن طريقة مقررة . ثم دعا الباحث الى التقريب بين اللغتين فألقى على المجلس هذه الأسئلة :

كيف يمكن التغلب على الصعوبة الكبرى وهي الإعراب وعلى الأخص في أواخر الكلمات ؟

ألا يجوز أن تقبل في الفصحى غير ما يصح في لغة قريش ؟

هل نجعل الأصل مع ما لم يستعمل في الفصحى من قبل أم نجعله إجازة كل استعمال ما دام قائماً في الحياة ؟

ألا يمكن أن نتجرد من التعصب لأساليب القدماء في الكتابة والكلام إذا كانت لا تعبر حقاً عن إحساسنا وتفكيرنا ؟ اننا لو فعلنا ذلك لسهل علينا تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية دون أن يصيبها ضرر من ذلك .

سمع مجلس المجمع هذا البحث ثم أحاله إلى لجنة من أعضائه فدرسته وناقشته ثم فصلت رأيها في تقرير قدمته إلى مؤتمر المجمع في دورته التالية استنكرت فيه أن يكون للأمة لغتان : لغة للحديث والإبانة عن مطالب الحياة وأخرى للكتابة أو التعبير عن مشاعر النفس . فان الفرق الذي بين لغة العيش ، ولغة الفكر اذا زاد ، قسم الأمة إلى قسمين : قلة متعلمة تتأثر بالفكر السامي والفن الرفيع ، وكثرة جاهلة لا تستطيع أن تتعدى حدود العامية الشائعة في الحياة والمعاملات.

ومحال أن تستقر حياتنا الحديثة على هذا الانقسام ، فان أقطاب الفكر والعلم ونوابغ الأدب والفن لا يتحقق النفع منهم للأمة إلا إذا بلغت رسالاتهم إلى الخاصة والعامة على السواء . فمن الخير الذي لا بد منه أن يرفع الحاجز الذي يفصل بين القلة الشاعرة المفكرة والكثرة العاملة المنتجة . والعالم العربي كله لسان واحد على حفظ الفصحى من العبث ومدها بالعوامل المجددة والوسائل الميسرة لتكون رابطة فكرية وصلة وجدانية بين طبقات الشعوب التي تتكلم بها .

وأقرب الطرق إلى ذلك أن اللفظ الدائر على ألسنة الناس إذا كان عربياً صحيحاً كان أولى بالاستعمال بغض النظر عن صيانته وابتذاله . فاذا كان عربياً غير صحيح أبقيناه ورددناه إلى الفصاحة . وذلك يستلزم دراسة العامية في جميع الأقطار العربية دراسة شاملة لنستطيع أن نعرف المشترك من الألفاظ والمختص . فالمختص نتركه لأهله والمشترك نستعمله في الفصحى ونفضله على غيره من مهجور المعاجم ، فان اشتراكه في جميع اللهجات العامية دليل على إصالة في العروبة والمعاجم لم تستوعب المادة اللغوية كلها .

أصغى مؤتمر المجمع لهذا البحث ودار النقاش فيه ، والتعقيب عليه ، فأيده من أيده ، وفنده من فنده ، ثم خرج منه على ان التزمت في الفصحى يضر والتسامح مع العامية يفيد على شرط أن تظل الأصول مرعية والقواعد سليمة .

وفي الدورة السابعة عشرة للمجمع ألقيت في المؤتمر بحثاً في (الوضع اللغوي وحق المحدثين فيه) ذكرت فيما ذكرت به أن اذكار الوضع على المحدثين حرم الفصحى كل ماوضعه المولدون من الألفاظ وما اقتبسوه من الكلمات وما ألفوه من الحكايات ونظموه من الأغاني وأرسلوه من الأمثال ولو أن اللغويين قبلوا تلك الألفاظ والأدباء دونوا ذلك الأدب لوفروا للغة الفصحى وللادب العالي مورداً لا ينضب ومادة لا تنفد . ولو انهم ازالوا السد الذي جعلوه بين اللغتين ، لاكتسبت الفصحى من العامية السعة والمرونة والجدة ، واكتسبت العامية من الفصحى السلامة والصيانة والسمو ، ولكان لنا من تداخل اللغتين وتفاعلها لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك . فاما مساوئ الفصحى او عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشي المهجور في كل لغة . واما مساوئ العامية او حثالتها فتبقى على الالسنة التي تستذيقها من الطبقات الدنيا وتكون

هي اللغة العامية التي لابد منها في كل لغة من لغات العالم ، ولكن بالنسبة القليلة التي تطغيها على الفصحى ولا تفرضها على الناس . ثم اقترحت لتقريب الخلاف بين العامية والفصحى أن يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه بوسائله المعروفة وهي الارتجال والاشتقاق والتجوز ، وان نرد الاعتبار الى المولد ليرتفع الى مستوى الكلمات القديمة وان يطلق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب ومالم يقيسوه ، وان يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة .

وقد اقر المؤتمر هذه المقترحات واخذ المجمع يطبقها فيما يضع من مصطلحات العلوم والفنون ، وفيما يسجل من الفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة ، فهو في الغالب لا يضع المصطلحات ولا الكلمات كما كان يضع في عهده الاول ، وانما يسجل ما تواضع عليه العلماء في التعليم والتأليف ، وما اصطلح عليه العامة في التعامل والعمل بعد ان يجربه على منطق اللغة ويطبعه على ذوق اللسان ، فقبل الاكسجين والهدروجين والترام والتليفون والتلغراف والبطانية والطاقية والبنطلون والكنبة والولاعة والساعة والترمس والبنزين والدخان والحشيش وآلافاً من مثل هذه الكلمات التي وضعها اولو الحرف والمهن والمضطربون في الحياة العملية اليومية من اهل السوق والمصنع والورشة والحقل . ولا حيلة فيما نشأ فيها من الدخيل ، فان الفاظ الحضارة انما ترد الينا من خارج البلاد العربية . والناس متى رأوا الشيء سموه ، والمسمون في الغالب من سواد الامة الذين لا يبالون ان ينطقوا على اي صورة ما داموا يقضون حاجتهم من التفهم والافهام . ويجيء بعد ذلك الصحفيون والكتاب فيجدون اللفظ قد شاع فاذا وجدوه سهلا في النطق سائغاً في الذوق استعملوه والا اهملوه او بدلوه . فالفصحى والعامية تتنافسان في الوضع والنقل والتعريب لا تهادن احداهما الاخرى . فايتهما سبقت الى الشيء الجديد يوم يرد الميناء سمته وفرضت تسميته على الالسنة فالتنكس مثلا ادركها الصحفيون وهي لا تزال في الميادين الحربية الاوروبية فنقلوا لها لفظاً عربياً قديماً هو الدبابة واذاعوه في البرقيات والاخبار حتى عرفه كل قارئ وردده كل سامع . فلما رآها الناس بعد ذلك في مصر لم ينكروا الاسم ولا المسمى .

وأما الاتوموبيل فقد ورد البلاد العربية قبل ان يسمع له الناس اسماً عربياً من قبل فنطقوا اللفظ الاجنبي بلغات عشر ، كما كان ينطق العرب القدماء لفظ اصبح . ووضع الكتاب له بعد ذلك لفظ السيارة وحاولوا ان يعمموه فما استطاعوا وظلت الكلمتان دائرتين في لغة الناس : العربية للكتابة والاعجمية للكلام . وهيهات ان تسلم احداهما للاخرى . ومثل ذلك يقال فيما وضعه مجمع اللغة في عهده الاول كالجمازة للجرس ، والدراعة للبلوزة ، والمنطق للجونلة والمدرعة للجاكتة والسراويل للبنطلون ، فان هذه الكلمات على عربيتها وانطباقها على المسميات الاوربية بنوع من التخريج لم تستطع ان تسير على الافواه ولا ان تجري على الأقلام لانها وضعت بعد ان فشت الالفاظ الاجنبية في الناس ومكن لها الزمن في الالسنة وسوغها التكرار في الاسماع .

فالمسألة اذن مسألة سباق بين الفصحى والعامية . من تسبق منهما الى المعنى الجديد او المخترع سمته وفرضته على الاخرى كما قلت ، ولكن ألسنة الفصحى اقل ووسائلها في النشر اضعف فتغلبها على العامية ابعد مما نظن . فلم يكن بد من قبول الشائع السائغ مما تضعه العامة على مافيه من شائبة العجمة او مخالفة القياس او تغير المدلول : لأن اللفظ متى شاع في معنى او ذات صعب محوه من الكلام وطرده من اللغة . واذا وضعنا بجانبه لفظاً آخر من العربي الفصيح وضعناه ميتاً لأن ثلاثة ارباع الشعب لن يستعملوه والقليل الباقي من اكثر الناس ان يقبلوه . واذا قبلوه واستعملوه اتسع الخلاف بين لغة القلم ولغة اللسان ، وانقطعت الصلة بين اذهان الخاصة واذهان العامة . على ان عمل المجمع المصري للتقريب بين اللغتين ناقص من وجه . ذلك اننا نعتمد في الفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة على اللغة المصرية وحدها وهي كثيراً ما تختلف عن لغات الاقطار العربية الاخرى . فالتموين والتعمير والترقية والاذاعة والتليفون والتلغراف في مصر يقابلها الاعاشة والأعمار والترفيع والبث والهاتف والبرق في العراق . والإلفاظ الدخيلة في عامية مصر اكثرها من الفرنسية والايطالية ومعظمها من الكردية والتركية والفارسية والاوربية ، فقبول المسموع الشائع من هذه اللغات جميعها يوقعنا في الترادف والبلبلة . والطب لهذه العلة لاتملكه الا المجامع اللغوية مجتمعة . ومنهاج العمل الذي اقترح، مبني على اقتراحات ثلاثة :

الاول : ان تتألف في المجمعين السوري والعراقي لجنة لالفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة على مثال اللجنة المؤلفة لذلك في مجمع اللغة العربية .

والثاني : ان يكتسب مؤتمر المجامع اللغوية صفة الدوام والنظام فيجتمع كل سنة لتنسيق الجهود وتوحيد المصطلحات وتبادل وجهات النظر .

والثالث : ان يقوم كل مجمع في بلده بتعبئة قواه او اكثرها لجمع الالفاظ الحضارية : الموضوعة والمسموعة والمنقولة، فيكلف محرريه ان يصنعوا ما كان يصنعه رواة اللغة الاولون من خروجهم الى البوادي ومشافهتهم للاعراب والاخذ عنهم. فيخرج المحررون الى المتاجر والمصانع والمزارع فيسألون كل ذي سلعة وكل ذي صنعة ركن ذي آلة عن اسمها العام واسم كل جزء من اجزائها وكل نوع من انواعها ثم يدونون كل ذلك باوصافه وصوره ويقدمونه الى اللجان المختصة فتصنفه، وتغربله وتعرفه . ثم تتبادل المجامع الثلاثة هذه الالفاظ فتقرر قبول العام منها ثم تحرر بالخاص قوائم تثبت ما يقول كل قطر في كل مسمى لتعرض على مؤتمر المجامع اللغوية حين تجتمع فينظر فيها ويوازن بينها ثم يختار منها او يصرف النظر عنها .

اما منهاج العمل في لجنة الفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة التي الفها مجمع القاهرة فهو تتبع ما وضعه الناس في حياتهم الاجتماعية، وما اقتبسوه في معاملاتهم اليومية من الفاظ لم يضعها الاولون فتجمعها ثم تحققها ثم تعرفها ثم تعرضها على مجلس المجمع ، فاما ان يسجلها كما هي ان بلغت من الشيوع مبلغ الاجماع ، واما ان يؤجلها اذا كان استعمالها لا يزال محصوراً في بلد او مقصوراً على طائفة . فاذا تألف في المجمعين الآخرين مثل هذه اللجنة كما اقترحت واقر اعمال هذه اللجان الثلاث هذا المؤتمر، رجونا ان يجتمع لدينا في زمن قريب محصول وافر من الالفاظ الحديثة المشتركة تصل ما بين اللغة والحياة ، وتقرب ما بين الفصحى والعامية . وفقنا الله جميعاً لخدمة امتنا عن طريق الوحدة اللغوية والثقافية لنعود امة التوحيد كما كانت متحدة في العقيدة والقبلة والكلمة والسياسة، انه سميع قريب .

أحمد حسن الزيات

قضية اللغة العربية - ٤ -

الكتابة العربية

بقلم الدكتور منصور فهمي

يرجع اليونان الى آلهتهم او على لسان حكمائهم قولا مأثوراً فحواه :

اعرف نفسك او تبين حقيقتك . ومهما تعظم المشقة لاستجلاء الحقائق وتبينها في النفوس او في مختلف الظواهر والاحداث. فالغبطة تقارن دائماً محاولة البحث عن معالم الحقيقة . ولقد جاء في مأثورات العرب : ان رحمة الله قريبة لمن يعرف قدر نفسه . وقد تكون مسرة النفوس وانتعاشها من نصيب المتحري لاقدار الامور .

وحين استباز العرب لانفسهم اليوم نهضة شاملة وتوضحوا لبلادهم صحوة باسمة آملة. كان لزاماً عليهم ان يتذاكروا في تأريخ افكارهم ولغتهم وكتابتهم ليبرزوا صورة لنهوضهم ويقدروا قيمة انفسهم ومدى تقدمهم في مختلف الاطوار . لذلك بدا لي ان نتحدث في تاريخ الكتابة العربية بحافز من وحي تلك النهضة التي تستدرجنا لمعرفة جزئياتها ، بل بحافز من الرغبة في الحقيقة التي تقتضي ربط الاسباب بالمسببات ، وتقليب ما لدى التاريخ من الصفحات ومناجاة الماضي ليدلي بما عنده من اثر او خبر . بل بدافع مما تراءى لبعض حين كان فيهم من دعا الى تغيير كتابتنا وخطنا والاستبدال بما كان بيننا منه مألوفاً ومعروفاً. هذه الحوافز والدوافع تلهفت في جمع المظان والمراجع . وتوافدت معها الى خاطري شتى الظنون والفروض وبلغت بي الحيرة مبلغها البعيد عندما حومت لادراك ما صدر من اوائل الاشارات الخطية عند الغابرين الاقدمين ، لان ما توغل منها في القدم لا يشير الا الى حدود قريبة نسبياً من تاريخ الانسان على ظهر هذه الارض ولا يتجاوز العهود القريبة لحياة تلك الانسانية التي ما زلنا نتخبط في فهم كنهها عندما نسائل انفسنا : متى كانت . وكيف كانت ؟ ولم كانت ؟ والى اي مصير ؟ .

ولم يصل بنا البحث في العلم بتاريخ الكتابة والخط وسريانه بين البشر وكيفية استنباطه الى ما يصح ان يعتبر اليقين . فقد اختلف العلماء في الاصول التي ترجع اليها الكتابة العربية . فمنهم من رأى لها نشأة في وادي النيل فوصلوا بين المصرية القديمة وبين عدة من الكتابات وقدروا أن الفينقيين حولوا كتابة المصريين التي قامت على اساس الاشكال والصور الى حروف هجائية سميت بالخط الآرامي . وعلمها الفينيقيون لليونان قبل المسيحية بنحو ستة عشر قرناً . وللآشوريين بعد ذلك . واشتق منها اليونانيون خطهم الذي تولدت منه الخطوط في بلاد اوربا وامريكا وما اليهما . ومن الفينيقي او الارامي الاصيل تولدت اكثر الخطوط التي تكتب بها اللغات الشرقية في آسيا وافريقيا وما اليهما ، وذهب بعض الباحثين الى ان الكتابة العربية والارامية والنبطية بنات ام لم يعثر على تاريخها بعد . وقد اكتشف الاثريون بعد الحرب العالمية الاولى معالم حضارات كانت في الهند وفارس وعاصرت حضارة وادي النيل ، وكل ذلك من شأنه ان يدعو الى الاناة قبل البت في اصل الكتابة .

وعندما تشتت فكرى بين مختلف مذاهب المستشرقين والاثريين . واست من هؤلاء . ولا هؤلاء ، رأيت ان اخلد قليلا الى الراحة من اقوال العلماء واضطرابهم . والوذ بما يريح الحائرين مثلي فافر الى اجواء الأخيلة التي تأخذ صور الاساطير . ولو جاز لي الانس بواحدة منها لانست بما يروى في بعض كتب العرب وما يوضح من تصوراتهم حين ذكروا إن ابانا آدم كتب الخط في الطين ثم طبخه وجعله آجراً . فلما

اصاب الارض الطوفان وجد كل قوم حروفاً لكتابة لغتهم وجاء اسماعيل فوجد الحروف العربية .

وعلى كل حال مهما تبلبل فكري بين نظريات العلماء او انبسطت نفسي لتخيلات المتخيلين، فاني أفرغ من البحث عن المنبع العابر للكتابة العربية فراراً الى منبعها الداني القريب .

واني اقصد بالكتابة العربية ما يطلق عليه عرفاً من اعمال القلم لتصوير اللفظ برسم حروف هجائية او هي بعبارة اخرى نقوش معينة تدل على الكلام . او هي بلغة اهل الفن قدرة موصلة بحركات القلم بين الانامل وفقاً لمذاهب او لقواعد وصناعة يبدو من ناحيتها صورة الناقد الأخاذ .

وبما ان لمؤرخي العرب اقوالا معقدة ومتضاربة في نشأة الكتابة العربية فلا ضير من الالماع الى طرف منها . فعن ابن عباس في كشف الظنون ان اول من كتب بالعربية ووضعها اسماعل ابن ابراهيم ، وروي عن مكحول ان اول من وضع الخط نفيس ونضر وتيماء ودومة من ابناء اسماعيل وانهم وضعوها متصلة الحروف ففرقها هميسع وقيدار — وفي سيرة الحلبي ان اول من كتب بالعربية من ولد اسماعيل نزار بن معد بن عدنان . وقال السعودي ان اول من وضع الخط بنو المحصن من اهل مدين ، واسماؤهم ابجد هوز الى آخر هذه الكلمات ، وقيل انهم ملوك مدين وقيل اول من وضع الخط ثلاثة من طيء سكنت الانبار وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريان واسموا — خطهم بخط الجزم اي القطع لاقتطاعه من الخط الحميري.وقيل ان اهل الانبار تعلموا الخط من اهل الحيرة وقيل العكس وقيل انتقل الخط الحميري الى الحيرة في عهد المناذرة الذين بني ملكهم من نحو قرنين قبل الميلاد. والحميرة هي خط قوم هود ، وهم عاد ارم ، اي عاد الاولى وقال المقريزي في الخطط : القلم المسند هو القلم الاول من أقلام حميرة وملوك عاد . وجاء في ملحق الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون للمرحوم شكيب ارسلان ما ملخصه : ان المستشرق الالماني مور تس يرى ان اصل الكتابة بالحروف كان في اليمن،فاليمنيون هم الذين اخترعوا الكتابة وليس الفنيقيون كما هو مشهور ، وانما اخذها الفينيقيون عن العربية اليمنية ، فكان العرب هم الذين اخترعوا الكتابة في العالم كله وذكر ابن خلدون في مقدمته مبلغ الخط العربي من الاجادة — والاحكام في دولة التتابعة وانتقل منها الى الحيرة حيث كان بها من دولة آل المنذر انسباء التتابعة في العصبية والمجددين لملك العرب بارض العراق . ومن الحيرة لقن الكتابة اهل الطائف وقريش ومن اوائلهم سفيان بن امية او حرب بن امية .

ولا اريد ان استرسل مع هذه البلبلة ، وحسبي عبارة المرحوم عبد الفتاح عبادة في كتابه المسمى انتشار الخط العربي اذ قال : من المحقق ان اقدم اشكال الخط العربي : الشكل النسخي والشكل الكوفي ،واولهما يتخلف عن الخط النبطي وقد تعلمه العرب من الانباط في حوران اثناء رحلاتهم الى الشام ، وثانيهما متخلف عن الخط السطرنجلي السرياني تعلمه العرب من العراق قبل الهجرة بقليل وكان يعرف الخط الكوفي قبل الاسلام بالحيري نسبة الى الحيرة وهي مدينة عرب العراق التي ابتنى المسلمون الكوفة بجوارها ، والكوفة كما هو معلوم اختطت في زمن عمر ونزلت فيها قبائل من اليمن نشروا فيها كتابة المسند ، وكانت اوفر حظاً من غيرها من الكتاب فسميت الكتابة بالكوفي من باب التغليب ، في حين كان يوجد

خط بصري ومكي ومدني على نحو هذه القاعدة . ودخل الخط في الحجاز حين نزل مكة رجل من كندة، هو بشر بن عبد الملك، وكان قد تعلم الكتابة من الانبار فتزوج الصهباء بنت حرب اخت ابي سفيان فتعلم ابوها حرب بن اميه الخط من بشر وكذلك تعلم منه جماعة من قريش ، وفي هذا قال شاعر من اهل دومة الجندل يذكر قريشاً بفضل كندة عليها :

فلا تجحدوا نعماء بشر عليكم فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
اتاكم بخط الجزم حتى حفظتم من المال ما قد كان شتى مبعثرا

ويروى عن ابن عباس انه سئل : من اين اخذتم معاشر قريش هذا الكتاب العربي قبل ان يبعث محمد فقال : عن حرب بن امية ، فسئل : ممن اخذه حرب فقال : من عبد الله ابن جدعان الذي اخذه عن اهل الانبار . وهؤلاء اخذوه عن الحيرة ، واهل الحيرة اخذوه عن طارئ طرأ عليهم من اليمن.

ويلوح من هذه الروايات ان اوائل من كتبوا من قريش في مكة كان حرباً ومعاوية ويزيد ابن ابي سفيان بن حرب ، وعلم الكتابة عمر وعثمان وعلي وطلحة وابو عبيدة وعلمها من النساء الشفاء بنت عبد الله العدوية التي علمت حفصة زوج النبي بأمر منه . اما المدينة فجاء في السير ما يفيد ان النبي حين دخلها مهاجراً وجد فيها يهودياً يعلم الصبيان ، وكان فيها جماعة من الرجال يكتبون منهم سعيد بن زرارة والمنذر بن عمرو وابي بن كعب وزيد بن ثابت وغيرهم. ومن هذا يبدو ان المدينة تقدمت على مكة في الكتابة . وعني الرسول بنشر الخط عناية بالغة فحين اسر المسلمون في وقعة بدر جماعة من قريش وكان فيهم كاتبون جعل النبي فدية من يكتب منهم تعليم عشرة من مسلمي المدينة . وبذلك انتشرت الكتابة فيها وفيما دخل في حوزة الاسلام من الامصار وتنافس القوم في تجويدها لاختيار الرسول مجوديها لكتابة رسائله التي كان يبعث بها الى الملوك . ومن كتابه المجودين شرحبيل بن حسنه وعلي وعمر وزيد بن ثابت ومعاوية وغيرهم . وفي اواخر العصر الأموي واثناء حكم العباسيين دخلت اسباب التحسين في الخط على نحو من التدريج والتوسع ، فادخل قطبة المحرر احد الموالي في العهد الأخير لبني امية قواعد الخط الجليل والخط الطوماري واشتهر بعد قطبه من اهل الشام الضحاك بن عجلان واسحق بن حماد في خلافة السفاح والمهدي . وفي نحو القرن الحادي عشر تحسن الخط النسخي على يد الوزير ابي علي محمد بن مقلة . وظهر بعده جماعة من الخطاطين هذبوا طريقته اشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب في القرن الحادي عشر وياقوت الرومي – المستعصمي في القرن الرابع عشر ، وتفرعت عدة فروع من الخط الكوفي والنسخي اشتهر منها الثلث والتعليق والريحاني وسار التفرع الى الديواني والفارسي وكان عدد الاقلام في اوائل الدولة العباسية نحو اثني عشر قلماً لكل منها موضوع خاص في المحاريب وابواب المساجد وجدران القصور ومخاطبة الحرم والامراء وكتابة البيعات والعهود والسجلات وهلم جرا .

وفي عصر المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط ووجدت خطوط اخرى اهمها القلم الرياسي نسبة الى واضعه ذي الرياستين الفضل بن سهل ، وبلغ عدد الخطوط نحو العشرين

وقد اشتق من الخط الكوفي الخط المغربي وهو من اكثر الخطوط انتشاراً واستعمالا اتخذه الاندلسيون في القرن الوسطى وكان يسمى خط القيروان ، نسبة الى عاصمة المغرب المؤسسة في القرن السابع الميلادي وله سمة الاستطالة ولما انتقلت العاصمة من القيروان الى الاندلس ظهر فيها الخط الاندلسي او القرطبي وهو يميل الى الأستدارة. وتولد من الخط المغربي في القرن الثالث عشر الخط السوداني في تمبكتو اذ كانت مركزاً اسلامياً تجارياً هاماً .

ولما تضعضعت الخلافة ببغداد انتقل الخط والكتابة والعلم الى مصر وما يتصل بها وانتظمت اشكال الحروف وفقاً لقوانين معلومة بين الخطاطين حفظ لنا القلقشندي بيانات قيمة عنها وعن اواسط عصر المماليك في القرن الخامس عشر .

ولما آلت الخلافة الى الترك بعد زوال دولة المماليك ورثوا بقايا التمدن العربي الاسلامي وكان لهم اعتناء خاص بالخط فتناولوه عن يد الاساتذة الفرس وانعشوه واحدثوا فيه خط الرقعة والهمايوني وغيره واليهم انتهت الرياسة فيه . الى ان ضيعوه في الوقت الحاضر ، بعد ان خدمه الكثيرون من سلاطينهم وذوي المقام فيهم . ونذكر منهم السلطان بايزيد وسليمان القانوني ومراد خان ومصطفى خان الثاني واحمد الثالث الذي دخلت المطبعة العربية في عهده في القرن الثامن عشر . وليس من شك في ان الخط العربي وجد عناية منذ بدايته ونشأته ، وجدها من العلماء كالبخاري ومن الخلفاء

— التتمة على الصفحة ٧٠ —

توصيات مؤتمر المجامع العربية

يعلن مؤتمر المجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق من ٢٩ سبتمبر (ايلول) الى ٤ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٥٦ انه حين تنادت المجامع اللغوية العلمية لعقد هذا المؤتمر كانت ترمي الى تحقيق نهضة لغوية شاملة تمكن الامة العربية من مسايرة ركب الحضارة الانسانية العالمية في تطورها في مختلف جوانب الحياة . وكان لابد لذلك من تفاهم تام بين المجامع اللغوية في شؤون اللغة ورسم مناهج العمل في هذا الشأن الخطير حتى تستعيد اللغة العربية سيرتها الاولى التي وسعت الشرائع والعلوم والحضارات القديمة ، وتتجارى في العصر الحاضر مع اللغات العالمية المماثلة .

وقد درس المؤتمر جملة من المشكلات التي عرضت عليه ورأى فيها ما يلي :

اولا : تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية .

أ — يوصي المؤتمر بتأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية ينظم الاتصال بين المجامع العربية وينسق اعمالها .

ب — يتألف الاتحاد من ثلاثة مندوبين عن كل مجمع تختارهم المجامع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . ويضاف اليهم عضو عن كل دولة من دول الجامعة العربية ليس فيها مجمع ، تعينه حكومته ويتمتع بما يتمتع به اعضاء الاتحاد .

ج — تدعو الامانة العامة لجامعة الدول العربية الاتحاد الى الاجتماع في اوقات دورية وتقوم بدفع نفقات اعضائه واقامتهم واجتماعاتهم .

د — يضع الاتحاد في دورته الاولى نظامه الداخلي ويعرضه على المجامع اللغوية العلمية وعلى مجلس الجامعة .

ه — ينظم الصلات بين المجامع العربية ووزارات المعارف والادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

ثانياً : وسائل ترقية اللغة العربية .

أ — يرى المؤتمر ان تلزم وزارات المعارف اساتذة المدارس على تنوع اختصاصهم ، القاء الدروس باللغة العربية الفصحى ، في مراحل التعليم كله ، وفي معاهد المعلمين خاصة .

ب — وان تلتزم الاذاعات العربية اللغة الصحيحة فيما تذيع من احاديث وفي معظم التمثيليات والاغاني .

ج — وان تكون الترجمات للروايات السينمائية باللغة الصحيحة .

د — وان يكثر من استعمال اللغة الصحيحة في الروايات المسرحية

ه — وان يلتزم الشكل الكامل في الكتب المدرسية الابتدائية حتى يعتاد الطلاب سماع اللفظ الصحيح وقراءته ، ويخفف منه في مرحلة التدريس الثانوي حتى يختصر فيه على ضبط ما يشكل .

٢ — نظر المؤتمر في مقترحات تيسير النحو التي اعدتها وزارة التربية والتعليم في مصر فوجد بعد دراستها انها تحتاج الى زيادة في البحث والتمحيص . وقرر تأجيل النظر فيها الى مؤتمر آخر .

٣ — أ : يقرر المؤتمر ان تقرب العامية من الفصحى .

ب — يعنى كل مجمع بجمع الالفاظ الدالة على الاشياء والمعاني الجارية بين الناس فاذا كان اللفظ العامي عربي الاصل — وقد حرف او صحف — صحح واستعمل — واذا لم يكن عربي الاصل نظر في لفظ غيره او اقر استعماله . ثم تتخذ الوسائل لنشر ما اقر واذاعته .

ثالثاً — التأليف والترجمة

١ يوصي المؤتمر تشجيع التأليف وحمايته :

أ — ان تمنح المجامع المؤلفين جوائز او ان تنوه بتواليفهم .

ب — وان تجري مباريات في موضوعات تعينها كل سنة ، وتجيز احسن المتبارين .

ح — ويوصي ان تهتم وزارات المعارف في البلاد العربية باتخاذ الوسائل التي تضمن ملكية التأليف بين البلاد العربية .

د — يطلب المؤتمر الى الحكومات العربية ازالة الموانع والقيود التي تحول دون انتشار الكتب ، واعتبار البلاد العربية وحدة ثقافية ، والغاء المكوس والضرائب التي تفرض على المطبوعات .

هـ – وان تصدر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية نشرات دورية للتعريف بالمطبوعات العربية .

٢ : وفي الترجمة يوصي المؤتمر

أ – بان تعمل المجامع على ترجمة الروائع ذات القيمة الادبية او العلمية من اللغات الاجنبية وان تضع قوائم بامهات الكتب الجديرة بالترجمة .

ب – وان تصدر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية نشرة دورية تبين فيها ما ترجم او ما اخذ في ترجمته او ما تقررت ترجمته الى اللغة العربية .

ج – وان تنوه المجامع باحسن الكتب المترجمة ، او تضع جوائز لها .

رابعاً – المصطلحات العلمية

أ – يوصي المؤتمر بتعاون المجامع والجامعات وسائر المؤسسات العلمية على وضع المصطلحات او تحقيقها

ب – يرى المؤتمر ان يكون اتحاد المجامع المرجع الذي يوحد المصطلحات التي تضعها المجامع والمؤسسات العلمية والعلماء .

ج – ويوصي بجمع القواعد والشروح التي وضعها مجمع اللغة العربية في التعريب وقياسية بعض الاوزان والجموع في كتاب تطبعه الجامعة العربية ليكون دستوراً للمجامع فيما تضع او تحقق من مصطلحات .

د – يوصي المؤتمر الامانة العامة لجامعة الدول العربية بان تكمل ما قامت به من جمع المصطلحات العلمية في كتب التعليم الابتدائي والثانوي في البلاد العربية وان تطبعها في كتاب بعد ان يقرها اتحاد المجامع .

هـ – يوصي المؤتمر بوضع معجم انكليزي فرنسي عربي شامل للمهم من المصطلحات العربية والمعربة ، على ان تعرف الالفاظ منه بالعربية تعريفاً موجزاً ، وتقوم الامانة العامة بالتعاون مع اتحاد المجامع باخراج هذا المعجم .

و – يوصي المؤتمر باتخاذ الوسائل لتكون اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات .

خامساً : تحقيق المخطوطات ونشرها

أ – يوصي المؤتمر بان تتخذ الحكومات العربية التدابير الوقائية الفنية لحفظ المخطوطات من التلف والضياع وان تصور مخطوطات كل مكتبة وتزود كل مكتبة بالآت تصوير المخطوطات وقراءتها .

ب – يوصي المؤتمر بان يعاد طبع عيون الكتب التي نشرها المستشرقون طبعاً علمياً على ان تعارض على نسخ مخطوطة اخرى اذا امكن ويوصي باكمال السلسلات التي بدأها المستشرقون كالمكتبة الجغرافية وغيرها .

ج – يوصي المؤتمر بان تعنى المجامع ودور الكتب ومعهد المخطوطات بنشر المعاجم وما في بابها ، والكتب الكبيرة وان تعمل المؤسسات العلمية في كل قطر على نشر الكتب المتعلقة بقطرهم .

د – يوصي المؤتمر بان ينسق العمل بين المجامع ومعهد المخطوطات على الوجه الآتي :

(١) التقريب بين طرائق نشر المخطوطات في البلادالعربية

(٢) يرسل معهد المخطوطات قوائم دورية بأسماء الكتب التي صورها الى المجامع .

(٣) تتبادل المجامع ومعهد المخطوطات قوائم بأسماء ما يحقق من المخطوطات او ما هو تحت الطبع .

(٣) يوصي المؤتمر بان تشجع المجامع ومعهد المخطوطات تحقيق الكتب القديمة بطبع ما تراه جديراً بالنشر وبمكافأة المجيدين من المحققين .

يوصي المؤتمر بان تتعاون المجامع على اعداد جزازات لمفردات اللغة قديمها ومستحدثها مضافاً الى ذلك ما تتفق عليه المجامع الثلاثة من المصطلحات العصرية تمهيداً لتأليف معجم واسع شامل .

في حقل الدم

« تلقى الأخ العربي المناضل (ي. ف) رسالة من اخيه في باريس يخبره فيها أن جيش الإستعمار الفرنسي داهم قرية (...) للبحث عن المجاهدين والتعرف على تحركاتهم .. ولما لم يجد ما يبل صداه .. احاطت مدفعيته الغاشمة بالقرية ، ودكتها عن بكرة ابيها ...

وفي نهاية الرسالة ... يبعث اليه بتحية الكفاح والحرية والدماء الى الاشلاء المتناثرة من أجساد ابيه وامه واخواته واخوته الشهداء الابرار .

وعاشت الجزائر عربية حرة مستقلة .. »

أكاد احسُّ دبيب الألم !
تندّى دموعاً ودم !
ونزّت خطاه من الغمغماتْ
عصارى عذاب السأم
وذابت بأعراق قلب الحياة
وضجت حيارى طلولُ العدم
ومرعى الندم
هناك ، ومن اين اهوى الضياء ؟
ومات مع الفجر حلمُ الرجاء
ورفت رؤاه لمثوى الرمم
وطفل هناك على الرابيه
جديل ، وانفاسه في الفضاء !
خيالات مجزرة غافيه
تزمرها هدهدات النهر !
ونجوى السحر
ومن شرفات العدم
يطل الوجود دجيّ السمات
كأنقاض سور القدر
تلوّث بالطين ، ملء الجراح
وجنّح للوهم يحسو الرياح
وأغفت على الرمل بقيا بشر !

* *

أكاد احس هوان الحياة
صراعَ السنين ، ويوم النشور
خطايا العصور
تسلل في خافق من جليد
تراءت بعينيّ دنيا تدور
على واحة من عبير الصديد
ومرآى قبور
ومنجى سراب بليد
ولا شيء عبر المدى والفلاة
سوى نكهة من هشيم الرفات
تعطر انفاسها .. العاصفه
وتعرى جراحاتها النازفه
وتشربها في الصعيد
قناديل من اعرق راعفه
تشظت من النور عبر الجسور
وآفاق منحدر الهاويه !
على هيكل من شظايا سقر !
وسور القدر
واجهاض زوبعة داويه !

* *

أكاد احسّ شفاه الذهول
تمصّ عروق الذبول
وأشعر بي ، من جنون رهيب !
رياحاً تولول في اضاعي
خريفاً من الهم يعوي معي
على همهمات القدر
ويصحو معي
جنون من النار غبَّ الأفول
كأسطورة لن تموت
تراقص اشباحها في المغيب
على ملتقى من صموت
تكوّر في عشه عنكبوت !
وبقيا بشر !

* *

أحس ، احس جنون الصدى
وأسياط حلم الردى
شظايا من الموت في غربتي
تمدّ الفدا !
وتدمي المدى
وتجترّها في الثرى طفلتي
وأمي على المنحدر
هناك ، مع القرية الخاويه
بأشلائها الثاويه
تسائلُ مزرعة داميه
وأغراس حقل الدم
تهفهف شوقاً الى عودتي
وقلبي الظمي ..
يحن اليها من الذكريات
ويخنق شدق الضجر
وفيه تضج الحياة
وزمزمة الثأر : مات القدر !
... سألقاك في ارضنا الحرة ...

بيروت — علي الحلي

رد على تعليق الدكتور يوسف ادريس

الأديب والدولة أيضاً

بقلم فؤاد الشايب

في جلسة المناقشة المقررة لمحاضرتي في مؤتمر ادباء العرب رددت على المناقش الرئيسي الدكتور يوسف ادريس عضو الوفد المصري ، وعلى بعض المناقشين خلال نحو من نصف ساعة ، ثم اراد رئيس الجلسة ، العلامة الاستاذ بهجة الأثري ان يحسم الأخذ والرد بين المناقشين وبيني ، متمسكاً بدستورية النظام الذي ينهي زمن المناقشة في الساعة السابعة مساء ، وكان لابد من احترام النظام ، فانحسم الجدل ، واحتفظت لنفسي بكرّة ثانية على الدكتور ادريس ، اعلنتها له فور انفضاض الجلسة . ثم عندما ذكرّني الصديق الدكتور سهيل ادريس صاحب (الآداب) بالكرّة الثانية بعد صدور العدد الممتاز وكنت قد قرأت فيه بتمهل تعليق المناقش على المحاضر ، ازددت يقيناً بأنه لا ندحة لي من هذا اللقاء على صفحات الآداب ، وقد خرج الموضوع من طوق المؤتمر ، الى جميع القراء العرب .

كان الدكتور ادريس — لو رأيتموه — بادي الانفعال ، عندما اعتلى المنبر ، ولخص امانيه منذ الاستهلال أنه يرى في هذا المؤتمر جذور الوحدة العربية وسيقانها .. ويطمع على الفور في ازهارها وثمارها . وأننا — كلنا — لم نجتمع لنبحث في التاريخ ، ولا في حقائق الانسان ، بل عقدناه لحاجة ، هي ان نتكتّل لنواجه الاستعمار .. وان نناقش ما يفيد .. وان نتفق ! « وان هذا المؤتمر ليس بسوق عكاظ — كذا — ولا بميدان لاظهار العضلات .. ولا بمدينة بيزنطية ! حاجتنا الدفاع عن النفس .. حاجتنا ان الانكليز يتهيأون للانقضاض على مصر وسورية .. الخ »

ولعله من الواضح للقارئ من انطلاق هذه الغضبة المنبرية انني لم اعزل وحدي من ميدان يوسف ادريس ، بل عزل معي مؤتمر الأدباء العرب برمته ، ومعه كل ما وضع للمؤتمر من بحوث في الفن والأدب ، لأن الاخ يوسف يريد ان يتسلق بسرعة من (سيقان) الوحدة الى ثمارها .. هكذا ، ودون تفكير ، ولا عرض آراء شخصية ، ولا (ما يراه فلان او مالا يراه) وكأني به لا يبتغي هذه الثمار إلا ثماراً فجة تضرس بها الأسنان ، وحسبه انه بلغها .

وهو يعتقد او يريد ان يقنع اعضاء المؤتمر ، انه لم يعقد في هذا الوقت بالذات — كما قال — عبثاً . ونسي في فورة الحماس ان المؤتمر دعا اليه ادباء سورية منذ عامين — ولم يقصدوا عقده في (هذا الوقت بالذات) لسبب رئيسي هو انه كان مقرراً سابقاً . وان هؤلاء الأدباء من سورية — وهم بعد عرب — بل من اكثر العرب شعوراً بضرورات الوحدة القومية ، وفروض السلامة الوطنية ، قد اعلنوا مع زملائهم من شتى ديار العروبة في المؤتمر الاول للادباء المنعقد في بيت مري — لبنان منذ عام ١٩٥٤ — توصيات قومية محكمة التفصيل والاجمال ، جماعها (ان لا حرية لأديب في وطن غير حر) وان هؤلاء الادباء في سورية ، يعرفون كيف يعطون ما لعكاظ ، لعكاظ ، وما لقيصر لقيصر ، دون أن يربطوا الفكر الى عجلة الحماسة المهوشة ، ودون ان يكونوا بحاجة على كل حال ، الى دروس منبرية ، وهي دروس — ليسمح لنا الدكتور ادريس ان نقول — فيها تعال ، وفيها تلقين وفيها نرسيسية ساذجة .

هؤلاء الأدباء ، وهم غير غافلين عن خطر الاستعمار ، انما جاءوا ليدرسوا ويناقشوا ، قضايا فكرية وفنية ، وضع الأدباء السوريون مناهجها — تقوم فائدتها على صعيد البحث فيها ، وعلى حصاد الجدل حولها وعلى ما يتجمع على هامشها

من حجج موضحة ، وافكار معبرة ، وان عدم الاتفاق فيها لا ينقص من قيمة مواضيعها ، وضرورة معالجتها وتبسيطها ، رغبة في توسيع آفاق الثقافة العامة . وعلى الأخص في شؤون السياسة والحكم والاجتماع وحقائق الأنسان التي عالجها الفلاسفة والحكماء والعلماء ، واسترشد بها الساسة والقادة والمصلحون . وعلى هذا الأساس ، فان اعضاء المؤتمر ليسوا مجلس وزراء منعقد في حالة طوارىء — كما قالت للمناقش في جلسة المناقشة — وما جاءوا ليصدروا قررا اجماعياً ، من نوع قرارات اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، وان يكن من المؤكد ان توصياتهم الفكرية في المجال القومي ، خليقة بأن تأخذ بالضرورات القائمة ، وتصدر عنها — كما جرى فعلا في بلودان ، وكما جرى في بيت مري من قبل .

من روح هذه الغضبة المنبرية ، طفق المناقش يصب اسئلته الناقدة — ولا اقول الحاقدة — على المحاضرة ، حتى ليمكنني ان اعتبر الخصومة غير فكرية ، وخارجة عن الموضوع وغير حقيقة بالرد ، لأنها واضحة القلق والاضطراب . على انني اذ اتناول بعضها بالمناقشة ، فلكي استمر في ابراز شطط المناقش في فهمه القضية القومية ، وكأنها منفصلة عن روح البحث ، وحب المعرفة ، وقيمة الثقافة في استقراء التاريخ ، وحقائق تطور الأنسان . مثال ذلك انكار المناقش ان يكون كتاب العرب في مؤتمر بلودان . كتاب الانسانية جمعاء مؤكداً اننا كتاب عرب فحسب .. ومؤتمرنا محدود بزمانه ومكانه . ولعلي بحاجة الى تذكير الدكتور ادريس ومن يشرب من فكرته هذه ، اننا في طموحنا الى تحقيق اهدافنا القومية الكبرى ، انما نصدر عن نزوع قومي وانساني معاً ، لأن الصراع العربي ، جزء لا يتجزأ من حركة كونية انسانية ، كانت في الماضي البعيد والقريب وتستمر اليوم وغداً في سبيل تحرير الانسان من ظلم الوحش ، وقلب اوضاع دولية فرضها الأقوياء بالسيف . وانها لمن الصلابة ، حتى أنها لا تؤخذ الا بمقاومة انسانية عامة ، يمثل العرب اليوم انصع وجوهها ، واعنفها بشيراً ونذيراً . وانها لتأخذ بالتوسع في الآفاق العالمية حتى لتغدو الخطر الأكبر الذي يهدد الاستعمار في قارتي آسية وافريقيا .

ان جهادنا جهاد انساني كبير ، يفرض علينا نحن الأدباء ان ننهض له بالمعرفة الشاملة الى المستوى الانساني ، الذي يجمعنا الى التيارات الثقافية العالمية ، والى احرار الفكر في العالم اينما وجدوا ، وفي ظل اي دولة أقاموا ، لأن اللقاء في تلك الأجواء الانسانية الحرة ، على ضوء منائر التاريخ والعلم ، والتعارف بالمعرفة ، هو بالتالي سبيل الى ملتقى ملايين البشر في حلبة مقاومة واحدة ، ضد جبهة الاستعمار والاستثمار ، التي هي جبهة واحدة ايضاً .

اما انني نسيت ان هناك دولا باغية مستعمرة .. ودولا اخرى صاحبة حق .. !! لم انظر الى دولها وادبائها .. كما يزعم الدكتور ادريس — فحسبي ان احيله الى الجزء الأخير من محاضرتي ، عندما اعطيت الدليل بالمشاهدة ان الانسان بالحرية يرتفع فوق باطل قومه . مهما كان هذا الباطل خادع الملامح — كذلك ارتفع (ويلز) الانكليزي يطالب برأس الأمبراطورية البريطانية — امبراطورية بلاده — في سبيل السلام ، وكذلك جابه (جود) الانكليزي قومه — الانكليز — بأن ثمانين بالمئة من ثروة الأمبراطورية تذهب الى ستة بالمئة من اهل بريطانيا .. فنعم الاستعمار اذن .. اذا كان ظلماً للشعوب ، ومقراً وهواناً لكل الجزيرة البريطانية ؟! وهل في هذه الالتواحة الصغيرة عن بريطانيا بين اديبين من كبار ادبائها ما هو اشمل للفكرة التي يتهمني المناقش باهمالها ؟ . والا فما ادري بالحق من اية نافذة ضيقة يريدني المناقش ان اطل على موضوعي . ؟

فلأؤكد له مرة ثانية ، ان ادباء العرب في هذه القرية السورية الصغيرة حيث اجتمعوا ، هم ادباء الانسانية جمعاء بحكم النضال القومي ، الذي يشرفهم ان يعلنوه نضالا انسانياً وبحكم الثقافة التي تمتح من ينابيع الانسانية فلسفة وعلماً وتاريخاً وبحكم المواضيع التي اثاروها للبحث في مؤتمرهم الثاني ، كالأدب والنقد ، والأدب والفن والأدب والدولة ، والأدب والمستوى العالمي .

انهم ادباء الانسانية جمعاء هؤلاء الذين اجتمعوا في قرية سورية نائية ، اذا ارادوا ، واذا استطاعوا ان يرتفعوا بالحق وبالحرية الى المستويات العليا . وليس الا بارادتهم الواعية ،

وثقافتهم الجامعة يبلغونها . وليس الا بهما نخرج الفكر العربي بالقضية العربية الى المواقع التي لا تستطيع قوة ان تهزمها ، لأنها غدت تسير في موكب انساني لا تجرؤ عليه الذئاب ، وليس بعد الآن ، قافلة ضالة في صحراء مجهولة تنبحها الكلاب ، وتهيم في ظمئها وراء سراب .

بل انني اتهم المناقش بتهمة اقلها انه لم يقرأ المحاضرة – لأنها طويلة – كما قال الاستاذ يوسف السباعي . ولم يكلف نفسه بعض العناء في رد بعض اجزائها على بعض . فقد وقف عند بعض آراء لم ترق له في مذهبه ، وهو حر ، فتحامل على الكل بالجزء ، وقذف الكثير بالقليل ، واخذ يعصف باحكام سريعة ، ذات انشاء متراليوزي ، كأنها قرارات محكمةعسكرية ، اوكأنها ضربات مبضع من طبيب ما تعود صبره المعالجة الحكيمة . فهو يأخذ علي انني تمثلت بثلاثة او اربعة من الفلاسفة ، اصطفيتهم ، وجعلت منهم انبياء . الواقع انني استعرضت مذاهب وفلسفات عدة ممن ذكرت اسماءهم ، اوذكرتهم بمذاهبهم ، في ميادين المدارس الفلسفية والعلمية ، كما هو واضح في المحاضرة ، على ان اصطفائي بعض الأسماء للتمثيل ، عبر مراحل التاريخ الحافل من القرن السابع عشر حتى اوائل القرن العشرين ، – قد يكون اصلح لدراسة منه لمحاضرة كما قال لي بعض الاصدقاء – ولكنه لا يخرج كما ارى عن كونه عرضاً لتطور فكرة الدولة والفرد ، كيف تحتز الفكرة الى جانب الدولة ، مع تطور الحاجات وتراكبها ، ضد الفرد الذي يحاول محاولاته للافلات منها – الدولة اينما كانت والفرد اينما كان – . وقد كان العرض واضحاً في ان الدولة لابد لها وهي تنظم الحرية الفردية لأجل الخير العام من ان تتدخل عندما يعجز الفرد او عندما تصبح حرية المئات عبودية للملايين . وكنت واضحاً في قبول ضرورة التدخل لتنظيم القيم الاجتماعية ، كالأرض ، والثروة ، والعمل .. الخ ..

كذلك لم افترض وجود دولة خيالية وفرد خيالي، كمازعم المناقش ، بل مررت بشتى النظريات الفلسفية ، والمذاهب السياسية كما عرفت في اوروبة واميركة ، ومع المبادئ الاشتراكية الثورية ، والاشتراكية التطورية ، وفي هذا دليل آخر على ان المناقش لم يستوعب محاضرة المحاضر . كذلك لم اتوسع في حديث (الفرد) الا لأن الأديب او المفكر او الفيلسوف او صاحب الفن هو فرد في المقام الأول ، لا يجوز لنا ان نتعرف الى واقعه الا من حيث تنظر الدولة الى افرادها . فاما هي ضيقت عليهم ، كان مجال الفرد المفكر اضيق ، وان هي اطلقت بمقدار ، كان مجال الفرد المفكر مطلقاً على هذا الغرار . فالتقديم لدراسة موقف الأديب ، على ضوء نظام الحكم في الدولة ، ضرورة ملزمة لكل باحث ودارس .

على انني اخرجت قيم الجمال والحق من حيز القيم الأجتماعية الى حيز القيم غير الاجتماعية ، حتى لا اترك للدولة حق التدخل والالزام ، لأنني ان وجدت لها مبرراتها في تقييد يد الفرد ، فلن اجد لها مبررات تعفر جبينه ، والتحكم في قيمه السامية فهو ان وضع الكبل في يديه ، لضرورة اجتماعية ما ، فانه يابى ان يضع رأسه بين قدميه . وما مجد تاريخ الانسان كله الا في هذا الصراع الأبي . ومن هذه الزاوية عالجت موضوع الالهام والالزام ، عبر صفحات زعم المناقش انها عشر المحاضرة ، وهي ثلثها على الأصح . وهنا لابد لي من كرة ثالثة على الدكتور ادريس ، لاوضح الهدف الذي رميت اليه من تنظيم القيم الاجتماعية ، واطلاق القيم غير الاجتماعية ، وعمل صاحب الفكر والفن والعلم بين الالهام والالزام ، وارجو ان لا يضيق بالكرة الثالثة صدر هذه المجلة ، او صدر الدكتور ادريس ، والى اللقاء .

دمشق **فؤاد الشايب**

الظلام العفن

قصة بقلم جورج طرابيشي

– لماذا أنا هنا ؟

هذا هو السؤال الذي كان يطرحه على نفسه مئات المرات منذ ان سجن ورفع يده وأمرها على جبينه ثم عينيه وانفه وكأنه استيقظ من النوم تواً

لماذا تركت القاهرة ؟

ولم يحاول ان يجمع خيوط الجواب في ذهنه ، خوفاً من ألا يجد الجواب المطلوب . كان اشد ما يضايقه منذ شهرين – إن لم يخطئ الحساب – هو هذه الظلمة العفنة اللاصقة بكل ذرة من جسده . كان يكره الظلام ، وخاصة الظلام العفن الذي يحمل في طياته كل ما يمكن ان يأتيه البشر من شر . وكان الظلام يذكره دائماً بحادثة لم تستطع ايدي الزمن محوها من ذهنه ... كانت الليلة دافئة عندما خرج من البار وهو يتمايل الى الجهتين ، وقد اثقل رأسه بزجاجتين من الشمبانيا ، وكان تواقاً الى جسد امرأة ، الى انثى تغمره بالدفء بعض الساعات . كان يسائل نفسه عن السبب الذي حدا بالفتاة التي كانت تجالسه الى رفض دعوته بالذهاب معه الى الفندق لقد تملكه العجب عندما عرض عليها ذلك فرفضت بلهجة قاسية ، ليس من عادة امثال هذه الفتاة ان يرفض مثل هذه الدعوة . ولكنها رفضت ... هذا كل ما استطاع ان يحتفظ به في ذاكرته المتعبة .

– اني مستعد لأن ادفع لك ما تشائين .

وتطلعت اليه وأجابت وهي تحاول ان تجعل لهجتها لطيفة :

– اني آسفة ، فأنا لا استطيع ..

واعاد العرض مرة ثانية وثالثة وعادت الى الرفض . وتصاعد الدم الى رأسه بل كاد ان ينفر من عينيه ، وامسك بذراعها يشد عليها بقسوة ولذة وصاح :

– ستأتين معي مهما حدث . اليست هذه مهنتك !

وأنّت الفتاة وهي تحاول ان تخلص ذراعها ثم صرخت بلهجة متألمة

– لا ! لا اريد الذهاب . أتفهم ذلك ! اترك ذراعي ايها المعتوه

هو المعتوه .. لم يسمع ابداً من يقول له مثل هذه الكلمة ... ورفع يده عن ذراعها لا ليطلق لها حريتها بل لينهال عليها ضرباً ولكماً وهو يزمجر

– سأعلمك ايتها الكلبة لمن تقولين له : معتوه ! ايتها القذرة ! بنت ...

واقبل صاحب البار والخدم محاولين فض النزاع بينما كان جميع الحضور يحدثون به وبالفتاة وقد ملأت النشوة رؤوسهم ، والتمعت عيونهم سروراً وعندما كان يغادر البار اقترب منه صاحب المحل هامساً بأذنه :

– انها لم تزل عذراء يا سيد محمود ، وهي جديدة في المهنة ، ولكني سأتخلص منها على كل حال ...

انها لما تزل عذراء ... اذن فهذا هو سبب رفضها الذهاب معه الى الفندق .. يا له من حيوان حقير ! كيف ضربها وشتمها ؟ ولكن لم اختارت هذه المهنة ما دامت تريد الاحتفاظ بطهارتها ؟ وظل هذا السؤال يدور في عقله طيلة يومين كاملين بعد الحادثة ، ولم يستطع ان يجد له جواباً الا عندما طالعته صحف الصباح بنبأ العثور على جثة فتاة في النيل ، وبجانب النبأ صورة الفتاة . وكانت هي نفسها الفتاة التي رفضت الذهاب معه الى الفندق . لقد انتحرت وساد في نفسه منذ تلك اللحظة انه هو سبب انتحارها ، ولولاه لما غادرت مثل هذه الروح البريئة الفردوس الأرضي .

وعاش طيلة السنوات الاربع التي تلت الحادثة اسيراً لضميره .. لقد كان السبب في موت فتاة بريئة لأنه احب في يوم من الايام ان يلهو في الظلام العفن . وكان يريد دائماً ان يهرب من ضميره .. من شبح الفتاة وهي تجيبه :

– اني آسفة ، فأنا لا استطيع ...

ولكن رائحة الظلام العفن كانت اقوى من ارادته فراح يسعى ابداً الى عمل يكفر به عن جريمته .

وعمل صحفياً بعد الحادثة ، واصاب نجاحاً مرموقاً في مهنته هذه ، واطلع على مآس كثيرة منها ما هو اقسى من مأساته ، الا انه لم يتمكن من نسيان الفتاة ولا الرغبة الحيوانية التي تملكته عندما ضربها ولكمها .

– لقد مضى وقت طويل جداً منذ ان غادراني . لابد ان حكم الاعدام قد نفذ فيهما ، بل لابد ان الدود قد بدأ عمله بالجثتين ، هذا اذا دفنا .

ولم يرتعد عندما تخيل منظر جثتين مربوطتين الى عامودين من الخشب وقد اخترقهما الرصاص فأصبحتا اشبه بالغربال يتدفق من ثقوبه الدم . لقد اعتاد على مناظر الموت والرصاص والجثث . وسيلاقي هو نفس المصير بعد قليل .

ولكن الدود ! يا الهي ! سينهشها الدود !

واخذته رعدة شديدة ولم يشعر الا وهو يتقيأ . كان التفكير بالدود اقوى من ان تحمله اعصابه . وحاول ان يتبين ما تقيأ ولكن الظلام الكثيف منعه من ذلك . وخيل اليه ان عدداً كبيراً من البزاق يحتل كل مكان من جسده : يديه ورجليه ووجهه وحتى داخل فمه وامعائه . وكانت كل بزاقة تحمل اليه آلاف الاطنان من القرف والعفونة . واستعد للقيء مرة ثانية لولا انه تخيل جثته والدم يتدفق من ثقوبها .

وعلت الابتسامة شفتيه وهو يتصور نفسه وقد قادته مفرزة من الجنود الى ساحة السجن العريضة ، وهناك ربط الى عامود خشبي وقد وقفت على بعد عدة ياردات منه دزينة من الجنود . ويصيح بهم قائدهم فجأة :

– استعد !

وتنتصب قامات الجنود ، وتشتد قبضاتهم على بنادقهم . ويصدر القائد امراً آخر ويملأ الجنود بنادقهم ..

– صوب !

وتتجه افواه الاثني عشرة بندقية اليه . ولعله سيسأل نفسه عندئذ ماذا سيحدث له عندما ينطلق القائد بالكلمة الأخيرة ؟ تراه بماذا سيفكر في تلك اللحظة الاخيرة ؟ وهل سيتركون له مجالا للتفكير ؟ وتتدفق الحروف :

– نار !

وتنفجر البنادق ويتدافع ازيز الرصاص الى اذنيه حاداً مؤلماً ... ثم يدخل في عالم جديد مجهول

لقد كان غريباً ان يطلب من تلك الفتاة ان ترافقه الى الفندق . وكان غريباً ان تلقي بنفسها في النيل ، وكان غريباً ان يموت رفيقاه ليلحقهما هو بعد قليل . انه سيعدم بعد لحظات ، وكان من المفروض عليه ان يتشبث بالحياة ان يشعر بالخوف . لقد مات كثيرون واعدم الكثيرون ، والحياة تتابع جريانها . ان جل ما يتمناه هو ان يكتب احدهم قصة عن موته . كان يتمنى ان يكون حظه كبابلو بطل قصة « الجدار » لسارتر . لقد ارتعد بابلو من الموت وتشبث بالحياة كثيراً . اما هو فلا تهمه الحياة الآن ابداً ، انما يرغب

في امر واحد هو ان يعيش الآخرون جزءاً من قصته ، ان يطلعهم على خبايا نفسه ، وعلى الظلام العفن الذي عاش فيه مرة . كان الامل الوحيد الذي تبقى له هو انه يموت في سبيل الآخرين ، في سبيل الفتاة التي انتحرت ، وان الآخرين يشاركونه في موته .

كيف سيشعر عندما يقف القائد ليأمر باطلاق النار ؟ لا ريب انه سيرتعد. لو كان بجانبه آخرون ، لو احس بأنفاس الآخرين تلفح وجهه ، لما ترك ثغرة في نفسه يتسرب الخوف منها . لو كان معه الآخرون لغنوا وانشدوا بل لألقى بعضهم نكتاً . ولكنه سيعدم وحيداً . ان المأساة الأكثر ألماً في الحياة هي ان يموت الانسان وحيداً لا يشاركه الآخرون ...

– لماذا انا هنا الآن ؟

كان رئيس الصحيفة التي يعمل فيها يحبه كثيراً ، وكان كل شيء يسير على ما يرام الا ذكرى فتاة البار . وكان يعتني بالانباء القومية ، ويحاول ان يشرح على صفحات الجريدة التي يعمل فيها جميع مراحل النضال التي يخوضها العرب في جميع اقطارهم . وعندما اشتعلت الثورة في المغرب العربي اخذ يتتبع اخبارها ويتلقفها من كل مصدر : من الاذاعات والصحف العربية والفرنسية ، ويقوم بكتابة الريبورتاجات الشيقة عن الثورة والمغرب . وفي غمرة انهماكه في عمله هذا تناسى قليلا حادثة فتاة البار لأنه بدأ يعيش جزءاً من حياة الآخرين ، جزءاً من ثورة المغرب . وكان اروع ما تعلمه من هذه الثورة ان الانسان يستطيع ان يناضل حتى ضد الظلام العفن . وخمدت الثورة في تونس وتبعتها مراكش بينما اشتد اوار المعارك في الجزائر . وراحت الحكومة الفرنسية تضرب ستاراً من الصمت والكذب حول حقيقة المعارك ، وصمتت الصحف العربية او كادت عن الجزائر . وعندئذ رأى ان الفرصة قد سنحت اخيراً ، فجاء الى رئيسه طالباً منه ان يأذن له بالذهاب الى الجزائر ليتتبع من هناك انباء الثورة كما هي لا كما تذيعها الحكومة الفرنسية .

وجاء الى الجزائر ، واحس بالخوف عندما سمع اول طلقة نارية ، وتلتها طلقات ، واعتاد على كل شيء ... كان يستقبل في كل مكان بالترحاب ، وكان السؤال الذي يطرحه عليه المناضلون عندما يعلمون انه من مصر :

– ماذا تعلم عن جمال عبد الناصر ؟

وكان يروي لهم قصة جمال وقصة مصر . وكم احس بالحرج بل بالخجل لما استقبل به من حفاوة . كان يحاول ان يكون كالآخرين ، الا يفترق عنهم . وتجرأ يوماً فألقى سؤالا على جماعة من المناضلين :

– لماذا تستغربون حضوري بينكم ؟ ألست عربياً مثلكم ؟

وجاء الجواب من احدهم :

– حقاً نحن جميعاً عرب . ولكنك تعلم ان العرب اليوم يعيشون في سلبية مطلقة .

وعاد اليه شعوره بعفونة الظلام . لعله جاء الى هنا لأنه لم يرد أن يوصف بالسلبية . وطرق سمعه اصوات وهمهات واقدام تتنقل فوق زنزانته ، وادرك ان النهاية قد حلت :

– لقد جاء دوري .

ورفع عينيه الى فوق وضم يديه الى بعضهما وحاول ان يصلي ، ولكن الكلمات ماتت على شفتيه . كان يفكر ، يفكر بأشياء كثيرة .

– ترى ماذا فعلوا بجثتي صديقي ؟

كان ثلاثتهم يتجهون الى مدينة الجزائر ، هو والآخران اللذان اعدما ، وكانا يحرسانه . وكانت الغاية من رحلتهم هي ان يكشف الاسباب الحقيقية التي ادت الى الانفجار الذي حدث في الحي العربي من المدينة . وعندما كانوا عائدين الى مراكزهم التقوا بدورية فرنسية ، وبدأت المناوشة وسقط احد الجنود الفرنسيين ... وكان هو منبطحاً على بطنه يرقب المعركة بهدوء ، اما رفيقاه فكانا منهمكين في اطلاق الرصاص لا يعيرانه انتباهاً . وتكاثر الفرنسيون ، ولم يحس الا ورفيقاه يتوقفان عن اطلاق النار . وتملكه الجزع فتطلع اليهما مستفهماً ، واجابه احدهما :

– لقد نفد الرصاص .

– وماذا سنفعل اذن ؟

– لا ادري .

واسرع الفرنسيون ونقلوا الى سجن كبير في المدينة ثم اجريت محاكمتهم بسرعة وصدر الحكم باعدامهم .

– ترى هل سأشعر بالالم عندما يخترق الرصاص جسدي ؟

وعاد التفكير بزميليه اللذين اعدما . كان اولهما اشقر الشعر ، ازرق العينين ، متوسط القامة ، يشبه الفرنسيين الى حد كبير ، ولا يعرف من اللغة العربية شيئاً الا بضع كلمات ، قضى اكثر حياته في فرنسا ونال ليسانساً في الحقوق من السوربون . اما الثاني فكان نحيلا ، اسمر ، كوته شمس الجزائر بلهيبها ، يتبسم باستمرار ، مع ان جميع افراد عائلته قتلوا في هجوم شنه الفرنسيون على قريته .

لقد امضوا في هذه الزنزانة ، على ضيقها ، مدة شهرين كاملين . وكانوا يقتلون الوقت بالتحدث عن طفولتهم والاحداث التي مرت بهم ، والمشاكل التي تواجه العرب في كل اقطارهم . وكثيراً ما التقوا النكت والنوادر ، وشتموا الفرنسيين :

ومنذ اربع وعشرين ساعة عندما اطل خمسة من الجنود من باب الزنزانة ،

وطلبوا من رفيقيه ان يتهيآ تملكه العجب ثم صاح :

– وأنا ؟ ماذا ستفعلون بي ؟

واجابه احد الجنود بسخرية :

– لا تخف . غداً تذوق هذا الكاتو .

وفتح فمه ليشتمه بسبب سخريته هذه ، ولكن ذا الشعر الاشقر والعينين الزرقاوين التفت اليه مودعاً :

– أتعلم يا محمود ! انني لست خائفاً ، ولكنني حزين قليلا . هذا كل ما في الأمر .

وحبس محمود الدموع التي كادت تنفر من عينيه ثم اجاب :

– نحن جميعاً غارقون في الحزن . لا بأس عليك .

– أتعلم يا محمود ! ستبقى وحيداً في زنزانتنا هذه .

– هذا صحيح ، ولكني لن انساكما .

واقتادهما الجنود ، وقبل ان يغلق باب الزنزانة من جديد صاح ذو البشرة السمراء :

– وداعاً يا محمود .

ولم يجب محمود هذه المرة ، بل رفع يده بتثاقل ولوحها مودعاً . وعندما اختفوا عن ناظريه احس بألم حاد في رأسه ، ثم انخرط في البكاء . ومضت ربع ساعة ثم نصف ساعة ثم ساعة وساعتان ، كان يترقب خلالها ادق صوت علّه يسمع صوت الرصاص الذي يعدم به رفيقاه ، ولكنه لم يسمع شيئاً . وعندما جاءه الحارس بعد عدة ساعات بقليل من الطعام سأله :

– انني لم اسمع صوت الرصاص ، ماذا حدث لرفيقي ؟

– لقد اعدما . أتسمع ذلك ، لقد اعدما خارج السجن . وسيحين دورك بعد عدة ساعات .

واطلق الحارس قهقهة قذرة وهو يغادر الزنزانة . ولكن محمود لم يسمع شيئاً .

ومضت الاربع والعشرون ساعة وجاء دوره . سيطل من باب الزنزانة بعد قليل خمسة جنود وسيقتادونه الى الخارج ، وهناك سيعيش آخر لحظة له . كان يتمنى لو انه اعدم مع رفيقيه ، ولكن الانذال اجلوا موعد اعدامه قليلا كي يزداد عذابه .

– ترى ماذا تفعل امي الآن ؟

لقد غادرها وهو يقول لها :

– انني ذاهب الى اوروبا في جولة صحفية . وسأعود اليك بعد شهرين او اكثر .

وصدقت امه كلامه ، وعندما كانت تقبله قبلة الوداع سلمته نصاً صغيراً وقالت له : « احتفظ به يابني ، فهو يحميك من كل الاخطار . »

وقبل ان يتحرك القطار همست بأذنه : احذر يا بني الفتيات الأجنبيات فهن اخوات الشيطان .

كان يتمنى لو انه ترك لها ما يذكرها به . ولكن يجب الا تعلم بموته والا قضت حزناً . ولكن انى لها ان تعلم ؟ لقد مات الآلاف وسيكون احدهم ، بل لعل العالم لن يسمع عنه شيئاً بعد الآن .

– مسكينة امي !

وعندما رفع يده الى جبينه ليزيح خصلات الشعر المتهدلة عليه احس بالعرق البارد يكسو جلده . ورغب ولو للحظة فقط ان يرى صورته في المرآة ، ان يرى قطرات العرق المتناثرة على جلده الاصفر ، وعينيه اللتين تتحركان بتثاقل وقد جف ماؤهما ، والآخر – الشهيد – الذي يعيش فيه .

لماذا وضعوه في زنزانة مظلمة ؟ لم يعد يخشى الظلام اخيراً ، حتى ولو كان عفناً . ولعله سيلتقي هناك ، في العالم الآخر ، بفتاة البار التي انتحرت .

مجموعات « الآداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الثلاث الاولى من « الآداب » تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل.ل	٥٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ « «	٣٠ « «
« « الثالثة	٢٥ « «	٣٠ « «

ترى هل ستذكره ؟ سيطلب منها ان تسامحه ، وسيمسك بيديها برفق ثم يهمس بأذنها :

لماذا هجرت هذا العالم ؟ لقد عشت من اجلك طيلة هذه السنين الاربع ! أتسمعين ! لقد عشت من اجلك ، ولعلني ضحيت من اجلك ايضاً ، ألن تسامحيني ؟

لا ! انها ستسامحه . انها اطيب فتاة التقى بها في عمره . لقد كان نذلا عندما ضربها .

– هل سيضعون عصابة على عيني ؟

سيطلب منهم ان يتركوا لعينيه الحرية ، فهو يريد ان يرى عيونهم عندما سيطلقون الرصاص . ولعله سيتمكن من مشاهدة انسان ما كامن في جسد احدهم . لقد اراد ان يرى مثل ذلك الانسان منذ وقت طويل . وتساقطت دمعتان جديدتان من عينيه ، ورفع يده يمسح خديه . كانت يده ترتجف ، ترتجف بشدة . وحاول ان يدعها ثابتة ولكنها كانت تقاومه . ان يده تذكره بيد اخرى ، اليد المرسومة على غلاف قصة « الجدار » لسارتر . لقد كانت تلك اليد مرعبة عارية ، لا ترتجف بل هي تتشبث . تتشبث بالجدار ، بالحياة ، وكان الدم يسيل من اظافرها .

واحس بحركة عند باب الزنزانة . انهم جاءوا اخيراً . وفتح الباب . اما هو فقد اغمض عينيه . انه لا يريد ان يرى جلاديه الآن . ولكن صوتاً مألوفاً طرق اذنيه باللغة العربية :

– نحن رفاقك يا محمود .

ولم يصدق عينيه واذنيه . كانوا ستة من الذين تعرف اليهم في الجبال وسألهم ببلادة :

– ماذا جئتم تفعلون هنا .

– لنأخذك معنا .

– الى اين ؟

– الى معاقلنا .

– ولكن ! كيف ؟ كيف تستطيعون ...

– لقد احتللنا السجن . انه سجن صغير ، وحاميته قليلة .

وسار معهم . لم يكن يرى شيئاً امامه . كان يسير كالاعمى . وعندما احس بنسيم الفضاء العاري يلفح وجهه ايقن انه حقيقة تخلص نهائياً من الظلام العفن .

جورج طرابيشي

المسيح . بعد الجليد

الى رفيق معلوف

(في هذه القصيدة التي تعبر عن معاناة الموت والبعث ، بما هي ازمة ذات وحضارة وظاهرة كونية ، يفيد الشاعر من اسطورة الاله تموز وما ترمز اليه من غلبة الحياة والخصب على الموت والجفاف ، ويفيد كذلك من اسطورة العنقاء التي تموت ثم يلتهب رمادها فتعود الى الحياة ثانية .)

عصر الجليد

عندما ماتت عروق الأرض في عصر [الجليد
مات فينا كل عرق ،
يبست اعضاؤنا لحماً قديد ،
عبثاً كنا نصدّ الريح عنا ،
ونداري رعشة الموت الأكيد
في خلايا العظم ، في سرّ الخلايا ،
في لهاث الشمس ، في الخمر الجديد ،
في صرير الباب ،
في ما ترشح الجدران من ماء الصديد
رعشة الموت الأكيد.

* * *

« يا إله الخصب يا بعلاً
يفض التربة العاقر ،
يا شمس الحصيد ،
يا إلهاً ينفض القبر ،
ويا فصحاً مجيد ،
انت يا تموز يا شمس الحصيد ،
نجّنا .
نجّ عروق الأرض من عقم مبيد
ادفئ الموتى الحزانى
والجلاميد العبيد
عبر صحراء الجليد ،
انت يا تموز يا شمس الحصيد »
عبثاً كنا نصلي ونصلي ونعيد
عبثاً نعوي ونعوي عبر صحراء الجليد
نحن والذئب الطريد

* * *

عبثاً كنا نهزّ الموت ، نبكي ، نتحدى :
« حبنا اقوى من الموت العنيد »
وارتمينا جثثاً ، لحماً قديداً
ضم في حسرته لحماً قديد
عبثاً نغتصب الشهوة حرى
من بقايا في الوريد
علّه يفرخ من انقاضنا نسل جديد
ينفض الموت ، يغل الريح ،
يدوي نبضة حرّى بصحراء الجليد ..
« حبنا اقوى من الموت العنيد »
غير ان الحب لم ينبت من اللحم القديد
غير قطعان من الموتى الحزانى
غير اجيال من الموتى العبيد
تتمطى في فم الموت البليد .

* * *

بعد الجليد

كيف ظلت شهوة الأرض
تدوّي تحت اطباق الجليد ؟
شهوة للشمس ، للغيث المغنّي ،
للبذار الحي ، للخصب العتيد ،
للاله البعل ، تموز الحصيد ،
شهوة خضراء تأبى ان تبيد
وحنين نبضه يسري الى القبر ، الينا
يا حنين الأرض لا تقس علينا
لا تحرّ الدم في الاموات ، فينا ،
موجع نبض الدم المحرور في اللحم القديد
في عروق بعضها حمى ربيع وجحيم يبتلينا ،
بعضها صمت ثقيل وجليد .. !

* * *

إن يكن ، رباه لا يحيي عروق الميتينا
غير نار تلد العنقاء ،
نار تتغذى من رماد الموت فينا
فلنعان من جحيم النار
ما يمنحنا البعث اليقينا :
أ أ تنفض عنها عفن التاريخ ،
واللعنة ، والغيب الحزينا ،
تنفض الامس المهينا ،
ثم تحيا حرة خضراء في الفجر الجديد
تتغنى وتصلي وتعيد
من ضفاف « الكنج » « للاردن » [« للنيل »
تصلي وتعيد :
يا اله الخصب ، يا تموز ، يا شمس الحصيد
بارك الأرض التي تعطي رجالاً
اقوياء الصلب ، نسلاً لا يبيد ،
يرثون الأرض للدهر الأبيد ،
بارك النسل العتيد
بارك النسل العتيد
بارك النسل العتيد
يا إله الخصب ، يا تموز ، يا شمس [الحصيد

كيمبردج — انكلترا

خليل حاوي

شعراء ... مع الزيف !

بقلم محي الدين محمد

صدر ديوان .
ديوانان . ثلاثة ..
ثم نفد ديوان .
ديوانان . ثلاثة ..
فما هي القضايا التي أثارتهـــا قصائد الدواوين ؟! ولماذا كان قائماً الى حد مزعج ، هذا السد الضخم بين ارادة الشاعر وسلوكه ؟!

الشعر قضية .. سلاحه : كلمة وسلوك .. ميدانه : القلب والذراع .. الشاعر انسان .. قضيته تسير على قدمين .. مشكلة تجسدت في حماسة ووعي ودفاع ..

الإنسان العادي الذي هو انت وانا.. يملك سلوكاً واحداً ، سلوكاً واحداً هو ما يجعله هو ، سلوكاً يتألف من وعي وفعل .. فاذا ما انحرف هذا السلوك وتناقض مع الوعي حكمنا عليه بالزيف .. لأن الانسان ليس الا ارتباكاً بين داخله وخارجه ..

ارادة في الداخل تضع للقضايا كياناً معيناً ، وحلا معيناً ، وكفاحاً معيناً ، ويباشر هذا الحل والكفاح المعينان عملهما بالسلوك — في الخارج — والذي هو الحضور الدائم ازاء تناقضات الخارج ..

والشاعر هو الانسان ، وغناؤه هو تعبير عن قضية تخصه ، تعبير عن معركة يعبئ لها ذاته .. في كل لحظة من لحظات وجوده .. انه حضور مستمر ، في عالم حاضر ..

* * *

صدر اخيراً ديوان (الطين والأظافر لمحي الدين فارس) * ومن قبله صدر (عبر الأرض) ومن قبله (قصائد من السودان) ومن قبله (أغاني افريقيا) ومن قبله (١) ..

دواوين .. قضايا .. مشاكل مثارة ..

وكل ديوان يحمل في صميمه ازدواجيته التي تقتله ، وزيفه الذي لا شك فيه ..

ولما كنا في خشية ان نتهم بالكلام هكذا في المطلق .. فهاكم ما هو اكثر تحديداً ونسبية ..

ان الشاعر (محي الدين فارس) هو صديقي .. صديقي منذ اعوام ثمانية .. صديقي الذي اراه واسمعه كل اسبوع ، والذي اعرفه كقفازي .. واعرف انه (اثنان) ..

اعرف انه شاعر ، وبشر .. وسلوكه في احدهما مخالف تمام المخالفة لسلوكه في ثانيهما .. لأنه يعبر بانفصال الرجل فيه عن مشاركته المتسمة بالفعل والاستمرار والعناد والصلابة لمآسي وطنه .. برغم مشاركة الشاعر فيه !!

فلنناقش اولا (فارس) الشاعر .. الذي يتخذ من معظم قصائده طابع (الفارس الحقيقي) الذي يكربه الاستعمار وقضية استخدام الزنجي ، والفوارق الجلدية العنصرية .. وينادي افريقيا ويسألها النهوض في وجه المذلة الأوروبية الأمريكية ويغني لشعبه الصامت الذليل ، صائحاً منذراً مشيراً ومهدداً . ذلك لأنه يتبنى قضية .. يشارك في الم شعب ومهانة شعب .. اليس الشاعر اغنية مسؤولة عن طوفان الأفكار في عصره ؟!

ان (فارس الشاعر) ، هو انسان حقيقي ، يدرك الم (لوسي) الذي هو بدون حقد ، ويعرف رغبتها في ان تكون مساوية لرفيقها الأبيض في الحقوق ، طالما هي مساوية له في الواجبات .. يدرك رغبتها في ان تكون ضمن صفوف الطلبة في (الاباما) .. ويعي المعنى العميق لرقصة زنوج (الشلوك والدنكه) ودعوتهم لانهاض القارة السوداء بالعنف والقوة ..

ان قضيته واضحة .. وهي قضية (بروكس وسيدار) .. مهلا !! ولكني اقترب جداً من النتيجة النهائية لمقالي .. !

فلنناقش ثانياً (فارس الانسان) .. الرجل الذي اعرفه .. فارس الانسان !! الذي (يسكر) بثمن مئة نسخة من

يعالج الكاتب في هذا المقال قضية ازدواجية الشاعر في فنه وفي حياته — ونحن ننشر هــذا البحث لنفتح به مجال النقاش ، من غير ان يكون في نشره تعبير لرأينا او موافقة لآراء الكاتب .

« قلم التحرير »

---

* يناقش الديوان ، والمقدمة ، في مقال مستقل ..

(١) كلها يحمل طابع « ديوان الشعر ... » وكلها في قيمتها الفنية بسعر التراب .. !!

الديوان .. (الحالم) الذي يحلم بعشيقة وعربة وطابق بأكمله في بناية على النيل .. (الوادع) الذي يقضي خمس ساعات كل يوم جالساً يلعب النرد والطاولة .. وبقية اليوم متناوماً فوق مقعد وثير بالنادي ..

الرجل الذي لا يشارك في قضية سياسية او اجتماعية .. لأنه اسمى من ان يشارك بالفعل .. « لا يا سيدي .. انني شاعر .. فلماذا التمس في النقاش والعمل معنى ! ؟ ان قضيتي هي الشعر بالذات .. ! ! »

ان معنى قضيته ينتهي في اللحظة التي تسقط فيها عنه القصيدة كثمرة الجوز .. ! لأنه شاعر .. ولأن مفهومنا عن الشاعر ، هو انه يغني .. هو انه (يقول) الشعر .. ! !

فلماذا (نقول) الشعر اذن ؟! ما هو الشعر .. ما هو الفن ! ؟ ولكيما نقترب من النتيجة النهائية نقول : ان الشاعر القضية ، يتناقض مع الانسان العفوي ، لأن احدهما في النهاية .. مزيف ..

فأيهما المزيف يا ترى ؟ ! !

ليس سلوك الشاعر نابعاً من الانفعال التالي لاخراج القصيدة . اليس كذلك ! ؟ ان هذا يعني ان القصيدة هي انفعال مباشر لحضور الشاعر ازاء قضية .. وهذا يعني بالتالي امكان تصيدنا الشعر .. والفن .! الفن دعوة اكساب لمعنى . انماء لوجود .. اغناء لمشاعر .. ويمكنه ان يكون اشارة لزوال . الفن قضية الفنان الخاصة ، فليس هناك فن مجرد .. هناك فن هذا الفنان بالذات .. فن (روبنز و روبصون وريلكه وموروافيا) .. فن خاص هو مشكلة كل فنان على حدة ..

الا يختلف رأس الساحر هذا المنحوت في صخر المكسيك عن هذا الرأس الرائع (للدونا ايزابيلا) ؟ ومع ذلك فهما الفن بالذات .. هما التفسير الذي لا يفسر لمعنى (الفن) ، هذا الحاشد بالمعنى واللامعنى ..

الفن هو شخصي .. موجه الى اللاشخصي .. — وليس يعني هذا (اللامتعين) — .. انه موجه ، ولذلك فهو دعوة ، وهو قضية ، وهو كفاح ..

ان الفن ليس خادماً لغرض الفنان ، انه نفسه غرض يتنفس من خلال سلوك الفنان ذاته .. ان الفن هو اهتزاز جفن ، وتوتر اعصاب .. مرض وعافية في صلب عضوية الفنان .. فكما ان لكل انسان معدة وسلسلة فقرية وكبداً ..

فللفنان فن .. وهو ذاته ..

ومن اجل ذلك يغني هو ويصور ويكتب .. لأنه انسان بزيادة (عليك علامة +) ، ومن اجل ذلك بالذات فهو رؤية ابعد ، ومجال ارحب ، ووعي اعمق ..

الفن دعوة فنان .. والفنان هو هو قضيته .. !

ولكن (محي الدين فارس) الرجل .. ليس هو (فارس) الشاعر (١) .. لأن حداً فاصلا يقطع بين الزمان الضئيل الذي يؤلف فيه قصيدته ، والفترة الطويلة الباقية ، والتي يقضيها في خموله الفكري ..

هناك (فارسان) يتنازعان قصائد (الطين والأظافر) . الانسان والشاعر .. واحدهما مزيف كخمر رخيصة .. فأيهما هو ؟! .

فارس الانسان : يعيش حياته الرمادية التي لا لهيب فيها .. زاده حلم بالاغتناء المادي .. وعشيقة سمراء ، وضياء قان من لا مكان ! . حلم رجل .. حلم انسان متعب فقير ، يرغب ان ينتمي — ولو للحظة — الى الأرستقراطية المرفهة .. انه انسان صادق .. لأنه يعبر عن داخله .. فارس الشاعر : وحي مفاجئ في دقائق .. بطولة ووطنية لمدة ساعة ..

.. تمثل القصائد ؟! قد يعتذر الشعراء بأنهم يختزنون موادهم ويناقشونها ويرتبونها ويعيدون تأليفها ويراجعونها في اوقات طويلة ، وعصبية ..

ولكن هذا كان نفس عمل (لوركا) ! لوركا الذي مات .. لوركا الذي قتلوه .. لأنه كان يسلك سلوك الرجال الذين غناهم في شعره ..

لأنه كان وظيفة ، حيث كان أغنية ، لأنه لم يزدوج ، مغنياً احياناً ضد الفاشية ، ثم قابعاً في دارته الأندلسية ، يغازل الجارات ، ويبدل سمراء بشقراء .. بلى .. انكم تلاحظونني ابتعد .؟ نعود (للشاعر) . ! !

ان فارس الشاعر هو ضد الاستعمارية الأمريكية ، وضد الاحتكارية الانكليزية في افريقيا ، ضد تدشين العقلية الفجة ، ببقايا النظم المنحلة في الغرب .. ضد تنصير الافريقي بالنار

---

(١) ينبغي ألا يفهم من هذا أنني مناهض (لفارس) فحسب .. فالمقال يحتاج ضحية .. ولم أجد سوى صديقي . ، ولكن الواقع يدل بشمول هذا التمزق والإزدواج عند كافة شعرائنا .. لأنهم يصدرون عن قضية شفهية . !

والحاكي والفونوغراف ، واطقم الأسنان (١) والكي فوق الأصداغ وانتزاع الألسنة . ضد (الكوكلكس كلان) وعصبيتها المدمرة ، وصليبها المشتعل . ضد (لوسي) في جامعة ، و (ماك) في جامعة اخرى .. ضد طبيب واحد لـ ٣٠,٠٠٠ زنجي من مزارع القطن .. ضد بصقة في الهواء ومشنقة .. من أجل اغنية .. ضد كرسي كهربائي لزوجين محبين ، لأنهما يمنحان ودهما لكل العالم .. لكل البشر ..

انه ضد هؤلاء .. لأنهم يقفون ضد الناس ..

انه يعلن في شعره (!) انه مع الانسان .. وفي سلوكه انه ضد الانسان .. لأنه – في الحقيقة – لا يعنيه مع من هو .. اذ تكفيه (زجاجة وسكي) ، او هزيمة الخصوم في مباراة نرد ..

وما الفائدة ؟! اليس يكتب شعراً .. ما فائدة ان يصرخ ويحارب . ؟ اليس يكفي ان يعلن حربه في قصيدة ! ؟

«قل لي .. ما فائدة ان اجادل الناس واقنعهم . ؟ ما فائدة ان اتكلم في كل مجتمع عن مساوئه ؟ !

دعونا نتكلم عن النساء الحمريات .. عن ليل بدون صباح في احضان امرأة ممتلئة .. عن وجبة عشاء وخمر حقيقية .. عن نزهة في مساء .. تكلموا عن اعدائي في مباراة الطاولة. اما عن (الاذاعة) فانا كفيل بها .. لقد اذاعت لي قصيدة .. وقال المعلق . ! !

ان اولئك .. ! !

من هو المزيف هنا . ؟ أهو الشاعر الذي يخطب ليغير أمة، أم الرجل الكسول الراغب في المتعة ؟!

بدون شك.. وبدون لحظة تفكير .. : انه الشاعر . انؤمن بسلوكين .. تبريراً لقضية . ؟!

انني لا استطيع ان ادع هذا (المثال) يقودني ، ويكتب الشعر لي .. يوجهني .. ويوجه حياتي .. وحياة الآلاف ممن لا يعرفونه ..

ان هذا زيف من اوله ! .. انؤمن بسلوكين ! ؟

أبداً . ! اما ان نموت مدافعين عن قضية شعب ، مؤكدين سلوكنا هذا الواحد ، والذي يفرض معناه في لحظات بعثي للقصيدة ، وفي لحظاتي الأخرى .. بين الناس وفي العالم. في المقاهي ، وفي بيوت الأصدقاء .. في الطريق ، في كتابتي ، في حديثي .. في بيتي .. ازاء ابي ورئيسي واعدائي .. ضد النقاد واصحاب دور النشر والصحف .. ازاء كل هؤلاء .. اما ان يكون سلوكي واحداً ما دمت امثل قضية .. واما وجب ان اكف عن (تمثيل) سلوك القائد المثير الثائر الحر ..؟ ما دمت احيا حياتي الأخرى متمنياً رغبة سطحية من رغائب البشر العاديين والتي هي امرأة او سفرة الى الاسكندرية مع عشيقة ، او تدخين سيجارة حشيش بعد زفاف ممل ..

اظنني واضحاً جداً ..

قتل مغنون فرنسيون اثناء المقاومة . قتلوا بعد تعذيب وحشي في معسكرات (داخاو . كراكوف) : انتزاع الأظافر . فقء الأعين. حجرات الغاز .. الكلاب الوحشية .. بتر الأطراف وعرضها ..

مغنون من قرى على (الجارون) و (السين) .. مغنون شبان ، ينشدون (في سبيل فرنسا ..) ويحملون البنادق .. ويضعون رؤوسهم فوق الأسلاك المكهربة ..

وقتل في اسبانيا آخرون من احفاد (التروبادور) يغنون ، قادمين من البرانس او غرناطة ، واحياناً من الطرف القصي للخليج الشمالي ..

شعراء قرى . لا يعرفون الا بئر القرية واللبلابة الوحيدة التي تطل من حان (بدرو ارماندريس) ، وفتاة القرية (انجيلا) التي تحمل في وجهها عيون اسبانيا كلها . ؟

شعراء قرى لا يعرفون الحرب ، ولا الفاشية ، ولا (فرانكو) ، وقد يقدمون له في سخاء عربي قنينة من نبيذ (مالاغا) اذا ما قابلوه في طريق . ؟

شعراء من الريف .. ولكنهم قتلوا لأنهم لم يزدوجوا ..

لأنهم سلكوا سلوكاً انسانياً .. مع البشر .. ضد الاحتكار. قتلوا لأنهم يعرفون هذا : نحن نغني في سبيل (ميجويل وماريا كارنيلا) نغني لهم ونموت في سبيلهم لأن معركتنا هي غناؤنا بالذات ..

لأن حياتهم كانت شعرهم . كانوا يصدرون عن قضية معاشة ..

فتصوروا لو كان يغني لشبان قريته ضد الفاشية ، وضد فرانكو ، وهو قابع في قريته يضاجع النسوة والفتيات .. ! ؟

---

(١) يحكى عن مبشر أنه بسبيل الدعاية للدين المسيحي أخرج لقبيلة مخلوعة اللب ، طاقم اسنانه ، ثم أودعه فمه مرة أخرى . !
وكم كانت نتيجة هذه الحملة التشبيرية مذهلة . !

انني أقترب .. ! !

ان ديوان (الطين والأظافر) وثلاثة ارباع الدواوين التي صدرت وتصدر، هي في المأزق عينه لأنها تمثيل وزيف ؛ لأنها تعبر عن حالة انفصال بين الشاعر وبين تمثله لمعنى الشعر. والى ان يلتئم هذا الصدع الخطير في بناء الشاعر النفسي .. فانني اتصور رجلا ذا سلوكين مختلفين ، أضحكنا ذات مرة في رواية سينمائية لأنه كان يعيش ساعة . ويمثل انه يعيش ساعة اخرى .. !

ليست هناك حياتان .. ليس هناك سلوكان . ! !

اننا هنا في الشرق .. حيث هو واجب وحتمي ان ننبذ الجمالية التي تخبط فيها (كيتس . بيرنز . سيتويل . برتون . رامبو) . في الشرق حيث يموت الوف بتأثير التيفوئيد والسل والخرافات . وحيث يملك الافندية ، نصابون من المدينة يرتدون عمامات خضراء . ويحملون سيوفاً من خشب .. حيث يمنح البركة ضريح من النحاس الأصفر . يرفع له المئات اذرعتهم التي نخرها وبلاها فقر الدم .. والبلهارسيا .. حيث تتخذحفلات (الزار)المجنونة ، المظهر الفريد لتطبيب القرن الصفر .. عندما عبد المتوحشون الدم والبرق .

هنا في الشرق ، حيث هو واجب ان ننقذ عيون اطفالنا في الريف والتي يعميها الى الأبد طوفان مدمر من الذباب .. حيث يشرب اهلنا من ماء البرك الآسنة ، ومياه الطين .. مصبوباً فيها بليون بليون جرثومة دسنتاريا .. هنا .. في مكان الجهل ، حيث تصبح مبخرة مجرم نصاب ، دعوة الى الفلاحين لقراءة الطالع .. بين صفائح السمن والدجاج والبيض التي يحرم منها الفلاح نفسه وعائلته ليقدمها ثمناً لمعرفة مصير قطنه .

هنا .. في صميم الشرق الذي ينتظر بنيه .. ينتظر شاعره الذي يغني ويشارك بالفعل وبالدم ضد كل هذه القوى التي تؤخره وتدمره وتهلكه ..

ضد المستعمر والمستغل الذي يقضي ليله في العاصمة ، يمنح النادل اليوناني الف جنيه ، ويتبرع لجمعية اصدقاء الكلاب بألف اخرى ، ويخسر فوق مائدة البوكر الفاً ثالثة .. بروح رياضية .. ثم يناقش جابيه الشيطان في مليم ناقص ! . ضد الفقر والموت البطيء .. ضد استعمار (الكوكولا) (اللبن المعلب) و (النقطة الرابعة) .. وكل الاستعمار الاقتصادي الذي يدفع قرشاً .. ليسرق عشرة ..

ضد تجار الأسلحة .. والعين الأمريكية الواقفة في حذر .. في الشرق .. ضد كافة الأمراض والأوبئة التي تخلص من اكثرها الغرب ، فتخلق مناقشاً في الجمالية والامتثال واللامتثال

في الشرق .. هنا .. والزمان هو الآن .. والضحايا هم نحن . ! ! واجب ان ننبذ الجمالية ، وكل هذه القيم التي هي بعيدة عن التمثل الشرقي لها .. لأنها من عالم يختلف عن عالمنا .

ان الشاعر عندنا يقف في جهة ، والرجل في جهة اخرى. لأن الشاعر عندنا يفهم ان الشعر شيء وسلوكه الشخصي شيء آخر ..

ان شاعرنا يفصل في داخله كياناً لا ينفصل ، ذلك لأنه عرف عن خطأ .. ان الشاعر هو اغنية .. وحسب ..

اما سلوكه .. فهو شخصي بحت . ! ! ولكن . ! ! افنريد منهم ان يكتبوا لنا شقاءنا . ؟

كلا .. كلا ..

نحن نريدهم ان يخبروا شقاءنا .. ان يغنوه ، وان يغيروه . ان يكافحوا ضد الاستعمار ويغنوا كفاحهم .. ان ..

وان يكف احدهم في لحظة اكتشافه للزيف ، عن القاء الخطب واثارة المشاعر بقصيدة تمثيلية . ؟

نريده ان يكف عن تمزيق وحدته ، وان يبني من جديد عالمه الذي هو وعي وسلوك معاً ..

* *

اخيراً .. ان هذه الازدواجية تمثل خطراً نافذاً .. ليس في سلوك شعرائنا فحسب ، بل في سلوك ناثرينا ايضاً .. لأنها دلالة واضحة بعدم التمثل التي هي اخيراً :

فقدان وعي ...

انها قضية على طرف رمح .. على الطرف الزلق منه ..

القاهرة — محيي الدين محمد

رأفت افندي والمؤذن

قصة بقلم صباح محي الدين

كانت الشمسقد غابت وراء التلال التي تسد الأفق ،ولم يبق في السماء سوى فزعات وردية وساد الكون هدوء يطرزه حفيف الماء على السكر وانين النواعير الخفيت . وكنت جالساً على الجسر الروماني القديم الذي يقبب ظهره فوق نهر العاصي كأنه هو متنزه ، اسرح نظري في الماء الجاري واستسلم لهدهدة النواعير الرتيبة واملأ صدري بالنسيم البارد الآتي من سهل الزنبقي

واخرجني من تأملي صوت صديقي احمد وهو يقول :

— مرحباً

ويجلس الى جانبي ، على عادته كل مساء .

وفجأة علا في الجو صوت المؤذن ينساب من المئذنة في نغمات ناعمة ، ويتجاوب في الوادي ثم يحطه النسيم الى بعيد . ولم تكن الأذن لتعي من الأذان الا موسيقاه تتخلل هدوء المساء وترسم على الطبيعة المفتونة بظلال الغسق دنيا من الصوفية الجميلة .

وانتهى المؤذن من ترتيله ، وظللنا — احمد وانا — ساكتين صامتين متذوقين حتى آخر ذرة من جمال هذه اللحظات الفريدة ، ثم قطعت الصمت على كره وقلت :

— كأنكم قد ابدلتم مؤذنكم هذه السنة . لقد كان صوت المؤذن السابق جميلا دون شك ، الا ان صوت المؤذن الحاضر اجمل بكثير . والحق اني لم اسمع ما يشبه هذا الصوت الا في الجامع الكبير في حلب ، وهذا عجيب في بلدة صغيرة مثل « لولية » .

فقال احمد وهو يبتسم عن رضى واعتزاز :

— بلدتنا تتمتع بامتياز فريد في كل المنطقة منملس حتى الزنبقي ومن سلقين حتى جسر الشغور ، ويؤكد لك كل من مر بلولية انه لم يسمع قط اصواتاً اجمل من اصوات المؤذنين الذين تعاقبوا على الجامع الكبير عندنا ، ويحدثك كل من تسأله عن سحر القيام عند الفجر على انغام التسبيح تنثال من المئذنة الى آذان المؤمنين وافئدتهم فيسبحون بحمد المولى مبدع كل شيء ومبدع صوت المؤذن على وجه الخصوص .

فقلت بدوري :

— ليس فيما تقول مبالغة ، فلقد سمعت الناس في ادلب نفسها يمدحون مؤذنكم .

وهنا ضحك احمد وقال :

— وهل تدري متى بدأ هذا الصوت الحسن ؟

قلت : من قديم جداً ولا بد ، حتى بلغ هذا المبلغ .

— هذا ما يظنه الجيل الحاضر ويشيعه الجيل القديم ، جيل والدي وجدي وفي المسألة سر نحافظ عليه كما نحافظ على نور عيوننا . ولو علم به جيراننا في سلقين او القنية مثلا لفضحوه . اما انت فقد اصبحت منا وفينا وساحدثك بالسر المكتوم على ان تعدني بكتمانه .

فأكدت لصاحبي أني بئر للأسرار لا تدري يدي اليسرى ما سمعت اذني ليمنى وان لساني يمد افشاء الأسرار (ولم يدخل في الوعد قلمي ولذا فانا بردد السر دون ان أنكث بوعدي)

وهنا قال احمد : لكل هذا قصة طريفة انقلها لك عن والدي .

حدثني والدي قال : كان ذلك قبل السفر برلك ،وكنا في خير وبركة لولا ازعاجات جاويش السوقية الذي كان يزور لولية كلما احتاج الى بعض المال يصرفه على شرب العرق أو لعب القمار ،فنتفادى ازعاجاته ببعض المجيديات او بالهرب اسبوعاً او اثنين الى قرية اخرى. وكان الزمان غير هذا الزمان ، الناس مؤمنون ، والنساء لا يذهبن الى المدارس . وليس بين قريتنا والعالم الخارجي سوى دروب المكارية . وكانت السفرة الى حلب مثل الذهاب الى الحج الخارج منه مولود والداخل فيه مفقود

وكان مدير الناحية وقتئذ رؤوف بك وهو رجل محترم من مدينة اورفا في بر الأناضول ، متمسك باهداب الدين لا يقضي امراً الا بمشورة الشيخ علي افندي ، امام الجامع الكبير ومدير الاوقاف . اما قائد الدرك فكان اسمه عزة افندي —ولست محدثك عن هذا بل عن خلفه رأفت افندي او « الدالى »(١) كما اطلقنا عليه اللقب بعد الحادثة المشهورة .

وكان رأفت افندي حين جاء قريتنا ، كهلا في الخامسة والاربعين من عمره ، متين البنية ، متوسط القوام، ذا شاربين ثخينين يتهدلان حول فمه ووصل قائد الدرك الجديد قادماً من ملاطيه في بر الاناضول حيث ولد وأدى خدمته العسكرية ثم انخرط في سلك الدرك كجندي بسيط . وترفع حتى وصل الى رتبة « باش جاويش » . وكان رأفت افندي لا يعرف سوى اللغة التركية ، ولكنه سرعان ما بدأ يلتقط بعض الكلمات العربية ، ولم تمض الا سنة او اقل حتى اصبح يعرف كل الشتائم من « قرد » الى « الله يمحقلك » يمزجها — حين يغضب — بعدد محترم من الشتائم التركية وينهيها قائلا « لا حول ولا قوة الا بالله » فينقلب الحول في فمه هولا ويأتي حديثه مما يضحك المخوزق .

ولا يذهبن بك الظن الى ان قائد الدرك كان زنديقاً ، بل الأمر بالعكس . فانه كان تقياً ورعاً صلب الايمان لا يقطع وقتاً، وإن كانت بعض السنة السوء تقول انه كان يشرب العرق . ولكن ذلك — اذا صح — كان بسبب مهنته ثم متى كان شرب العرق عيباً ؟

وسكن رأفت افندي بيتاً يلاصق الجامع الكبير ، بحيث تطل المأذنة — وهي قليلة الارتفاع كما ترى — على سطح البيت . وكان للجامع مؤذن اسمه الحاج حمدو رحمة الله عليه — وهو من اولياء الله الصالحين ، ولا عيب فيه — وسبحان من ليس فيه عيب — الا صوته ، فانه كان اجش خشناً مزعجاً ولكن ذلك من صنع الله تعالى ، جل اسمه ، فلم يكن احد ليعيب عليه ذلك

---

(١) المجنون باللغة التركية

ولكن الامور تبدلت – ورأي الناس في ذلك الصوت تغير – حين اصبح الحاج حمدو مؤذناً في الجامع الكبير . ولا شك في انك تتساءل كيف القيت تلك الوظيفة الى صاحب الصوت الاجش الخشن المزعج . لقد كان سبب ذلك الشيخ علي الامام ومدير الوقف .

فقد كان عندنا مؤذن من حلب ، ما أحلى صوته كأنه القمري ، ثم مات رحمة الله على انفاسه – وكان من المعقول ان يستبدل بآخر حلو الصوت ايضاً . ولكن الشيخ علي قال ان الوقف لا يتحمل مصروف مؤذن غريب – وياله من مصروف .. ثلاثة مجيديات في الشهر . ولكن العالمين بخفايا الامور كانوا يقولون ان الشيخ علي يفضل ان تظل المجيديات في جيبه مع باقي غلة الوقف ، فيزيد عدد زيتوناته ويقدم لزوجته الشابة هدايا اخرى . ولكن انا لا اعرف ، الله ما بيننا وبينه .

وخلاصة الأمر ، ظل الجامع دون مؤذن اكثر من شهر ، فضج اهل القرية بالشكوى الى الشيخ علي ثم الى مدير الناحية ، وبعد اخذ ورد اقنع الشيخ المدير بان الوقف فقير جداً ، وعرض عليه ان يلتمس متطوعاً من السكان يؤذن في الناس . ولكن من منا – على ما كنا عليه من تقوى – كان ليتطوع للاذان خمس مرات في اليوم بما في ذلك اذان الفجر والتسبيح ، فضلا عن ليالي رمضان وأذان التراويح ؟ لقد كانت اشغالنا تأخذ كل وقتنا – لا مثل اولاد اليوم الذين يقضون اوقاتهم في القهوة يلعبون الطاولة او الدامة ، او في البوسطة رائحين الى حلب وعائدين منها .

واستمر الحال على هذا المنوال شهراً آخر واشتد احتجاج الاهلين ، وكاد الشيخ علي يقتنع باخراج المجيديات الثلاثة شهرياً من جيبه لتوظيف مؤذن جديد لولا رحمة من ربك . وكانت رحمة بالشيخ علي ، لا باهل القرية .

فقد عرض الحاج حمدو ان يتطوع للأذان . وكان قد بلغ من العمر ما يمنعه من العمل واصبح يعيش على ما اقتصده وعلى ما تدره عليه بضع زيتونات وعشر او عشرون شجرة لوز ، وما يتحنن عليه به الافندية والاغوات . ولما كان الحاج حمدو عاطلا باطلا ، كان يقضي نهاره بفك رموز « اخبار الصالحين » و « ورد الشافعي » ويفهمها على قدر عقله ، ولا يكاد يخرج من الجامع . ولذا فانه وجد في الأذان فرصة لارضاء ضميره وارضاء خالقه .

وهكذا نكبت القرية بصوت الحاج حمدو . ولم يكن الامر خطيراً اثناء النهار ، لأن صوته لم يكن قوياً بحيث يطغى على ضجة السوق وهدير العاصي على السكر واذين النواعير . ولكن المصيبة كانت سوداء عند الفجر ، فان صوته كان يفيض على الاسطحة ، ويتسلل الى الاحواش ويرتطم بالجبلين فيردده الصدى مرات . وكانت النكبة اعظم على الساكنين قرب الجامع ، خصوصاً في الصيف حين ينام الناس على الاسطحة .

ومن بين هؤلاء كان رأفت افندي قائد الدرك كما ذكرت لك . فحين بدأ الحاج حمدو تطوعه ، كان الوقت شتاء والناس قد اغلقوا الابواب والشبابيك اغلاقاً محكماً فما يتسرب اليها الهواء البارد ولا الاصوات الخارجية . ثم جاء الربيع فانفتحت الابواب والشبابيك واخذ رأفت افندي يستفيق كل فجر على جئير المؤذن ، فيتعوذ ويحوقل ويطلب من الله الفرج . وما مر شهر آذار حتى طفح الكيل مع رأفت افندي ، فتوجه ذات صباح الى بيت الشيخ علي يحتج على المؤذن وعلى صوته ، مبيناً انه – على الرغم من تقواه وتعلقه بشعائر الدين – لم يعد يستطع صبراً على هذا النهيق .

وقابله الشيخ علي بالترحاب واستمع اليه وهو يفرك يديه ثم ابتسم ابتسامة صفراء حاول ان يتلطف فيها وشرح له ان ميزانية الوقف لا تتحمل اية نفقة جديدة ، وان الأذان من شعائر الدين امر الله بها ان تقام وليس يستطيع ان يتحمل امام الله والناس مسؤولية ترك القرية دون اذان .

وخرج رأفت افندي من عند الشيخ علي وفي قرارة نفسه أمل عظيم – يحاول ان يكتمه فلا يستطيع – أمل في ان تزلق رجل الحاج حمدو ذات يوم قريب وهو يصعد الى المئذنة فتدق عنقه – او بالاصح ، لا ، فلم يكن رأفت افندي شريراً الى هذا الحد ، ولم يكن امله يتجاوز ان يتدحرج المؤذن على الدرج – ولو مرة – ويترك الأذان بعد ذلك .

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، إذ ان عناية الرحمن كانت تحيط بالحاج حمدو . وكان الصيف قد اقبل ، وهو على ما تعلم من حر شديد رطب ، يقذف بنا الى الاسطحة في الليل نلتمس البرودة والنسيم ونحاول النوم . وصعد رأفت افندي مع عائلته الى السطح فاصبح اقرب ما يكون من صوت الحاج حمدو ، يوقظه كل فجر بتسبيحه واذانه . وفي ذات ليلة .. وهنا دعني اقول لك ان جبل الوسطاني كان مملوءاً وقتها بعصابات الجتة (١) تعيث فيه فساداً وتهاجم الرعيان والمسافرين والمكارية وقد تنزل الى القرى احياناً . واذكر ان عمال الجتة تفاقمت في ذلك الصيف ، فاضطر رجال الدرك من كل المخافر الى الخروج لمطاردتهم ، وكان رأفت افندي من بين الذين اشتركوا في المطاردة تحت شمس محرقة تتوهج في كبد السماء وعلى كل صخرة من صخور الجبل فتشوي الجلد وتعمي العينين .

وفي ذات ليلة عاد رأفت افندي الى بيته بعد ثمان واربعين ساعة من المطاردة لم يغمض له فيها جفن ، وغسل وجهه ويديه ليبرد ، وصعد الى السطح لينام ، وكان الوقت قبيل الفجر بقليل . وبعد ان قرأ الفاتحة وآية الكرسي وضع مسدسه تحت مخدته واستسلم لنوم مجهد عميق .

---

(١) اسم يطلق في شمال سوريا على قطاع الطرق

ولم يكد يغيب من الوجود حتى بدأ الحاج حمدو يسبح في المئذنة ويجود ويترنم الصلاة خير من النو ...م ، ويكررها على كل نغم ممكن. فانتفض رأفت افندي كالملسوع ومد يده الى مسدسه فاستله من تحت المخدة وافرغ رصاصاته الست في اتجاه المئذنة . ودوى الرصاص في اذني الحاج حمد فانقطع التسبيح في حلقه واسرع نحو الدرج يلتمس فيه ملجأ فزلقت رجله وتدحرج حتى صحن الجامع حيث انطرح على طوله ، مرضوضاً مقطوع الفؤاد من الخوف واخذ يصيح كالديك الذبيح .

واستفاق الحي ، بل القرية بكاملها على صوت الرصاص ، وهب رجال الدرك الى اسلحتهم ، واخذت النسوة تصيح .. جته ، جته ، وساد القرية الذعر والارتباك لم يبددهما سوى صوت رأفت افندي وهو يصيح ..

– الله بلا ني ورسن ، بس مؤذن . (١)

ويفهمنا في عربية مكسرة مختلطة بالتركية ما حدث . وفهمنا انه اطلق الرصاص ، اما لماذا فقد علمناه في اليوم التالي ،بعد ان اجتمع رأفت افندي والشيخ علي ومدير الناحية .

ويبدو ان رأفت افندي وقد اجهده التعب ، ما كاد ينام حتى اخذ يحلم بمطاردة الاشقياء ووجد نفسه في مأزق حرج وحين علا جئير الحاج حمدو ، خيل للنائم انه صوت رئيس الجته يأمر باطلاق الرصاص عليه فامتدت يده الى مسدسه في حركة لا شعورية ليدافع عن نفسه .

وهذا مهما يكن هو الصيغة الرسمية للأمر ، وهي لا تدع مجالا لتفسير قول رأفت افندي عن المؤذن ..

– الله بلاني ورسن .. بس مؤذن .

فقد سرى في اسماع العارفين بالامور ان رأفت افندي كان يبيت تلك الواقعة منذ زمن بعيد ، وانتهز فرصة تعبه التي هيأت له عذراً مقبولا،فتخلص من المؤذن ومن صوته الكريه .. وخلصنا جميعاً . إذ من منا كان يجرؤ على اتخاذ مثل هذا التدبير الحاسم . ولولا رأفت افندي لظل الحاج حمدو يزعجنا حتى مماته .اوتدري في اي سن مات ؟ في الخامسة والثمانين .

ومهما يقل عن الشيخ علي ، فانه لم يكن غبياً ، اذ انه فهم الحادثة على حقيقتها كما ان مدير الناحية رصه قليلا وعرض له ان سمعة القرية وسمعة جامعها رهن بالمؤذن الذي سيأتي به .

ومنذ ذلك اليوم ، والوقف يستحضر اجمل الاصوات من حلب وغيرها تتؤذن في الجامع الكبير ، حتى اصبح يقال .. « صوت كأنه صوت مؤذن لولية » .

وحين انهى صاحبي احمد قصته قلت :

– لو ان زي التماثيل سائر في بلادنا لوجب ان تقيموا تمثالا لرأفت افندي تكتبون عليه ..

من لوليه الشاكرة
الى رأفت افنـدي
بطل الذوق الجميل

لندن

صباح محي الدين

---

(١) ما معناه : قبحك الله ، ايها المؤذن الملعون !

ابن السبيل

بصرتُ به في مهبِّ الرياح تلاحقه غيمةٌ ماطرهْ
على وجنتيه ذبول الخريف وفي جفنه دمعة حائرهْ
يمدُّ الى الناس كفَّ السؤال وتزجره عفّةٌ ثائرهْ
يتيمٌ شريدٌ غريب الديار تملكه اليأس في العاشرهْ
اذا همَّ بالنطق سدّتْ عليه مذاهبه غصّةٌ قاهره
يغضُّ الجفون حياءً ويمشي عياءً
ويذكر يافا وعهد الطفولهْ فتهتاج فيه جراح البطولهْ
ويخنق في مقلتيه البكاءَ
وتعصف احقاده الفائرهْ

•

قرأتُ عليه السلام فلاحتْ على شفتيه بقايا ابتسامهْ
ولكنها انطفأتْ فجأةً كما احتجب البدر خلف غمامهْ
رأى العطف في مقلتيَّ فثارت بأعماقه كبرياء الكرامهْ
وردَّ نقودي بعزّة نفسٍ فكدتُ أعضُّ يديَّ ندامهْ
واحسستُ اني –امام غنيٍّ– يتيم جدير بفلس الشهامهْ
واعرض غضبانَ عني فادركت اني
نكأتُ بعطفي دفين جراحه ودستُ بلطفي مهيض جناحه
فطأطأتُ رأسي واسبلتُ جفني
وقلت لنفسي اقنعي بالسلامهْ

•

وفي الليل عاد خيال اليتيم يوشّي منامي بشتّى الصور
فطوراً يلوح بزيِّ الملوك وآناً يلوح بزيِّ النوَرْ
وما زال حتى استحال اميراً يقود السرايا لساح الظفرْ
ويهدر كالليث بين السيوف ويمرق كالسهم فوق الخطرْ
ولما استكان عجاج القتال ثنى مهره واختفى في القمرْ
وايقظني من رقادي صهيل جوادِ
فقمت اجوب زوايا البلدْ وارسل طرفي وراء الجلدْ
واجري مع الريح في كل وادِ
فلم القَ لابن السبيل أثرْ

الارجنتين

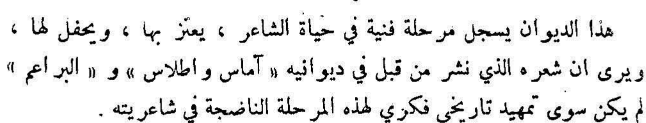
زكي قنصل

النتاج الجديد

نحو كيان جديد

شعر محمد حسن عواد





هذا الديوان يسجل مرحلة فنية في حياة الشاعر ، يعتز بها ، ويحفل لها ، ويرى ان شعره الذي نشر من قبل في ديوانيه « آماس واطلاس » و « البراعم » لم يكن سوى تمهيد تاريخي فكري لهذه المرحلة الناضجة في شاعريته .

واذا كان علماء النفس يقسمون مراحل نمو الانسان الى عمر زمني وعمر عقلي ، فان العواد يضيف اليها العمر الفني ، فللشاعر طفولته الشعرية وصباه وشبابه وكهولته ، بغض النظر عن الفترات الزمنية التي تظهر فيها اشعاره ، فقد يكون الشاعر في فترة الشباب الزمني ولكن شعره يتخلف في منعرجات الطفولة ، وقد يكون في ميعة الصبا ولكن شعره يشيخ ويهرم ويتهالك على نفسه . وشعر العواد يتطور من اعماق ذاتيته تطوراً نفسياً قبل ان يتطور فنياً ، فهو اشبه بتطور الزهرة عن البرعم ، وتطور الثمرة عن الزهرة ، والشعر يبلغ ذروته – في رأيه – حينما يكون مزيجاً من حرية النفس وسلطان العقل ، واستيعاب فلسفة الحياة الانسانية ، يتفاعل معها وينطلق عنها .

وهو لهذا يخلع على نفسه لقب « الشاعر النفسي » ويعتز به ، لأنه يجيد حينما يجول في حنايا النفس والطبيعة ، ويغرق في تأملاته باحثاً عن قصة الحياة في زوايا النفس البشرية :

يستشف الحياة في العالم المطوى	بين النفوس طي السجل
فيجوب الضمير والفكر يجري	في النواميس بين بعد وقبل
فيرى ما يكن في الماء والزهرة	والأرض والفضاء المطل
هذه قصة الحياة تنادى	عاشقيها لفهم معنى التجلي

إنما منبع الحياة من القلب ومن قاعة تمد يديها ..
فاسلكي نهج التأمل فالآيات توحي اذا أصيخ اليها

وقد احتفى الشاعر بذلك الجزء التأملي ، فصدر به الديوان ، وعنونه بعنوان « من مشعل الفكر الحر » وأدرج تحته قصائده التأملية التي تعبر في انطلاقها وعمقها عن شخصية انطوائية يرتاح بها الشاعر الى ما وراء الأحياء ، فيسامر الليل ، ويساهر القمر ، ويحاور الضمير ، ويناجي المثل الأعلى ، ويتساءل عن سر الطبيعة والحياة ، ويصغي مع النفس ، ويرتد الى الماضي . فيعايش الشعراء والمفكرين الذين يسير واياهم في درب واحد ، من امثال المعري والخيام ونيتشه ، وكان اولى به ان يلحق بهذا القسم ما ادرجه مؤخراً في النقد الاجتماعي ، فأنه يسير مع هذا النمط على خط واحد ، ويتسم بالثورة على قيود الحياة وشكلياتها ، فليس هناك تفاوت كبير بين ما يناجي به أبا العلاء :

اليك رهين المجلسين فظائعاً	أتاها بنو الدنيا وانت كظيم
لئن روعوا ذات الجناح بجوها	ولم يدعوا الأسماك وهي تعوم
فقد أحرج الإنسان – دون جناية –	أخاه ، وكبر مقصداه ولوم
لك الله من داع الى العقل بينما	تساور اقوال الدعاة وهوم
وكنت على داعي الدعاة مسلطاً	فنالتك منه غيرة وهجوم

وبين ما يقوله في قصيدته « ضجيج » :

ضجوا وان ضجيجهم لا للهون او للسلام
يبغون بالضوضاء سيطرة تساق على الزحام
ويقابلون الفكر حراً بالوهوم وبالعرام
يعظون باسم الدين من فتحوا الطريق الى الأمام
لكأنما الدين الحنيف بضاعة الشيخ الامام
أمن الأنام اولاء ام بوم على صور الأنام ؟
الصاخبون على الصراحة والثقافة والزمام .
ما في الديانة ان يحارب من يثور على الظلام

وليس مصادفة ان يستهويه من رباعيات الخيام امثال هذه الرباعية

ايها الحاكم ان نسفح دم الكرم المباح
فسفوح انت في الناس وما لا يستباح
ومع السكر فإنا – بعد – صاحون ، فقل
أينا اعرق في سفح الدم الحر الزهوق ؟

ولا ان تستهويه هذه الخاطرة الحاقدة الانتقامية التي تدفعه ان يجافي طبعه السمح فيقول :

أنتقم ما تشاء من اي شكل	نرسل الإنتقام غير مبال
هكذا سنة الحياة ، زحام	يا أخي ، فامض وادرع بالنضال
أنتقم انتقم ودع العفو	لمن يستنيم للآمال
ليس فيمن ترى سوى ذئاب غاب	لا يني فيك فرصة الأغتيال

فان التجاوب والانسجام بين هذا الاتجاه وبين نفثاته الاجتماعية شديد التقارب ، فبنفس الحماس والأيمان يصب حممه على الأفراد والجماعات والقيود المصطنعة باسم الدين او التقاليد ، فيقول في قصيدته « جماعة ضد فرد »

فرد يحاربه جماعة	سخفاء قد ملئوا رقاعه
ولكم تمنوا جهدهم	لقياه يوماً اوخداعه
فيصدهم عن ذاك جبن	فيهم يخشى نزاعه
يا للجبانة والبلادة	حقر نزر البضاعة
تجد الثوي بهم يغصر	وصوتهم في كل قاعه
كل يذم زميله	ويقول : خطته الشناعه
ويقول للجبار : « امرك ! ! »	هاته وخذ استماعه
ويبثه كل الذي قالته	هاتيك الجماعه

على ان هذه التجارب السريعة العابرة لا تتعمق شخصية الشاعر الروحانية على الأنسانية ، فليس انتقامياً ولا حاقداً من يناجي نفسه :

ابذري فيك رحمة الناس	فالناس حريون بالمراحم طرا
واحبي الورى ولا تفتحي القلب	لما ينفث الخبيثون سرا
واسحقي فكرة التقيد بالشكل	ولا تحتقري من الخير نزرا

وفكرة التحرر من الشكل لا تأتي هنا مجرد لفظة عابرة ، ولكنها ظاهرة متعمدة ، لها دلالتها في شعر الشاعر ومجراها العميق في فكره ، فهو لا يتقيد ولا يجمد ، بل يسير مع تيار التجديد الذي يدفع موكب الشعر الحديث نحو آفاق الحرية ، غير أنه يسير في تؤدة وعلى مهل ، وفي اتزان

يتوضح في مجموع شعره ميله الى وحدة القصيدة ، والبعد عن التهويم

والاغراق الذاتي ويترك وراء ابياته شيئاً يستأهل الاناة والتفكير وعمود الشعر يهتز في شعره لكنه ما زال يحدد اطاره العام .

فتنويع القوافي والأوزان ، وطبيعية الموسيقى ، والمواءمة بين الاحساس والتعبير ، والاقتصاد في الأساليب الخطابية – كل ذلك يشير الى اتجاه ثوري عارف بما يأخذ وما يدع من الوان التجديد ومقاديره ، ويبلغ هذا الاتجاه ذروته في مثل قصيدة «المثل الأعلى» وقصيدة «يا وصل» ، ويتلاشى في المراثي والوصف ، والأغراض التقليدية الأخرى حيث تشيع الكلاسيكية ، ولكنها كلاسيكية فيها اصالة تنم عن شخصية الشاعر فلا تذيبها في التيار .

* * *

لقد رأينا فيما سبق كيف كان الشاعر يحفل بتسجيل استجاباته النفسية ازاء تجارب الحياة فيتقاسمه التفاؤل والتشاؤم ، كما يتوزعه التسامح والانتقام ، فالشاعر الذي يقول في اصرار واعتداد :

يصارعني هذا المحيط وانني ... على رغمه حتما سألقى الأمانيا
سأصرع اوهامي وافني وساوسي ... واترك آمالي كباراً كما هيا
ولن تتولى قتل نفسي مخاوف ... تعلم غيري ان يحب التوانيا
ولن اتلقى درس ضعف ورجمة ... من الكيد او من وطأة البؤس جاثيا

.. هو هو الذي يقول في قصيدته «يأس» :

اين حبي ؟ اين احلامي الكثار ؟ ... اين آمالي ؟ اين السعد .. اين ؟
اين اشباح خيالاتي الكبار ؟ ... اين ما كان لنا طوع اليدين ؟
اين قلبي ؟ كان يغفي ويغار ... اين لذات المنى في الحالتين ؟
ذهبت – آه – ولما تنقض ... من مناها حاجة النفس الطموح ! !

وشعر العواد يأخذ حظه من سمات مجتمعه .. سمات الحيرة والشك والتساؤل المفضي الى القناعة بالعجز البشري عن تفسير الظواهر الكونية والتصاريف القدرية :

لم نحيا على البسيطة جبراً ... ونعيش السنين فيها حيارى
ولم الموت كالحياة بكره ... يسلب النفس عزة واقتدارا
اترى الفلسفات والدين والعلم ... اقامت للسالكين المنارا
نحن كالأولين نحيا دواليك ... ويحيا من بعدنا اعمارا
وتدور الحياة والشمس والاقمار ... والليل والنهار بدارا
وسيبقى سر الحياة معمى ... وستلقى العقول بعد خمارا

على ان تردده بين التفاؤل والتشاؤم والحيرة والقناعة لا ينفي ايمانه بربه وبمجتمعه وثقته بنفسه وحبه للانسانية ومشاركته في برها .

* * *

وفي «عالم كيوبيد» نلمح آثار السهام في حنايا الشاعر تمسح شعره بمسحة التصابي والتصبي معاً ، على ان أثقال التقاليد الملقاة على كاهله تحجزه عن الانطلاق ، فما زالت حياتنا الشرقية تفرق بين الحرية النفسية الفنية ، فقد يلزم الرجل الحر الفكر والعقيدة نفسه بقيود نفسية ، ومن هنا جاء نفاقنا لما يسمى بالغزل العفيف وسخطنا على غزل ابن ابي ربيعة ومن انطلق انطلاقه بالرغم من رضانا الخفي وارتياحنا النفسي اليه . ولم يشذ العواد فجاء غزله ذكريات وامنيات :

يا وصل ان دمت بهذا الجفاء ... مات الهوى ان شئت او لا تشاء
فقم تداركنا ، وما من جناح ... وامنح مريديك الهناء المباح

وقد يغرق في امنياته إغراقاً جامحاً لا ينم عن عشق صادق بقدر ما يدل على روح فتى مدلل ، يفرض دلاله فرضاً واجب الطاعة حتمي الاستجابة :

أشعري الصب يا جميلة ان ... الوحل من حقه متى ما اراده
ثم قولي له اتخذتك خلا ... خالصاً مفرد الهوى وزياده ! !

قد نتساءل ما الزيادة التي يريدها الشاعر بعد هذا الغلو ، ولكننا لابد متسائلون : من هذه التي يلقي اليها بأوامره الحازمة التي تنزل به وبها من مستوى الغزل الى مستوى الأمر والطاعة ؟ انها هي التي يناجيها في الفقرة التالية مباشرة

انت يا منتهى الجمال ويا «فينوس» ... في الحب او على غير حب
ليس نقصاً لحسنك الثر سكنى ... هذه الأرض دون عرش الألمب

فهذا الجمال العبقري المعبود يتسلط عليه الشاعر بالأوامر والنواهي ، حتى لا يسويه بالصديقة التي تكتب له الرسائل الحمراء ، او حتى التي تطبخ له القرع

خلابة تطبخ لي القرعا ... إن ضقت بالفاصوليا ذرعا
أجود بما تطهي ولكنما ... طهو الهوى من يدها يسعى

لولا التجربة الحارة في مثل قصيدته «اصبوحة» لجاء غزله مهتز العاطفة او من طراز القرع والفاصوليا

أما سرك ان قمنا صباحاً نسبق الشمسا
وهذه البسمة الحلوة في ثغرك لا تنسى
وقد سارعت بالتقبيل اجنيها به همسا
حذار الخادم الشمطاء في المطبخ ان تسمع
وهذا العنب الأسود نعطى منه ما شئنا
وقد هيأت الخادم من اطيبه صحنا
فناولتك حبات كبارا ملئت حسنا
نثرناها ، وما يحمل من حباته اجمع
لكم سرك هذا العنب المعسول اذ ذاك
وكم كنت به أقرأ ما تكتب عيناك
ثناياي به تقرع كالكأس ثناياك
فظلت – لتجاري بحمياه حمياك –
فقال الكرم آمنت ، وقال الحب : لا أدفع ! !

وقد أدى الشاعر في ديوانه ضريبة الوطنية والثقافة والعروبة ، فأفرد فيه شرفة للأناشيد العسكرية والمدرسية ، وحينما شاء ان يؤدي ضريبة المجتمع فيزاول المدح الذي تفرضه عليه منزلته ومسئوليته ازاء تقاليد الجماعة ونفاق المجتمعات الشرقية – وضع هذه الفئة من القصائد تحت عنوان «شئون اجتماعية» وكان اولى به لو سماها «ضرورات اجتماعية» فهي من الألوان التي اوشكت ان تنقرض من ديوان الشعر الحديث لولا هذا ..

وفي الأخوانيات والمراثي لا نجد الشاعر يحفل بها ما يحفل بالأنماط الأخرى لولا أن رثاء الأم يجيء من وراء الصنعة ومن وراء المشاعر :

رحمة الله للدفينة في الأضلع ... من قبل دفنها في الحضير
وجلالا لها وسقياً لقبر ... ضمها بين نشر ذاك العبير

وبعد فديوان «نحو كيان جديد» خطوة موفقة نحو بعث الشعر الحجازي ، وانسجام خطاه مع موكب الشعر العربي المعاصر واستهداف واع لتطوير البيئة الحجازية نرجو ان يبلغ مداه ، فهذه الطاقة الجارية في ديوان العواد كفيلة بأن تضرم توثبها في الحجاز الحديث .

القاهرة — **رضوان ابراهيم**



معركة القنــــال

بقلم : سعد زغلول فؤاد

دار السلام – القاهرة – ١٦٨ ص

بهذا الكتاب تبدأ « دار السلام للنشر » نشاطها في مجال الثقافة المصرية والعربية ، وهذه الدار كما يقول الاستاذ « ابراهيم يونس » مقدم الكتاب : « لا يسندها ممول خطير .. ولا رأسمال كبير ، وانما تسندها عزائم الشباب » .

والواقع ان هذه ظاهرة تستحق الاهتمام وتستأهل التشجيع . فمنذ عام ونصف عام وبعد ان أحس الشباب المثقف تآمر الاستعمار على الكيان الثقافي في الأمم استطاع ان يفهم دوره في هذا المجال بالذات .. في مجال النشر ، وأن يؤسس دوراً وطنية غايتها عدم الانحراف بالثقافة عامة والثقافة الوطنية خاصة الاحتفاظ بنزاهة الكلمة وفاعليتها وهدفها .

وكان نتيجة لهذا الفهم الجديد من الشباب ان تكونت دور جديدة لتقدم للعالم العربي والمصري ثقافة واعية بعدأن غرق السوق المصري والعربي بكتب مؤسسة « فرنكلين » ومؤسسة «اخباراليوم » وكلنا يعرف الدور الذي تلعبه هاتان المؤسستان ..ولقد سبق اننوه الأستاذ محمود امين العالم في « المعرض » والاستاذ رجاء النقاش في «الآداب» بدور الشباب في هذه المرحلة .

والكتاب الذي بين ايدينا يؤرخ لمعركة القنال التي خاضها الشعب المصري في بسالة سنة ١٩٥١ ضد الاستعمار الانجليزي والتدخل الغربي الذي يريد ان يفرض سيطرته من جديد بعد الجلاء وبعد التأميم .

ويبين الأستاذ سعد زغلول فؤاد دور مصر الفعال في النضال الدولي .. هذا الدور الذي تجلى بوضوح في « باندونغ » و « بريوني » والذي ينادي بالحياد الايجابي والتعايش مع كل الشعوب . يقول المؤلف : «وكفاح مصر اليوم من أجل السلام العالمي انما يضاعف من الأزمات التي تأكل في بناء الدول الاستعمارية ويعجل من انهيارها فيسقط النظام الاستعماري . »

واستشهد المؤلف بتصريح لأيزنهاور : « اقتصادنا اقتصاد حربي ، وازدهارنا ازدهار حربي » ليدل على أن المعسكر الرأسمالي بزعامة امريكا يرنو دائماً الى الحرب ولا شيء غير الحرب . .

ويظهر المؤلف مدى التهافت والأزمة الاقتصادية نتيجة للنظام الاقتصادي الاحتكاري في الدول الرأسمالية واستنفاد الميزانيات في الاستعداد للحرب.

وقد أرخ سعد زغلول للكفاح المصري بعد الحرب العالمية الثانية تأريخاً صحيحاً واعياً لم ينهج فيه منهج المؤرخين الرسميين الذين كانوا يهتمون بدور الحكومة في المعركة ويتركون الشعب بطل المعركة الحقيقي بدون تاريخ .. لم ينهج هذا النهج لأنه شاب خاض المعركة بنفسه مع آلاف الشبان المكافحين وشاهد عن كثب دور الشعب في المعركة ولم يكن قابعاً في الأبراج كغيره يؤرخ من أعلى وينظر بأرستقراطية .. وبمنظار مزيف ويفتعل التاريخ .

لذلك لم يكن مفاجأة ان يؤرخ للدور الفعال الذي قام به الشعب منذ سنة ١٩٤٦ في القاهرة وفي الاسكندرية وفي كل مدينة وقرية مصرية . هذا الدور الذي مهدللصراع الشعبيضد الملكية وضد الاستعمار وكانأميناًحين أظهر موقف حكومة الوفد بالنسبةلإلغاءالمعاهدة. هذا الموقفالذي تبينمنه أنه كانرد فعل لمحاولة « فاروق » طرد الوزارة من الحكم . ويبدأ المؤلف من ص ٥٦ حتى نهاية الكتاب يؤرخ للكفاح الشعبي المسلح في القناة بعد ان تخلت الحكومة عن واجبها الوطني . وهنا اختلف مع الاستاذ سعد زغلول في نظراته الى المعركة وفي تأريخه لها .. وفي روايتها على هذه الصورة الفاشلة الناقصة . والذي اعلمه ان احداً لم يؤرخ بعد للمعركة تأريخاً موضوعياً سليماً . فالذين كتبوا عن معركة القنال في ابانها وبعدها حتى الآن كانوا عاطفيين ونظروا اليها من الزاوية التي تجعلهم ابطالا والتي تجعلهم في نظر الشعب حماة حقيقيين .

والواقع الذي يعرفه كل مصري ان الحكومة في ذلك الحين قد وقفت موقفاً سلبياً تماماً . بل انها في نهاية المعركة طعنت المعركة في صميمها وتحمل الشعب وحده عبئها ونتائجها ايضاً . وحين بدأ الشعب يخوض المعركة لم تكن له قيادة موحدة ولم يستطع الألم المشترك والعدو المشترك ان يوجدا للشعب قيادة يسير وراءها وهو يخوض الكفاح . تعددت القيادات اذن وبدت المعركة انفرادية وان اجتمع المصريون حولها وتعددت بالتالي « التكتيكات » الحربية وكم سبب تعدد القيادات فشل كثير من العمليات الحربية .

لم يؤرخ سعد زغلول اذن للمعركة ككل . بل ارخ لكتيبة واحدة كان يعمل فيها – بل انه خص نشاطه هو بصفحات كثيرة من الكتاب . فبأي حق يسمي كتابه : معركة القنال ؟! .

اني اصارح المؤلف الفاضل ان المعركة لم يخضها « بلطجيان من الدقي » فقط ولا لصوص الشرقية فقط ولا قيادة عزيز المصري فقط . بل خاضها الشعب كله على ضفاف القنال وتوجهت كتائب كثيرة من القاهرة ومن مدن أخرى وخاضت المعركة فعلا لكن سعد زغلول يتناساها ولا يذكرها ربما عن عمد او غير عمد . ولكن هذه هي الحقيقة .

ربما يعترض المؤلف او غير المؤلف بأن الكتاب لا يستوعب اعمال الكتائب كلها والا احتاج هذا الى اكثر من كتاب : وأقول رداً على ذلك : ان المؤلف قد حلل المقدمات السياسية التي مهدت للمعركة .. هذا التحليل يفيد أن المؤلف سوف يؤرخ للمعركة ككل .. وفوجئنا بعد ذلك بذكر اعمال بسيطة لا تدل على الموقف بوضوح .. فهناك معارك هامة وحاسمة في معركة القنال

كان يجب ان تذكر وهناك ابطال استشهدوا وكان لهم دورهم الفعال .. هؤلاء لم يذكروا.. وكانت هناك خاتمة سيئة للمعركة لم يذكرها المؤلف ولم يذكر ظروفها ويحللها ويتعمق الى جذورها كما تعمق في تحليل مقدمات المعركة . ومما يدل على تخبط المؤلف في منهجه وهو بصدد أعمال الفدائيين انه ذكر اعمال كتيبة البطل« أحمد عبد العزيز » وهذه دلالة على ان المؤلف لم يسر على منهج معين فأرخ لأعمال وترك اعمالا أخرى . وقد تبينت من هذا الموقف ان ميول المؤلف السياسية قد حالت بينه وبين التأريخ للجوانب الأخرى من المعركة وللمناضلين الآخرين .

وهناك نقطة هامة وبارزة أخالف المؤلف الفاضل فيها. يقول المؤلف ص ٤١ : « برزت فجأة مشكلة فلسطين وبشكل اثارى بل جنوني .. انطلقت كل الصحف الكبرى وجميعها في قبضة الاحتكار والاقطاع ويغذي بعضها الاستعمار انطلقت كل الصحف تدعو لانقاذ فلسطين بالحرب » . ثم يقول ص ٤٣ : « وسريعاً ما ادرك الشعب حقيقة حرب فلسطين ..انها لم تكن اكثر من مؤامرة رخيصة على كفاحه ضد الاستعمار .. من أجل حقه في الحياة . عرفت الجماهير ان المؤامرة عملت على صرف ثوريتها عن مجابهة الغزاة الى خطر مصطنع في فلسطين كذلك لشغلهم عن الكفاح لتحقيق مطالبهم الاقتصادية.»

ما هذا الكلام يا اخي المؤلف ؟! ان هذا خلط عجيب . فلم تبرز مشكلة فلسطين فجأة لتحول بين الجماهير الشعبية وبين المعركة .. ولم تكن حرب فلسطين في بدايتها حرباً القصد منها الحيلولة دون كفاح الجماهير في مصر إن قضية فلسطين قضية عملت لها اليهودية العالمية منذ الف سنة . لقد ذكر « الفريد ليلنتال » في كتابه « ثمن اسرائيل » ان المشكلة برزت منذ تغنى الشاعر الاسرائيلي المجهول بأورشليم .. ألم تقرأ « بروتوكولات حكماء صهيون » ؟! ان المشكلة لم تكن مشكلة فجائية .ولم يكن الخطر في فلسطين خطراً مصطنعاً كما تقول .. لقد كان خطراً حقيقياً يهدد مصر من الخارج كما يهدد الاستعمار مصر من الداخل . فضلا عن محاولة ابادة شعب عربي بأسره . لقد كشف الاستعمار الغربي اخيرا عن النقاب حين صرح ايدن رئيس وزراء بريطانيا : «يجب ان نستخدم اسرائيل كقاعده هجوم لقد ضاعت منا القناة.» كان على المصري اذن ان يحمل السلاح ويحارب ليدافع عن وجوده من الصهيونية .. من الخطر الجديد الذي يحاول ان يفرض نفسه مكان الاستعمار . ولم تكن المؤامرة في دخول الحرب أوفي شرعيتها بل كانت المؤامرة في تزييف المعركة المقدسة والطعن من الخلف والتآمر مع الاستعمار على تحطيم القومية العربية التي جمعت الشعب حول قضية فلسطين . واذا عرفنا كذلك ان معركة فلسطين كانت كمعركة القنال سبباً مباشراً لثورات عربية ومنها ثورة يوليو المصرية ادركنا أهمية هذه المعركة في خلاصنا من الاستعمار

وبعد : « فمعركة القنال » كتاب واع يستحق مؤلفه الاستاذ سعد زغلول فؤاد التهنئة عليه

القاهرة **عبد العزيز عبد الفتاح محمود**



كتب وردت الى المجلة

وسينقد بعضها في أعداد قادمه

* اشكال والوان — بقلم مدني صالح أهيتي
مقالات – مطبعة المعارف ، بغداد – ٨٨ ص .
* همسات الزمن — بقلم انور شاؤل
شعر – مطبعة المعارف ، بغداد – ١١٨ ص
* اصدقاء — بقلم يوسف يونس
قصص – مطابع « الف ليلة وليلة » بيروت – ١٢٦ ص
* شعاع على حياة ضاحكة — بقلم كاظم علي الخالصي
يوميات ادبية – مطبعة المعري ، بغداد – ٢٥ ص
* جناح النساء — بقلم بيرل باك
قصة ترجمة سميرة عزام – المؤسسة الأهلية ، بيروت – ٢٢٦ ص
* هنا برلين حي العرب — بقلم يونس بحري
مقالات – دار النشر للجامعيين – ١٤٢ ص
* شوقي وابن زيدون — بقلم ابو القاسم محمد كرو
دراسة – منشورات كتاب البعث ، تونس – ٦٤ ص
* مبادئ علم الاجتماع — بقلم حسن علي الداقوقي
دراسة – مطبعة دار الكشاف . بيروت – ١٦٠ ص
* مع ابي تمام — بقلم عبد الحميد المنيف
دراسة – توزيع مكتبة النجاح بتونس – ٩٩ ص
* كامل الصباح — بقلم يوسف مروه
دراسة – مطابع لبنان – ٢٨٦ ص
* المرأة والحياة — بقلم ناجية تامر
دراسة – كتاب البعث ، تونس – ١١٠ ص
* محاضرات في نظم التربية — الجماعة من علماء التربية
اشراف الدكتور حبيب كوراني – طبع دار الكتاب – ٢٠٨ ص
* مع ابي تمام — بقلم عبد الحميد محمد المنيف
دراسة – توزيع مكتبة النجاح بتونس – ٩٦ ص
* سنان وصلاح الدين — بقلم عارف تامر
قصة تاريخية – دار بيروت – ١٥٥ ص
* الطين والأظافر — بقلم محي الدين فارس
مجموعة شعرية – دار النشر المصرية – ١٣٦ ص
* ابو نواس في امريكا — بقلم صفاء خلوصي
قصة – مطبعة دار المعرفة ، بغداد – ٩٦ ص
* نداء الجيل — بقلم انطوان سعيد عود
شعر – دار الغد ، بيروت – ١٠٤ ص
* ديوان العباس بن الاحنف
شرح وتحقيق الدكتورة عاتكة الخزرجي–مطبعة دار الكتب المصرية، ٣٢٤ ص
* تكوين العقل الحديث — تأليف جون راندال
ترجمة الدكتور جورج طعمة – نشر دار الثقافة ببيروت – ٥٥٢ ص

الى رجال الفكر

انشري فوق روابينا الصباحا وامسحي عنها الليالي والجراحا
درج التاريخ في ظلك يا اخت مروان غدواً ورواحا
طاف بالركب اختيالا فرأى كل حر كان في الركب جناحا
وقلوباً حرة ثائرة ووجوهاً عربيات صباحا

✻

يا رفاق الفكر اعيانا السرى وطويناها دروباً وبطاحا
فاجعلوا في الغوطتين الملتقى واركزوا فوق ذرى الشام الرماحا
واشهروا اقلامكم دامية وكفى بالقلم الدامي سلاحا

✻

نحن خضنا ثورة الفكر معا . واقتحمناها ميادين وساحا
رزرعناها غراساً طلقة وسقيناها الدم الغالي صراحا
وكتبنا باللظى احرفها ونسجنا لهب الحرف وشاحا
يوم مست نارها اقلامنا عبق الطيب من الحرق وفاحا
قبست منها السنى واضطرمت فغدت السنة الشعب فصاحا
منذ خط الحرف تاريخ الدنى حطم القيد وبالظلم اطاحا

✻

ايها الاحرار ما الفكر بلا موطن الا سنى البرق ألاحا
فاذا عاش على ارض غدا يملأ السبع السماوات الفساحا
هذه الحرية الحمراء ما عرفت الا فلسطين مراحا
وتقلبنا على نيرانها وصهرناها قلوباً وصفاحا
كيف يمشي القلم المأجور في ساحة تجتاحها النار اجتياحا
رقص النور على ملعبها والهوى غنى لها والسفح باحا
الروابي عانقت انجمها والثريا اهدت المرج السماحا

✻

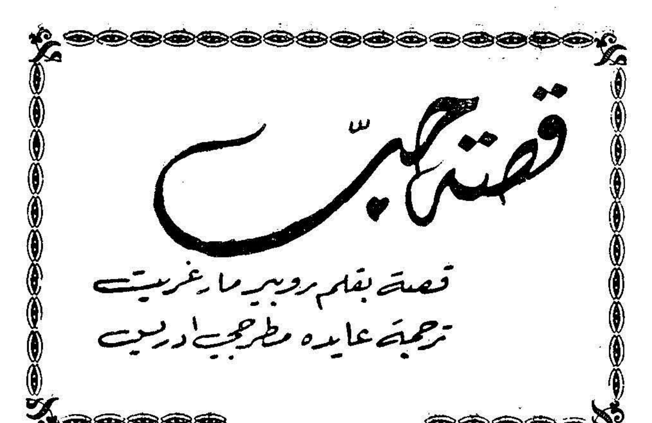
بكت الاحرار في اوطانها كيف لا نبكي حمانا المستباحا
شردوا اهلي وصحبي فعلى كل درب شبح النكبة لاحا
خيم الظلم على داراتهم فكأن الظلم لا يبغي براحا
عصف الليل بانوارهم وتوارى النجم والفجرا شاحا
الخيام السود تبكيهم فهل يسألون اليوم عن اهلي الرياحا
دمهم سال على كل ثرى اترى ينبت ريحاناً وراحا
خضبوا آمالهم وانطلقوا يلهبون الكون ثاراً وطماحا
ناحت الارض على اربابها اين من يسمع من ارضي النواحا
ايها العاشق من بعد النوى هل ترى من خلل الدمع ملاحا

✻

يا رفاق الفكر حراً ثائراً ان في حرية الفكر اصطلاحا
في صرير القلم الحر صدى ثورة الشعب هتافا وصداحا
فاصرعوا الليل باقلامكم فعلى حافاتها الصبح استراحا
حاربوا الظلم على الدهر الى ان يرف الكون طهراً وصلاحا
واذا المستعمرون انتشروا يملأون الأرض جوراً واجتراحاً
حرروا الدنيا من استعمارهم شرف الانسان أن يقضي كفاحا

ابو سلمى

(*) القيت في مؤتمر الادباء العرب بدمشق



في الحقيقة ليست هي حتى قصة . انها شيء لا اسم له ولا يكاد يستطاع سرده. فقصة الحب تفترض احداثاً تقليدية كأن تنتهي مثلا بزواج او موت اوفراق يثير ضجة . اما القصة التي اريد ان ارويها الآن، فلا حوادث فيها، ولا نهاية لها . واما بدايتها فعادية جداً .

كان ذلك منذ ثماني سنوات في محطة الأذاعة بمركز « اوتوي » وكنت وقتئذ انتسب الى فرقة « دلماس » الذي كان راغباً في تقديم مسرحية إبطالها عديدون ، فاتفق مع بعض الممثلين ،وكانت بينهم « ماريا » التي اسند اليهاالدور الرئيسي .

واذ دخلت الى الأستديو لتقوم بالتجربة الأولى استولى علي جمال هذه المرأة الباهر واستغرق كياني كله. فلم ار غيرها . كانت هذه هي المرة الأولى التي اقترب فيها من « ماريا العظيمة» كما كانوا يسمونها في اوساطنا. ولقد كان قربها الدافيء وسعة عينيها القاتمة واناقتها البالغة توفر لي الأحساس بالضيق الشهواني نفسه الذي يعترينا عندما ندخل الى حمام تناهت حرارته .

لكنني ما لبثت ان اعتدت شيئاً فشيئاً هذه الحرارة بينما كان دلماس يشرح لنا الأدوار . فاستعدت اطمئناني واستطعت ان اجيل طرفي حول دائرتنا . وفجأة تعلقت عيناي بوجه فتي فتوة ساحرة يعلوه شعر رائع .

وقلت في نفسي ما عسى هذه الفتاة الصغيرة تفعل هنا ؟

ولكنها ما لبثت ان نهضت واقتربت من المذياع فلاحظت اذ ذاك انهـا امرأة على جانب كبير من الصبى . انها ، ولا ريب ، لا تتجاوز الثامنة او التاسعة عشرة من عمرها . كانت فارعة القامة رائعة التكوين ممشوقة على امتلاء في الجسم . وكانت تقرأ ، ممسكة بيد ورقتها ، مرتبة بالأخرى على غير ما تعمد خصلة من شعرها على جبينها النقي المشرق . ثم سكتت مترقبة الجواب

وصاح بي دلماس : وماذا تنتظر يا بيار ؟

وتقدمت بخطى مترددة ، فنظرت الي وهي تبتسم وقد أمتعها شرودي . كانت ابتسامتها كابتسامة تلميذة يسليها اتفه شيء ، ولكن اي اشراق كانت تضفي على عينيها واي انعكاس ! كانت اسنانها من ظل شفتيها تلتمع كينبوع بين الورود . كل ما فيها كان كمالا وصفاء : كالماء والسماء وانبثاق النبتة . وكانت جاذبيتها تفصح بنضارة عجيبة . ولقد وجدت اسمها ساحراً : كانوا يدعونها « ليز » .

وحدثتها اذ فرغنا من العمل فاخبرتني انها آتية من معهد « بونالد » حيث كان دلماس يعمل فعرض عليها هذا الدور . وفي تلك اللحظة ناداني دلماس . لقد استدعتني ماريا . ولقد فاجأتني « ماريا »أتكلم من غير تكليف مع هذه المجهولة فاظهرت لي لطفاً بالغاً . وحين تمكنت من مفارقتها كانت « ليز » قد اختفت ويا للأسف .

في تلك الحقبة كنت اعيش مع « جردا » التي كانت رسامة وكاد فنها او بالأحرى علاقتها بصاحب رواق في « فوبور سان انوره » ان يجعل منها فنانة ذائعة الصيت . ذلك المساء ألفتني شارداً بارداً فاتهمتني بانني اخدعها .

فاجبتها قائلا وانا اهز كتفي « انك مجنونة . كل ما في الأمر انني مريض »

وسرعان ما تبينت ان هذا صحيح . فانا اشعر بضيق كالذي يسبق الضنك ولماذا ؟

وما كدت آوي الى فراشي حتى وجدت تحت جفني صورة ليز مرسومة بالوانها النضرة ورشاقتها وامتلائها الشبيه بامتلاء النبتة الجميلة. وتمثلت ابتسامتها ولمعان اسنانها العذب وبريق عينيها فشعرت بقلبي ثقيلا .

ماذا ؟ اتراني قد عشقت هذه الطفلة ؟ في حين ان جمال ماريا قد بهرني من غير ان يتملكني ، وكنت احب جردا حباً حقيقياً . انني الآن، وفي دفء ضجعتنا احسها ملتصقة اليَّ وكنت بحاجة الى ان احسها ، « جردا » الخفية المدربة التي كانت بشرتها تلائم بشرتي ، وكان جسدها يستجيب لجسدي . لقد استنفذت جميع رغائبي . او هذا على الأقل ما اعتقده .

ان في نفوسنا دائماً صبوة غير محققة . ان في اعمق اعماقنا نهماً لا يرويه شيء . كانت « جردا » جميلة ، وكانت طيبة ، وكانت طوال ثلاثة اعوام تشبع كل رغباتي وكل حناني . ولكنني مع ذلك كنت احلم بليز . وكنت اعلم اية عذوبة كانت صورتها تريق في نفسي بحزن ولذة .

وفي الصباح التالي ، عندما استيقظت « جردا » ظللت مطبق الجفنين . وقد كان من عادتها ان تغدو هنا وهناك عارية لا في غرفتنا وحسب ولكن في البيت كله لتقوم باعمالها بحرية لا تخلو من غموض . وكانت قد عرضت جسمها للتصوير مدة طويلة من الزمن كسباً لحياتها ورغبة في شراء لوازمها . ولقد اورثها ذلك طابعاً يتنافى والحشمة . فكانت تذرع الغرفة عارية من كل شيء .

وكان يحدث احياناً ان ترتدي قميصاً قصيراً ولكنها سرعان ما كانت تنزعه لتنتصب نفسها موديلا تنقل عنه . كانت تقف امام مرسمها فتغمز بعينيها ، وتتفحص صورتها المنعكسة على مرآة متحركة. ولقد كان من عادتي ان اجد متعة في ان اراها كذلك بساقيها الطويلتين وخصرها المكين وعنقها المتطاوله التي كان حدها ينثر لونه الرخيم فوق الوان الرقعة الصارخة .

ولكنني في هذا الصباح كنت اتحاشى ذلك المنظر ، كنت اتهرب من الرغبة وكنت بحاجة الى البراءة ، وكان علي ان استنفد كل موهبتي لأحدث دلماس عن ليز من غير ما اهتمام . فكنت اجهد في سؤاله دون ان اشعره باهتمامي وكان يجيب بابهام وكدت لا افهم شيئاً .

وفي اليوم التالي ، حين قصدت الاستوديو رأيت ليز تهبط الدرج . وامام المصراع كان يقف شاب ليس دونها اناقة . وقبل ان تدخل التفتت الى الوراء وارسلت اليه اشارات ودية ثم رأتني فاقبلت علي بلطف . وسلمت عليهـا .. ولم اعرف ماذا اضيف .

ما اوسعها مسافة تلك التي تفصل بين الكائنات ، انها مسافة يقتضي تقليصها وقتاً طويلا. ان احدنا لا يستطيع من هذا البعد الشاسع ان يهتف لأمرأة ، لصبية. « انت التي تتقمصين اعمق آمالي . » بل كان علي ان احدثها بخفة عن اشياء تافهة، عن رفاقنا ، في المسرحية . ولكن كان يعسر علي ايجاد العبارات ، وكنت مضطراً الى ان اتكلم بلغة غريبة . فلغتي الحقيقية تلك اللغة التي كان لابد لليز من ان تتكلمها هي ايضاً كانت تصدي في اعماقي . لماذا تراني كنت لا ادعها تتخطى شفتي ؟ لأن ليز ما كانت تستطيع ان تفهمها ، وكنت على يقين من ذلك .

كانت في الحقيقة غريبة عني ، انها تخص حياتها ، هذه التي كانت فيها تلك السيارة وهذا الفتى الأنيق وسواه من المعجبين الكثر والمعتادين . اما انا فكنت ساكن جزيرة اخرى، جزيرة سعيدة ، يستمتع بكل ما فيها ، جزيرة معطرة بجسد « جردا » . ان كلا منا اسير سعادته اليومية ، وثرائها . وليس باستطاعتنا في مثل هذا الوقت القصير ان نلتقي في مكان آخر .

ولم يكن ثمة بعد الا هذه التجربة ، التي سنقوم بها هذا المساء . ثم ينتهي كل شيء فلا ارى ليز بعد اليوم .

كنت جالساً في الأستديو وانا اتأملها. كانت تقرأ أمام المذياع المشهد الكبير مع ماريا ودلماس . كم كنت احبها يا آلهي ! وبأية عبادة عميقة ! اي سحر لا ينضب ، واي هوى جارف ، واي عرفان راعش كهبة بالغة الجمال عرفت في هذه اللحظات. إن الرجل الذي يغرق، يعيش لدقائق قبل ان يجرفه التيار ، فيلم حياته السريع . ولكنه لن يعيش ماضيه بهذه القوة التي عشت فيها مستقبلي الذي لم ينجز ، مع انه كان مشبعاً بحقيقة تفوق الحقيقة الانسانية .

وأتى دوري في التمثيل وكنت قريباً من ليز فاستنشاني عطرها ودفؤها ، وتغلغل في اشعاع جسدها . لقد كنت متأكداً من اني سأفقدها . فكان ذلك يمزقني . وكنت تملأ بهذا العذاب . وكان في هذا الألم نشوة لم اجد مثلها بين ذراعي جردا ولا اية امرأة اخرى . اترى ليز قد فهمت كل ذلك ! لا ريب في انها قد ادركت اني معجب بها ولكنها لم تكن تعرف انني احببتها ولم تكن تعرف مبلغ حبي .

وفي المساء حين اطفىء المصباح الأحمر خلف شباك العامل اثر آخر جواب من آخر فصل، التفتت ليز الي. لقد كانت نظرتها وابتسامتها الكئيبة تتجاوب واحساساتي تجاوباً عميقاً جداً حتى حسبتها متبادلة..

وظللت لحظة اخرى مسحوراً بهذا كله ، ثم فنيت في عبادتي وقلت بعد ذلك: وداعاً يا ليز .

فاجابت : بل الى اللقاء .

وكان في انتظارها رجل اربعيني يشبه اولئك الذين تنشر صورهم مجلات الموض للرجال وفي يده زهور . اما انا فكنت على موعد مع جردا .

وبعد ثلاثة اشهر ضاعت ذكرى جردا في نفسي بين ذكريات سواها . فحلت ماريا محلها في حياتي اليومية . يبدو انني قد اثرت على هذه الفنانة تأثيراً عميقاً . ففي الأسابيع التي تلت عملنا في الراديو كانت تبحث عني . فداخلت الريبة في ذلك جردا . كنت احبها ودودة لا حسودة . ولكنها اتعبتني فتركتها . اما وقد غدوت طليقاً ، اتراني ارفضها ؟ انها غنيمة مغرية . كانت تملك ذلك الجمال الذي يتوج المرأة الناضجة اذ تبلغ هذه اللحظة الدقيقة التي تفصل قمتها عن سفحها . ولقد وعيت هذه اللحظات . فقطفتها معترفاً بجميل هذه الصدفة .

ولكنني ما نسيت ليز وما كان ذلك في طوقي . لقد كانت تسكن كياني . وكنت اتحسسها في كل لحظة . كنت ارافقها في الشوارع وكانت تتبعني الى المسرح وكنت احملها في نومي . ولقد حلمت بها يوماً فميزتها بدقة عجيبة ، واقفة على رصيف قرب عامود محطة الأوتوبيس . وكانت تبتسم لي . وفي اليوم التالي ، كنت انتظر الأوتوبيس ذا الرقم ٩٢ : فخيل لي ان حلمي الذي كان لا يزال مستولياً علي يستمر حين رأيت ليز تخرج من وراء صف السيارات الواقفة المنتظرة وتتوجه نحوي .

ولم تكن قد رأتني من قبل . ولكنها عرفتني على الفور ، فابتسمت لي كما ابتسمت من قبل في الحلم وفي الأستديو . فبقينا وجهاً لوجه نتبادل النظرات ، ولم يكن لدينا ما نقوله مرة اخرى ، او بالأحرى إنما احس به كان من العمق والأهمية بحيث خانتني الألفاظ وحتى الحركات في التعبير عنه . ولا ريب إن هذا هو تعليل هذه القصة الغريبة وتبريرها .

لم تكن الكلمات ولا القبلات ولا الضمات التي توهمنا بامتلاك المحبوب والتي اوهمتني من قبل بامتلاك جردا وماريا ، لم تكن كلها كافية لتشبع رغبات حبي الكبير . لم اكن اعرف ذلك من قبل . ولكني كنت استشعره : كان بيني وبين ليز شيء محتوم ، شيء لا مرد له . لا يخضع للحدود العادية ولا لملابسات الحياة والواقع .

وظللنا ، الواحد قرب الآخر على حافة الرصيف زائغين نتبادل بمشقة حواراً تقليدياً لم يستطع اي جواب فيه ان يتعدى الحاجز .

– ماذا حل بك . ؟

– بلغني انك تغني في ..

– اما هيأت شيئاً للراديو ؟

كانت تشعر بحرارتي وباضطرابي. ولا ريب في انها كانت تشاركني فيها الى حد ما . لم تكن تدرك تحفظي ولا حزني بصورة خاصة . ضلت ، فاخذت تحاول بعينيها سبر اغواري .

لكم كانت مثيرة ، نظراتها الدهشة الحائرة ، ثم الخجلة والمحتمية فجأة وراء الأهداب المخملية! اية قوة كانت تمنعني من الاستجابة ، لنبضات حواسي. لقد كان بامكاني ان اقول لها : « احبك ، انني اسير حبك » ولم يكن هذا البوح ليثيرها بل كانت تبعتني حتماً من غير تردد ، الى ساحات « اوتر » القريبة وفنادقها الخفية .

ما كنت اتمنى ذلك . وان ما كنت اريد يختلف عن ذلك تماماً . فالذي تمنيته كان من نوع آخر .

ان ما كنت اريده ، آه ، لا اعرف ان اصفه . انها اشياء غير معقولة :

– تمنيت لو عرفتها منذ زمن طويل ، لو شببنا معاً ، لو كنت روحها ، جسدها ، على ان ابقى انا نفسي لاسكر بها. كنت اتمنى اشياء لا يستطاع التعبير عنها ، اشياء لا يفكر حتى بها .

ولم افكر حتى بان اطلب منها لقاء . لقد كان يسيراً علينا ان نلتقي في مقهى او في صالون شاي . ولكن ما جدوى ذلك ؟

ومضت .. ولعلها كانت خائبة . ويبدو ان كآبتي قد تسربت اليها فتبعتها بنظري حتى بلغت مدخل المترو. وقبل ان تدنو منه، التفتت الى الوراء فبدا وجهها رزيناً ، منحنياً كأنه مثقل ثم اشارت بيدها اشارة ربما كانت تنم بالوداع .

ولم استقل الأوتوبيس ٩٢ . وانما انحدرت نحو السين بعد ان قطعت الشانزليزيه وامضيت بقية النهار هناك على الرصيف عند ضفة النهر الهادئ . تلك الضفة التي تنثال عندها الأحلام وتخفف الروح من اثقالها . حتى الهوا الذي نتنفسه كان يأتي من عالم آخر . إن باريس بعيدة . هناك ، فوق ، وراء هذه الجدران التي تمتص صخبها . ليس هنا الا مياه السين الهادئة التي تهدهد وتنيم. والا السماء الوسيعة التي تبدو من خلال الأوراق التي تغطي المدينة فتشيع في النفس الرضى والأطمئنان. لقد وصلت الى هذا المكان والليل هابط ، فجلست هنا ، سابحاً في هذه العشية الرمادية الزرقاء الباردة متعلقاً بكآبتي .

ثم رجعت . وعندما عدت الى المسرح كانت ماريا بانتظاري . فقالت لي ، وقد بدا على وجهها الأضطراب : « واخيراً اين قدمت ؟ وما فعلت » . ثم ما لبثت ان هدأ روعها إذ رأت وجهي وقد ارتسمت عليه علامات التعب . وقالت : « ماذا جرى يا بيار : هل انت مريض ؟ »

لقد كان حبها ممزوجاً بشيء من عطف الأم وقلقها. كانت تحبني بالقدر

الكاتي الذي يدعوني الى ان ابوح لها بكل شيء فقلت : « اطمئني ، ليس في الأمر شيء خطير . لقد مشيت كثيراً على الشاطىء وكانت تتملكني افكار سوداء. » – افكار سوداء ، ولماذا ، اولست سعيداً ، اما تحبني ؟ (– بلى ، وانت تعرفين ذلك . فانا معجب بك ، وانا احبك.(فاخذت تداعب شعري . وحال الماكياج بيننا وبين تقبيلي فقالت : « لماذا هذه الأفكار السوداء يا عزيزي ؟ كنت سعيداً قبل خروجك من هنا وكان كل شيء على ما يرام . »

فقلت : لقد التقيت بشخص بعث في نفسي ذكريات قديمة ، قبلك

قالت : شخص ؟ من هو ؟ ابامكاني ان اسألك من يكون ؟

فأجبت : طبعاً انها ليز . انت تعرفينها ، لقد كانت تعمل معنا في الأستديو

قالت : اهذا الطير الصغير المتنقل ؟ لقد كنت انت اذاً من عشاقها ؟.

قلت : لا . ولكنني كنت مهووساً بحبها .

كان هذا الأعتراف بالحب في هذه اللحظة يملأ نفسي بغبطة نقية عميقة ، وهادئة وكانت ماريا تتأملني بشبه ذعر ثم صرخت من جديد :

« مجنون انت ! اتحب هذه الصنغيرة . انها جميلة ، ما في ذلك شك ، ولكن كان بامكانك ان تمتلكها بعلبة ملبس او بأي شيء آخر . انها تنام مع الجميع . بدورها في الراديو كان ثمناً لأطاعة دلماس هذا المخيف والله يعلم كم كان هذا الشيخ المتهتك متطلباً ! أأنت ذلك المرهف ، قد عشقت هذه ؟ انك لتحيرني !

على ان هذه الأيضاحات ما كانت لتفاجئني . اما رأيت بنفسي ذلك الشاب الجميل ، وذاك الأربعيني المحمل بالأزهار ؟ اما شككت بان هنالك كثيراً من الرجال الذين يحومون حولها وبان هنالك كثيراً من الرغائب حولها ؟ واخيراً اما شعرت بنفسي قرب عامود الأوتوبيس ٩٤ ان جسدها ما ايسر ان يستجيب لأشارتي ؟

ولكن ماذا يهمني من هذا كله ؟ ماذا يهمني العالم الذي يعيش فيه قسم اجهله من ليز ؟ ان ما احببته في ليز لا يمكن لأحد ، حتى ان يدركه . ولم يستطع احد ان يدنسه .

لقد كان سروري وعذابي الغريب في ان توجد بكل بساطة ، في ان تتخذ شكلها . في ان يكون لها فم الطفل هذا ، وهذا الجبين وهاتان العينان وهذه الابتسامة . كل افعالها ما كانت لتبعدني . ولا شيء ، حتى هي ، كل هذه لم تكن باستطاعتها ان تمنحني نفسها او ان تسترجعها .

و ... مرت ثماني سنوات . لم ار في اثنائها ليز . ولكني ما زلت احبها دون ان اتمنى لقياها . فانا اجهل مصيرها ، ولكن شعوري لن يتبدل حتى ولو رأيتها ذليلة ساقطة .

لا ، ليس بامكان اي مخلوق ، اية قوة ، حتى الزمن ، انقاص ما منحتني اياه ليز الصغيرة . انه ما يزال كاملا لم يمس . هذا الكنز من النضارة ، من الدبادة ، من الحنان . الذي لا يتحقق كامن في نفسي كينبوع خفي . فاذا ما فرغت الى نفسي عدت اتذوق في اعماقي هذه السعادة الكئيبة المثلى في نظري . هذه السعادة التي تجود بها الأحلام ولا تصل اليها الأيدي لحسن الحظ فلا تفسدها .

لقد كان سحر حبي الأكبر وميزته هو انه لم يوجد قط الا في قلبي

ترجمة : عائدة مطرجي ادريس

فرنسا

مسرحية الموسم

تعرض في هذه الأيام ، على مسرح « الماتوران » Mathurins في باريس مسرحية « قداس من اجل راهبة » Requiem pour une nonne وهي في الأصل رواية حوارية للكاتب الاميركي الكبير فولكنر . واذا كان مؤلفها شهيراً فان الذي اقتبسها للمسرح الفرنسي لا يقل عنه شهرة ، وهو البير كامو الذي أخرجها بنفسه، وهي الآن تحظى باقبال شديد وتتحدث عنها الاوساط الفنية والادبية باستمرار . وموضوع القصة صراع بين اشخاص الرواية وقدرهم ، حول مقتل طفل .

ويرى كامو ان فولكنر قد وفق الى ابعد الحدود في التقاط اللغة الحقيقية للمأساة العصرية ، فهذه اللغة من البساطة بحيث يمكنك ويمكنني ان نتكلمها ، ولكنها من القوة والعظمة بحيث تبلغ مستوى تراجيدياً عالياً .

وقد سئل كامو ما الذي دعاه لاقتباس هذه المسرحية واخراجها للجمهور فقال : ان الأثر العظيم يغري دائماً بان يخرج على المسرح. وانا اعتقد ان فولكنر هو اعظم كاتب معاصر ، وموضوع هذه المسرحية يلقى في نفسي صدى بعيداً من حيث انه يمثل خير تمثيل الحس التراجيدي الحديث .

وقد كتب الناقد والفيلسوف الكبير غابريل مارسيل مقالاهاماً في مجلة « لينوفيل ليترير » عن هذه المسرحية التي وصفها بأنها الحدث الكبير في الموسم المسرحي الجديد .

وهذا ملخص ما كتبه مارسيل عن هذه التحفة الجديدة :

« ان يكون فولكنر احد كبار روائيي هذا العصر – بل حتى اكبرهم على الاطلاق – فهذا ما انا مقتنع به تماماً . ولكن من الواجب ان اعترف ان انتاجه يكون كتلة جبلية أجدا كبر المشقة في النفوذ اليها. واحسبني لست الوحيد على هذه الحالة . غير أني اطمئن الذين هم مثلي ان هذه المسرحية قد اضحت بفضل الاقتباس والاخراج اللذين اخضعها لها البير كامو على غاية الوضوح . وقد اعطى كامو لنفسه بعض الحرية – المشروعة – لتفصيل دور الزوج . والمسرحية كما هي الآن عظيمة هائلة . ولاشك ان ركام الفظائع التي احتوتها تبعث في اجسامنا الارتعاش . والذي تتكشف عنه المسرحية هو اولا شفقة مأساوية . نكاد لا نجد مثلها في المسرح الحديث ، ولكنها تتكشف كذلك عن حس دقيق للحقيقة .

« تبدأ القصة بقراءة حكم الموت في المحكمة على الزنجية « نانسي مانيغو » التي كانت مقرة بأنها خنقت طفلة عمرها ستة اشهر هي ابنة « غوان ستيفنس » وزوجته « تامبل » . ويفهم من الحكم ان تنفيذه سيتم بعد اربعة أشهر . ويرى المتفرج ان المحكوم عليها لا تقوم بأي احتجاج . على ان محاميها ، وهو عم « غوان » ، يصرح بانه لا يعتبر الحكم ظالماً فحسب ، بل ان باستطاعة ام الطفلة المقتولة ، اذا هي ارادت ، ان تدلي بمعلومات كفيلة بانقاذ الزنجية نانسي . ولكنه يصطدم اول الأمر برفض حازم من قبل تلك الأم الغارقة في حزنها و حقدها . غير ان هذا الضمير المدخول يتعرض شيئاً فشيئاً للاهتزاز . وقبل بضعة ايام من موعد تنفيذ الحكم تعود « تامبل » الأم من كاليفورنيا بالطائرة ، وينتهي بها الأمر الى الخضوع لإلحاح المحامي والذهاب الى الحاكم لتعترف له بالحقيقة كلها.

ولاشك في ان مشهد الاعتراف هذا هو من اروع المشاهد التي عرفها تاريخ المسرح . ويليه مباشرة ارتداد الى الخلف يعرض لنا المشهد الذي سبق القتل مباشرة . والحكاية كلها على غاية التعقيد ولن يحسن المرء حتى ذكر ما هو جوهري فيها . ففي الماضي ، خطف « غوان » تامبل، وكان ثملا جداً ، وذهب بها الى بيت مغلق قضت فيه شهراً باكمله . وقد وضعتها التجارب التي قامت بها في ذلك البيت تحت سيطرة روح الشر فامتهنت البغاء. ثم تزوجت



كاترين سيلرز ومارك كاسوكما يظهران في المسرحية

غوان الذي اعترف بأنه المسؤول عن افسادها ، ولكنه مع ذلك لم يغفر لها سقوطها قط . وخضعت المرأة لنوع من الكآبة ، فاستخدمت نانسي ، وكانت هي الأخرى بغياً ، لتعنى بولديها ، ولكنها كانت تعيش الى قربها ذلك الماضي الذي طبعها بعمق .

«وفي تلك الأثناء، اصبحت تامبل خليلة رجل شرير لم يكن يفكر الا باستثمارها ، وعزمت على ان ترحل معه . وكانت قد رزقت من زوجها غوان بولدين كان اكبرهما في أمان الى جانب جدته . ولكن ما عساه يكون مصير الطفلة الصغيرة ذات الأشهر الستة ؟ ان نانسي التي كانت قد احتفظت بانسانيتها والتي تحب هذه الطفلة ، لم تستطع احتمال فكرة المصير الذي ستؤول اليه الطفلة ان رحلت امها مع عشيقها .. وقد حاولت المستحيل لاستبقاء الام. ثم انتهى بها الأمر الى قتل الطفلة بدافع من محاولة انقاذها. وهكذا أضحت قاتلة "بدافع من الشفقة ، بدافع من الحب » . والمسؤولة الحقيقية عن ذلك انما هي « تامبل » التي اعترفت بالواقع . غير ان اعترافها كان بلا جدوى ، فقد ظل الحاكم على موقفه لا يتزعزع- وهكذا نفذ حكم الاعدام بنانسي . ولكنها في فصل سابق للاعدام ، وفي مشهد يفيض بالروعة ، عبرت لتامبل التي اتت لزيارتها في السجن عن جماع الايمان العميق الذي كان يعمر صدرها : لقد كانت تحتفظ بقلب طاهر ، عبر جميع اللطخات التي دنستها .

« وبعد ، فاني اعترف بان هذا التحليل مجرد خيانة ، كما هو الشأن في تحليل قطعة موسيقية . فلا بد هنا من الرؤية ومن السماع . ولئن كان في باريس الآن اية مسرحية تستحق ان ترى ، فانها لاشك هذه المسرحية »

ويتحدث غابرييل مارسيل بعد ذلك عن روعة التمثيل الذي اضطلعت به كاترين سيلرز وهي في دور « تامبل » ووصف هذه الممثلة بانها من اعظم ممثلات هذا العصر ، كما تحدث عن تمثيل مارك كاسو الذي اضطلع بدور الزوج غوان وقال ان هذه المسرحية من اروع المسرحيات التي شاهدها في حياته .

الولايات المتحدة

روائية جديدة

لمعت في الأفق الادبي بالولايات المتحدة روائية جديدة لاتزال في التاسعة عشرة من عمرها ، تسمى باميلا مور Pamela Moore . وقد نشرت باميلا اخيراً رواية جذابة بعنوان « شوكولا في طعام الافطار » وابطال هذه الرواية من الأحداث الذين تتراوح اعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة

وقد سأل أحد الصحفيين الذين زاروا باميلا مور بعدصدور روايتها المدوية ، بقوله :-

– هل أبطال روايتك موجودون فعلاام انك قد تخيلتهم ؟

فأجابت باميلا :

– ان الحالمين هم الذين يتخيلون . اما الكتاب والروائيون « فيشهدون »

وسئلت باميلا عن اعز امنية لديها الآن فأجابت :

– أن التقي بغريمتي فرانسواز ساغان الفرنسية !

انكلترا

ملتقى عالمين

لمراسل الآداب الخاص خالد الدشطيني

حقاً ان الساكن في عاصمة كباريس او لندن لا يحتاج الى عطلة . على العكس فالسفر منهما الى جهات العالم يضيع عليه فرصة الاطلاع على العالم : ما عليه الا ان يأخذ قطاره الى قلب المدينة ويجلس مستعرضاً شتى الشعوب والأمم . فمن يتصور ان لندن حوت هذا الموسم كل فرقة الا الفرق الانكليزية ؟ من الهند جاءت فرقة كوبال للرقص الهندي ولقيت كل الاعجاب. من اميركا جاءت فرقة الباليه الامريكية. ومن اسبانيا فرقة انطونيو للرقص الاسباني ، من الصين فرقة متنوعات وفرقة متنوعات اخرى من روسيا. وقبلها كانت على الامبرس هول فرقة الجيش السوفييتي للرقص والغناء. وبنفس الوقت اذهلت فرقة برخت المسرحية من برلين الشرقية عالم التمثيل بمبدعاتها . هذا كله في بحر شهرين . لاشك انها طريقة ممتازة لتقريب الشعوب من بعضها واحلال التفاهم محل الصد والتنكر . ولهذا فكثير ممن يعيشون بمد ايديهم في جيوب المتعاركين لا يعجبهم هذا النوع من « الاعجاب الفني»

في الشهر الماضي كانت من اهم المشاكل التي شغلت بال الحكومتين البريطانية والسوفييتية مشكلة الفرقة الروسية للباليه . فبعد محاولات استغرقت عواماً من الجهود تم الاتفاق على زيارة هذه الفرقة للندن مقابل زيارة فرقة سادلرز ولز الانكليزية لموسكو . وكان ان اضطرت الاوبرا الملكية الى زيادة ملاك موظفيها لملاقاة الضغط الهائل على شبابيك التذاكر. وكان ان انفقت ٤٠,٠٠٠ جنيه مقدماً فقط . ورحنا نحمل تذاكر الحفلة في جيوبنا نريها لكل صديق من مسافة مترين على الاقل .

ولكن احدى المعلمات الرياضيات الروسيات جاءت لمسابقة رياضية . وقبل ان تذهب لساحة المباراة عرجت على مخزن قبعات وخرجت بخمس منها . قالت دفعت الثمن وقالت البائعة بل لم تدفعي . خلاف يحدث لاي منا سوى ان هذا الخلاف لم ينته . السكوتلنديارد تركض بكامل موظفيها الشرطة بكل سياراتها ولكن باب السفارة الروسية موصد. المحاكم تصدر بلاغاً بعد بلاغ ، الرئيس السوفييتي ، وزراء ولوردات يتدخلون، رئيس الشركة يستسخف المهزلة من بروكسل ولكن القضية لم تسحب ولا السفارة قدمت البطلة نينا .

ازاء ذلك اعتذرت الانوفا عن سفر فرقتها الى لندن احتجاجاً . ولكن نينا أطلق سراحها والانوفا مستعصمة في موسكو ونحن في مرارة الانتظار .

من اميركا

وهنا مشكلة من نوع آخر . فلم انتجته ستوديوهات ديالتو بمبلغ لايزيد على ٧٥,٠٠٠ جنيه ! ولكنه سبب اضراراً توازيه تكليفاً. غير ان المهم هو انه در بربح على منتجه هو اضعاف التكاليف والاضرار .

الفلم هو « تأرجح حول الساعة » . بعد ليلة واحدة من عرضه اضطرت

النشاط الثقافي في الغرب

بلديات برمنغهام وبرايتن ومانشستر وكلوستر وكثير من مدن انكلترا الى حظر عرض الفلم واضطرت شركات السينما نفسها الى سحبه في ايام الأحد ذلك لأن كل حفلة منه كانت تنتهي بفوضى عامة في الشوارع ، هجوم على المخازن ، اعتداء على المارة بل والشرطة ايضاً. وكنتيجة سيق عشرات من الناس الى المحاكم في لوشام ولندن وبرايتن وبنفس الوقت نقل آخرون الى المستشفيات .

طبعاً كأي شرقي ذهب ذهني حالا الى المواضيع الدينية والسياسية والاجتماعية. ولكني عندما ذهبت الى الفلم تبين لشدة دهشتي انه مجرد فلم رقص، ولكنه رقص ارسل في الشباب حالة من التوتر عجيبة . ولكن شباب لندن خرجوا بقناني البيرة وراحوا يرقصون بصورة هستيرية على سقوف السيارات وامام واجهات المخازن معتدين على كل من يعترض طريقهم. أما الرقص في الفلم فقائم على انغام « روك اند رول » التي طورها الامريكان من انغام زنوج الجنوب ، انغام اقرب ما تكون الى موسيقى الجاز وصفها القائد الموسيقي الكبير السير مالكم سارجنت بانها ليست اكثر من عرض بدائي لضربات دم دم دم...

اشتات من العالم

جوائز ... وأقوال

* منحت جائزة فرانكي الضخمة في بلجيكا (وقيمتها ٢٥٠ الف فرنك بلجيكي) الى العالم باللهجات العامية لويس روماكل L. Remacle الذي هو في الوقت نفسه شاعر رقيق .

* نال الكاتب اليوناني المعروف نيكوس كازانتزاكي N. Kazantzaki جائزة السلام العالمي في فيينا على كتابه « الحرية او الموت ». والجدير بالذكر ان كازانتزاكي مرشح لنيل جائزة نوبل هذا العام .

* انشأ الشاعر السيريالي المعروف اندريه بريتون A. Breton مجلة جديدة بعنوان « السيريالية بالذات » Le Surréalisme même وقد كتب يقول في العدد الأول: « ان العالم الآخر سواء كان طبيعياً او فوق الطبيعة ، مباشراً او متجاوزاً ، يشغلني ابداً ويناديني .. »

* قال الكاتب الانكليزي غراهام غرين في آخر اجتماع لنادي القلم : « ان القسوة تماشي العظمة : فالعدل هو ميزة المتوسطين ، اما العظماء، فيحق لهم ان يظهروا ظالمين — الى ان يجدهم الناس اقل عظمة مما كانوا يتصورون، فيظهر آنذاك ظلمهم ! »

* قال الروائي الفرنسي هرفيه بازان : « حين اتحدث مع امرأة، اود ان اكون على حق ، من غير ان تكون هي على ضلال ! »

* قال الكاتب الاميركي جون شتاينبك: « ان الرجل العبقري لا يناقش ولا يحاول ان يبرهن : انه يخلق »

* وقال شتاينبك ايضاً : لا يمكن ان نحكم حكماً صالحاً على كتاب، الا بعد ان يطبع . ولهذا اقترح على دور النشر ان تطبع جميع المخطوطات التي تتلقاها . وهم سيحكمون عليها بعد ذلك !

* سأل صحفي اميركي الكاتب المعروف همنغواي : « ما هي اكبر عقبة واجهتها في حياتك ؟ » فأجاب « النجاح ! »

* قال الكاتب الاميركي بتر اوستينوف : « اذا كان الانكليز يترددون في الذهاب الى المسرح لحضور كوميديا مساء السبت ، فذلك لأنهم يخشون أن يضحكوا لها في الكنيسة صباح الأحد ! »

* قال الشاعر والناقد الانكليزي الكبير ت س . اليوت: «ليست الموهبة الا جهداً موصولا . وليست هناك امثلة ، في اي ميدان من الميادين ، تدل على ان الجهد يذهب عبثاً . »

* قال الكاتب السوفياتي ايليا اهرنبورغ بعد ان امضى وقتاً في فرنسا ؛ « ان الفرنسيين يتذمرون دائماً . ويوم يصبح كل شيء ممتازاً في فرنسا ، يتذمرون لأنهم لا يجدون ما يدفعهم للتذمر ! »

مُناقشَات

الى الاستاذ انيس منصور

بقلم فؤاد الشايب

صديقي الدكتور سهيل

كنت ارسلت الى الاستاذ انيس منصور في جريدة (الأخبار) المصرية .. الكلمة المرفقة ، رداً على ما تفضل به في نقد محاضرتي. ولأمر ما ... لم تتفضل جريدة (الأخبار) بمنحي حق مواجهة الأستاذ منصور . فالى صفحة المناقشات في مجلتك (الآداب) ارسل هذه الرسالة ليطلع عليها الأستاذ الناقد ومن شاء من القراء :

الى الأستاذ انيس منصور المحترم .

تحية وبعد ، فقد اطلعت على اللمحة العابرة التي التميتموها على محاضرتي « الأديب والدولة » ، في صفحة (الأخبار) الادبية ، وودت لو ان الموضوع ظفر منكم ، وانتم تشرفون على هذه الصفحة ، باهتمام اكبر ، على الأخص وانكم احد اعضاء الوفد المصري الى مؤتمر الادباء العرب .

ومهما يكن الأمر فقد رأيت من حق قرائكم علي الذين اعطيتموهم فكرة مكثفة جداً عن محاضرتي ، أن اتولى بنفسي عرض بعض جوانبها ضمن النقاط التي اثرتموها في العرض السريع .. واللمحات العاجلة العبور .

اولا : صحيح انني الحدت باسهاب على علاقة الفرد بالدولة وتطورها عبر العصور ، ومنها اتصلت بعلاقة الاديب بالدولة ، لأنني هدفت الى تقرير خطر الفرد في المجتمع كمخلوق حر ، ذي كرامة يشعر بكامل انسانيته ، ولن يكون عمله في المجتمع عمل العضو في الجسد ، لأن العضو وظيفة ، والفرد ابداع ، لاسيما اذا اتيح له الفراغ ، واسباب التزود من المعرفة ، ولم تعتبره الدولة قطعة من تلك الآلة الضخمة التي تسحق الحياة ، وتغلق الرتاج بوجه مواهب الفرد ونبوغه وطموحه . ولقد انطلقت من هذه (الفردية) الى المجتمع الأوسع ، لأعطي الأديب او الفنان او العالم قسطه الاكبر من حريته الفردية التي يجب ان تتوفر له في أي مجموع لا يستحق الفرد .. فكيف بالفرد اذا كان معداً للخلق والابداع ؟ فالعلاقة بين الفرد والأديب وثيقة الواشجة في مجرى حديث الدولة ، وليس ذلك خروجاً على الموضوع . ولم اعترف قط بهذا الخروج .. لأحد !

ثانياً : بل انني اعترف بطول المحاضرة ، ومقدمتها على الأخص ، التي عالجت فيها المذاهب الفلسفية الفردية والجماعية ، ولا ازال اصر على انها جزء من صلب الموضوع ، وكان شفيعي في اسهابي ظني – وبعض الظن اثم – انني القي محاضرة ودراسة في مؤتمر ثقافي ، يجب ان يكون ارحب صدراً بالدراسات من جمهور نظارة السينما مثلا ، الذين اذا لم تظهر (البطلة) عليهم باغنية او رقصة كل ربع ساعة ، راحوا يصفرون ويعربدون ..

ثالثاً : اما القول بأن آرائي هذه موجودة في الكتب والناس في غنى عنها – كما قال احدهم – فأترك هذا القول تحت حكم قارئ (الأخبار) .. ! بل اضيف مؤكداً ان مراجع هذا الموضوع لدى هي اكثر من عشرين كتاباً من اعمق كتب البحث الاجتماعي والسياسي ، لمشاهير الباحثين العالميين ، وانني لأعتبر ذلك موضع فخري واعتزازي . والا فما فائدة الثقافات والترجمات ، والدراسات .. فلنطو الصفحة ، ولنقطع صلتنا بثقافة العالم الكبير منذ اربعة وعشرين قرناً .. ولنخترع (شيئاً) خارجاً عن هذه الكتب التي قيل ان الناس في غنى عنها .. ! ؟ وهل الناس كلهم يطالعون مراجع البحوث .. واين هذا ! وهل المؤتمرات الفكرية في العالم .. مقررات وتوصيات فحسب ! ؟

رابعاً : صحيح ان المقدمة اكبر من صلب الموضوع او لبه ، او عنوانه وهو (الأديب) ولكنني اعطيت الأديب والدولة عشر صفحات كاملات ، وكانت وجهة نظري واضحة ، وان لم تكن منسجمة مع بعض اصحاب المذهب والعقائد ، من يمين او يسار .. الذين هبوا الى المناقشة بحمية وحماسة – لا اقول بحماسة غير مهذبة – بل باندفاع مسوق بفكرة ثابتة . وانا الذي ناديت في المحاضرة ضد (الفكرة الثابتة) لأن الفكر ابداع ، والحرية وحدها في طريق الخطأ والصواب ، هي التي تهدي الى الأفضل ، والأحسن ، للفرد وللمجموع معاً – فلم ارض اليمين ولا اليسار – وهل انا ورقة ترضية ! ؟

خامساً : صحيح كما تقول ايها الاستاذ : لا تزال المشكلة قائمة – واقول لك وستبقى قائمة .. لأن الصراع الأزلي يقوم على هذه النقطة : المجموع والدولة يطلبان اكبر قسط من حرية الفرد .. والفرد المفكر على الأخص .. وهو لا ينفك ممتنعاً على قانصيه ، اذ وضع الكبل في يديه لضرورة اجتماعية .. فأنه يأبى أن يضع رأسه بين قدميه . فالمشكلة قائمة منذ سقراط ، إنما مجد الإنسان كله في صراعه هذا .

سادساً – على أنني كنت واضحاً عندما قلت أن الأديب، أو الفنان ، أو العالم هو (ملهم) وليس (بملزم) . فالوطن والمجتمع ، والدولة والطبيعة والثقافة ، والاحداث ، كلها أشياء تلهم الأديب وتوحي له بما تشاء هي ، وقد يلتقيان ، وقد لا ...! فاذا ألزمته ، تمرد ، أو انطفأ ... تبعاً لما هو فيه من ظروف وأوضاع . فالإلزام عدو الإبداع والخلق ، وهو منطلق الدولة إلى تصنيع الفكر ، وجعل الإنتاج الأدبي ملكاً للدولة ، تغرق بـه السوق ، نماذج متشابهة من مادة البلاستيك . فالإلهام ليس الفوضى ، وليس الصومعة ، وليس عدم المسؤولية ، بل إنه سر التطور الخلاق في تاريخ هذا الكون .

كذلك لم أقل يا أستاذ ان على الدولة ان تتركه وحيداً ... يخرج على الناس بصور روحية – فهذا من تلخيصك للمحاضرة ، لا من آرائي ولا من أفكاري، بل قلت ان الأديب والمجتمع إنما تلتقي جذورهما في أعماق تربة واحدة ... ولكنهما يتفرقان عندما يطلع كل منهما فوق التراب ، لأن الأديب يسمو إلى شامخ الدرجة ، ويستوي المجتمع على الصعيد بمفاهيمه، واصطلاحاته وقيمه . وكل من يمس هذه الأوضاع هو عدو لها . وغالباً ما كان رجـال الإبداع ، فلاسفة ومفكرين ، ومصلحين ، وشعراء ، أعداء لهذه القيم الراكدة الجامدة . فللدولة أن توجه وترشد ، ولهؤلاء أن يلتقوا معها أو لا يلتقوا ، فهم ليسو ملزمين .

لقد توليت معالجة عدة نقاط بين الأديب والدولة في عشر صفحات .. وكنت واضحاً في أن الأديب الملهم ، إنما تربطه بوطنه شيحة من عرار ... فيرى فيها جمال مسكنه ومرتعه ومقامه ... فكيف لا تربطه بوطنه جراحاته ، وآلامه وآماله ... وكنت في الرد على السادة المناقشين واضحاً أيضاً ...

وقلت إن الدولة عندما تتضخم ... تحجب عن الملهم صورة الوطن ... وكلما تقلص ظل إلزامها ... ملأ الوطن كل هذا الفراغ تحت عين الشمس ... فلا أريد الأديب حجراً في صومعة ... بل أريده حراً في تحسس الحياة حوله ، ولن تكون حريته سوى صداقة دائمة مع أسمى معاني الحياة وأجملهـا ، وأنفعها في كثير من الأحيان . وهذا تاريخ الفكر البشري مفتوح الصفحات لمن شاء أن يقرأ .

ثمة حد واحد وضعته للحرية المطلقة هو حد (السلامة الوطنية) ، إذ عندما يقرع الخطر جدار أمة ، حتى يكاد يتصدع ، فلا سبيل إلى البقاء إلا بتجنيد القوى المادية والروحية ، لا سيما إذا كانت الدولة تنشد حرية وحمة وكرامة إنسانية – قلت ذلك في محاضرتي مراراً وتكراراً ، وأوضحت ذلك في الرد على مناقشتي .

هذه آراء قد لا تنال رضى أنصار الدولة ، وأنصار حمل السلاح ، والتوجيه الملزم ، والأدب الهادف ، ولكنها آراء واضحة في محاضرتي (الطويلـة) ومعززة بالشواهد . وانني لحزين على الذين حجبهم طول المحاضرة عـن مشاهدة أهدافها . وإنني لأخشى أن يكون الذين ينادون بالحرية للأديب شكلا ، وبتوظيفه في الخدمات الإجتماعية موضوعاً ، قد أرادوا أن يمنحوه بيد ، ويسلبوه بيد أخرى .

******

وأخيراً أيها الأستاذ فانني ارتقب منك شيئاً واحداً هو ألا تعمد إلى تلخيص هذا الرد – من التحية الأولى إلى السلام عليك – لأنه من حق القراء الكثيرين الذين يطالعون صفحة الأخبار الأدبية ، فلعل لهم رأياً ... ولعل في ذلك بعض الفائدة . ولا أنكر عليك أنني في هذا الموضوع أحب المشادة ، ولا أخشى القسوة ... ولا أكترث لقلة التهذيب ... ! !

والسلام عليك .

فؤاد الشايب

ظاهرة محمودة

بقلم نجيب سرور

نلتقي في العدد الماضي من الآداب بظاهرة مبهجة تبعث على الاطمئنان والتفاؤل فقد بدأ القراء يشعرون انهم طرف له وزنه وخطره فيما يدور من مناقشات ، وبدأوا يمارسون حقهم في الرقابة على الكتاب ويحسون بأنهم فعلا مصدر السلطات . قارئة — هي الآنسة ابتهاج الأوقاتي — « لا تنتمي الى سلك الشاعرات لكنها تتتبع وتتذوق » وتحس بأن من حقها ان تراجع وتصحح والأستاذ ناجي علوش يهب مدافعاً عن الشاعرة سلمى الخضراء لا لأن الأمر يتعلق بالشاعرة وانما لأنه يتعلق بحق للأستاذ ناجي .. حقه كقارئ في ان يحاسب الكتاب . ذلك لأن اي تناول غير مخلص لعمل من الأعمال هو اعتداء يقع على القراء قبل ان يقع على صاحب العمل. وان الكاتب ليكف عن أن يكون مطلق الحرية منذ اللحظة التي يمسك فيها بالقلم ليكتب .. انه حينئذ يطل على القراء فيصبح مقيداً بواجب احترامهم وبما لهم في القضايا المعروضة والأعمال المطروحة من حقوق . ولقد كنت ارى دائماً أن على الشاعر او القاص او الكاتب ان يقف ظهيراً لأعماله ضد كل محاولات الطمس والتشويه والتخريب ما دام القراء يحجمون عن ممارسة حقهم المشروع في الرقابة والمراجعة . ولهذا لم اكن يوماً من انصار السكوت . بل لقد خطر لي ان اعلق في كل شهر على الظواهر غير المخلصة التي نلتقي بها متابعة على صفحات الآداب مما كان يقتضيني التفرغ وهو شيء لم يكن في المستطاع . وكنت ارى ان من واجبنا ان ندافع عن الآخرين بنفس الحماس الذي ندافع به عن انفسنا ازاء كل الكتابات غير المخلصة وغير الجدية وغير المسؤولة بالرغم مما قد يكون بيننا وبين هؤلاء الآخرين — المجني عليهم — من خلاف في الاتجاه .. لأن عدم الاخلاص يمس حقوقنا نحن — كقراء — قبل ان يمس هؤلاء الآخرين الذين قد نتفق او نختلف معهم .. لهذا اعتب على الشاعرة سلمى الخضراء اكتفاءها في الرد على « صاحبنا » بالدفاع عن قصيدتها وكأن نفس الاعتداء لم يقع على الأساتذة : بدر شاكر السياب ، علي الحلي ، محمد النقدي ، محمد شمس الدين ، زهير احمد ، عزيزة هارون ، شفيق الكمالي ، اسماعيل مصطفى الصيفي .. بصرف النظر عما قد يكون بينها وبينهم من خلاف في المعايير .. لأن الاعتداء يمسها كقارئة قبل ان يمس قصيدة لها وقبل ان يمس السادة الشعراء .. كما اعتب عليها انها ناقشت صاحبنا وهي

تعلم انه لم يخلص في قراءة قصيدتها ولا في قراءة قصائد الآخرين وكان هذا يكفي لكي لا تدخل معه في نقاش لأن النقاش يشترط الاخلاص دون ان يستلزم الاتفاق .. بمعنى آخر ان المهم ان نكون مخلصين ، اما ان نتفق او نختلف بعد ذلك على تقييم شيء فمسألة بعدية . واعتقد انها شعرت من سلوك صاحبنا بالاشمئزاز كما تدلل على ذلك (نظرتها العامة) في نقدها لقصائد العدد الأسبق .. على كل حال لقد بدأ القراء يمارسون حقهم ، ولم يعد في مقدور كاتب ان ينفرد بقصيدة او قصة او دراسة ليصب عليها افرازاته العدوانية او يسقط عليها تفاهاته او ينتقم منها للخلافات اتجاهية في احيان وشخصية في أغلب الأحيان ! !

وعلى ذكر الشاعرة سلمى .. وبعد بالغ احترامي وتقديري .. لا يفوتني ان اعقب على رسالة جاءتها — فيما اظن — من احد الشعراء .. الشعراء جداً ! ! ويخصني منها النصف على التقريب . وقد اختار فيها صاحبنا نفس الطريقة التي يصل بها « جحا » الى اذنه ! ! طريقة مبتكرة للهرب .. ! ! وأقرر اولا ان القضية لا تنتهي بأن تغفر هي لصاحبنا عدوانيته وان يغفر لها صاحبنا ما لست ادري .. فليس من حق الشاعرة سلمى ان تغفر ما دام الاعتداء يتجاوزها الى المساس بحق القراء ولم يعد مجرد اعتداء على قصيدة لها .. ان للقراء وحدهم حق الغفران .. كما يبقى حق النيابة بالرغم من تصالح الخصمين حين يمس الفعل مصلحة عامة ! ! .. واحب ثانياً ان استوقف القراء عند هذه (الطرطشة) التي تضحكني فهو يبعثر الكلمات هنا وهناك في غير ما علاقات ولا روابط « بعض مدعي العبقرية . . واقنعة الواقعية .. والعملاق والقزم .. والصاعد والساقط .. والقاتل (ايضاً) .. وحتى السارق .. ومحاولات مستميتة ويائسة .. وحقيقة مرة .. وشعارات زائفة .. والفاظ ممضوغة .. ثم شمشون ويهوذا ومسيلمة » — ينقصنا طرزان وزورو — ! ! .. دوامة من فقاقيع الهلوسة تضحكني أقول .. لكنها تدفعني الى ان ارثي لصاحبنا فيما هي توصلني الى اكتشاف خطير لظاهرة نفسية من نوع فريد .. هي « النيتورزم » .

اما عن شعري .. ورأيي في شعري .. ومدى غروري .. ومدى احساسي بعبقريتي فلعل القراء يعرفون انني لا آخذ القضية اخذاً شخصياً وانما يعنيني الأخلاص في السلوك النقدي عند تناول اعمالي واعمال الآخرين مهما كان هناك من خلاف في الاتجاه او خلاف شخصي .. واما ان صاحبنا تمنى ان اكتب عن اغاني افريقيا فمسألة ثانوية لم اكن اتوقع الا ان ينكرها في تبجح منقطع النظير لأن التبجح احد ظواهر النيتورزم .. وما قلتها — رغم غضاضتها — الا لإيضاح الدوافع التي تكمن وراء قراءته الانتقامية لـ « رسالة الى ابي » هذه التي لم اهتم بالدفاع عنها بقدر ما عرضت ظاهرة عامة تهدد جميع الشعراء .. على ان صاحبنا قد اوضح دوافعه بنفسه وبصورة اكثر دلالة حين نسي كل شيء في كمتي ما عدا هذا التمني الذي زعم انه مزعوم ! ..

وأنا لا أجهل ان كثيرين كتبوا عن ديوانه .. ولكني لا اجهل ايضاً ان من بينهم الدكتور عبد القادر القط والأستاذ عبد المحسن طه بدر وقد تجاهلهما صاحبنا لأنهما تحدثا عنه بصراحة نقدية .. صراحة لم تعجبه لأنها كادت تعيد (العملاق) الى القمقم . وننافش الرصيد الذي يعتز به . . فنلتقي بالأستاذ سلامه موسى ولم يقل احد انه ناقد .. ونلتقي بالأستاذ كامل الشناوي وبالصديقين فوزي العنتيل وكمال نشأت وهؤلاء شعراء اكن لهم كل تقدير ولا يزعمون انهم نقاد لأنهم لا يحبون ان يكونوا نقاداً .. وقد كتبوا ما كتبوا نزولا على مقتضيات المجاملة التي تتعارض دائماً مع المستوى النقدي . ونلتقي بالأستاذ عبد اللطيف السحرتي وهو صديق احترمه واحبه ولكني اعتقد

كما يعتقد كثيرون ان غرباله يمرر الجمل .. بسهولة !! .. ونلتقي بالأستاذ أحمد رشدي صالح وهو باحث قدير في مجال الفولكلور ولكنه ليس ناقداً واحسبه لا يحب ان يكون .. ثم لا يكفي ان تقبض على منهج ما لكي تصبح ناقداً.

ونلتقي بالصديق رجاء النقاش وهو لم يكتب كلمته على غلاف الديوان الا بدافع من العطف ورقة القلب مما يدخل في مستوى المجاملة وما احسبه عندما تناول الديوان تناولا نقدياً الا مغيراً رأيه في ان شعر صاحبنا « تظهير لأزمة» اذ الواقع أنه تأزيم .. تزييف .. تمييع .. الخ .. ونلتقي بالأستاذ محمود العالم في مقدمة الديوان .. وهو لم يكتبها الا لأنه طيب .. طيب لدرجة النبوة . وقد استجاب لضعف صاحبنا فجامله ولم يتناوله تناولا نقدياً كما فعل مرة على صفحات الآداب .. بل لقد حاول ان يعثر في الديوان على بادرة تبشر بالخير ولما لم يجد آثر السكوت واكتفى بأن يوحي الى الشاعر بأن هناك طريقاً جديداً يجب ان يسلكه ليعيش هو « طريق الانسان المكافح والحياة الصاعدة » .. اوحى اليه بهذا لعله يفهم ويتحرك ويخرج من القوقعة ! .. وقد فكر صاحبنا في ان يحذف المقدمة عندما تأهب للطبعة الثانية .. وهذا سر يعرفه كثيرون وله دلالة لا تخفى على القراء. ثم هو آخر من يحق له ان يذكر اسم فوزي العنتيل لأنه طعن فوزي بلا رحمة وبلا اخلاص ولم يراع اي اعتبار في سلوكه ازاء « عبير الأرض » !!

بقيت « النيويورك تايمز » غير الغراء !! التي يقصدها صاحبنا بقوله « المجلات الأجنبية » .. وانا احب واتمنى ان تهتم المجلات الأجنبية بالنتاج العربي .. ولكني لا احب النيويورك تايمز بالذات لأسباب ان كان صاحبنا لا يدريها فتلك مصيبة او كان يدري فالمصيبة اعظم !! .. فليحاول ان يفهم لماذا تعمل الأجهزة الأميركية على تغذية ازمة السود والبيض في اميركا .. ولماذا تطبل لرتشارد رايت واضرابه .. أما عن مركب النقص ازاء المجلات الأجنبية فيجب ان يفهم صاحبنا ان عهد تقديس كل ما هو اجنبي قد مضى منذ بعيد .. وخاصة العقلية الأمريكية .. ولقد اصبحنا نناقش كبار فلاسفة الغرب، أفلا يحق لنا ان نناقش المحررين وخصوصاً محرري النيويورك تايمز ؟؟

ثم ان افريقيا بريئة من أغانيه .. وهناك شعراء اصحاء يحملون لواء الشعر السوداني بحق منهم جيلي عبد الرحمن وتاج السر ومحيي الدين فارس وهم يعبرون عن افريقيا الحقيقية .. افريقيا التي ثارت على ذاتها وبدأت تمشي متضامنة مع قارات العالم الى الخلاص . ولهذا لم تكتب عنهم النيويورك تايمز الصفراء .. ولم يكتب عنهم الرقعاء الذين يرقصون (الرومبا) على صفحات مجلاتنا وفي اقلامهم انابيب مملوءة بالحشيش والمنزول والكوكايين. لماذا لم يكتبوا عن محيي الدين فارس .. لماذا لم يطبلوا لديوان فوزي العنتيل .. ؟؟

وفي النهاية .. ان صاحبنا يحب الاعلان عن نفسه . والهجوم عليه كالتصفيق به يشبع به رغبة مرضية في الإعلان عن الذات . وحين يفشل في الاعلان عن نفسه بطريق الاستفزاز يلجأ الى التفاخر فاذا فشل لجأ الى الاستعطاف بأن يستجدي عطف القراء ويصرخ كما فعل مرة مع الأستاذ محمود العالم « أننا يا ناس في حاجة الى سيكولوجيين » !! .. واذا كان قد نجح في احراج الأستاذ محمود بتلك الصرخة المسرحية حتى كتب له مقدمة الديوان على سبيل التكفير .. فليثق انه لن ينجح في احراجي بهذه الطريقة لأني لست في طيبة الأستاذ محمود .. ولأني افهم صاحبنا .. افهمه لدرجة التقمص .. واعرف جيداً ان اولئك الذين يستجدون عطف الآخرين يميلون في الغالب الى التلذذ بتعذيب الآخرين حين تسنح لهم اقرب فرصة .. وصاحبنا يجد لذة خاصة في أن يشنق اعز أصدقائه !! وصاحبنا يستعمل احياناً كلمة « قيم » وما شابهها .. ولكن لاعجب .. « فبينو ولويد » يستعملان عند حديثهم « التدويل » عبارات كـ « مبادئ العدالة .. ومبادئ القانون الدولي » !! .

ومع ذلك .. فليثق صاحبنا اني اقدر فيه شاعريته .. واتمنى الا يبددها بالعدوانية او بتزييف ازمة .. واتمنى ان يعنى بتصحيح فهمه لنفسه وللأزمة التي يعيشها .. وليثق اني قد أكون اكثر حباً له من نفسه واكثر حرصاً على طاقته الشعرية من الرقعاء الذين يصفقون لانحرافاته والذين يهمهم أن يظل هكذا .. مدفوعاً بالمياه .. ولا يحسبن صاحبي .. اني سأكتب عن أغاني افريقيا بروح انتقامية حين يقدر لي ان اكتب .. فعندما امسك بالقلم سأصبح في اللحظة مسؤولا امام نفسي وامام الشاعر وامام القراء .. وسيتعلق الأمر بهذه المسؤلية اكثر مما يتعلق بالديوان وبصاحب الديوان .. ولهذا سيكون من واجبي ان اكشف عن شاعريته بكل مزاياها قبل ان اكشف عنها بكل عيوبها .. و .. ما زال في الجراب كثير ..

وكلما عادت العقرب عدت لها .. فلن اكون بحال اول من يسكت !!

القاهرة **نجيب سرور**

التاريخ بين القومية والعلم

بقلم متعب مناف

« اخذ علي الاستاذ كمال اليازجي خلطي بين مفهومي القومية والعلم في كتابة التاريخ وهذا ما أرد به عليه

لا مراء ان القومية تناقض العلم لانها تعتمد على العاطفة والعلم يعتمد على التجربة ، هذا اذا فهمنا ان القومية هي العاطفة والاندفاع الذي يطمس الحقائق ولكن واقع الحال ان الفرد لا يتجرد من قوميته مهما كانت وان هناك تفاوتاً بين باحث وآخر حسب اخلاصهم للبحث .. ويتصل هذا بالباحثين العالميين أي الذين يتناولون بالدرس ما يوسم الآن بالتاريخ المقارن (Comparative History) امثال هؤلاء الكتبة اذا اشتطوا في احكامهم ادى ذلك الى طمس الحقائق وجعل التاريخ ضرباً من الاغاليط التي تفيد السياسة اي القسم الزائف من الفلسفة كما يسميها صولون (Solon) المشرع الاثيني . الا انني افهم القومية بشكل آخر واريد بها فكرة تنتظم الوطن العربي بخارطته التي رسمها اجدادنا إبان عظمتهم ، وكتابة تاريخ هذه الرقعة التي تضم فئات متقاربة تربطها وشائج قديمة حديثة – من الاهمية بمكان لاننا مررنا بفترات مختلفة انقسمنا فيها على انفسنا ورانت علينا مصائب وآلام اعقدها الحروب الداخلية التي بدأت في اواسط خلافة عثمان سنة خمسين وستمائة للميلاد وانتهت بتولي عبد الملك بن مروان زمام الامر سنة ثلاث وثمانين وستمائة للميلاد . هذه الحروب يمكن ان نعتبرها ذيولا لغموض فكرة الخلافة في اوساط الانصار والمهاجرين وهناك حوادث أخر تنقسم حيالها آراؤنا دون ان يكون لنا اتجاه ثابت نفهمها بـه .

هذه مشاكل معقدة لم تبحث بجو يسوده العلم والتجرد من العواطف . وآخر ما قرأت في هذا الباب كتاب الدكتور فيليب حتي الذي ذكر بعض المشاكل في نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني من مؤلفه « تاريخ العرب المطول » دون ان يوليها اهتمامه الكافي بالبحث والتمحيص ، فالحاجة ماسة الى بحاثة واسع الاطلاع يتقن لغات اجنبية أخرى الى جانب لغته العربية ، قد حذق وسائل البحث في التاريخ ودرس نظريات افذاذ رجاله ليقوم بتحليل مشاكلنا المزمنة وفق نمط جديد يؤمن جانب الحقيقة باسلوب سهل وعرض غير مملول .

اراني فيما كتبت حتى الآن متناولا تاريخنا القومي بالذات وفي مثل هذا المجال على الباحث ان يتبع الاسلوب العلمي بادق معانيه لان العاطفة اذا دخلت حقل التاريخ القومي بثت فيه الفساد واشاعت الربكة في العقول وخلقت اختلالا في المقاييس وكلها امور تنخر في عقولنا وتعمل على انقسامنا وفرقتنا واذا ما استغلت امثال هذه الخزازات عادت علينا بوبال لا يقدر ضرره . هذا سبيلنا اذا بحثنا التاريخ القومي في الداخل . اما اذا اردنا ان نؤرخ لفترات اتصال بيننا وبين غيرنا من الامم : كالحروب الصليبية ، وحصار القسطنطينية وسقوط بغداد وما اليها من مشاكل العصر الحديث ، فلا انكر اننا سنميل الى جانب قوميتنا بعض الشيء ، ولكن هذا الميل سيقل اذا علمنا ان المصادر في يد الجميع يعرفها الخاص والعام، وكذبنا على التاريخ لا يمكن ان يبقى مستوراً سيما وان الكثيرين من المؤرخين سبقونا الى تحقيق امثال هذه المشكلات واوجدوا ضروباً من الاحكام تعتبر اساسية .. وفوق هذا كله هل نظن أن باحثاً مهما كان وطنه اذا كتب يضع قوميته على الرف ويبدأ يكتب بأسلوب انابيب الاختبار ؟

متعب مناف

العراق - البصره

ليسانس شرف من دار المعلمين العالية

قرأت العدد الماضي من «الآداب»

بقلم الدكتور :
عبد الله عبد الدائم

١ – مكانة الأدب العربي بين الآداب العالمية للدكتور طه حسين :

يومئ الدكتور طه حسين في فاتحة كلمته هذه الى مسألة ذات مساس بقلب العمل الذي توافر عليه مؤتمر الأدباء العرب ، وذلك حين يبين ان الحديث فرض عليه عن موضوع يعترف بأنه لا يحسنه . وحق له ان يومئ ويغمز ، فالمنظمون للمؤتمر لم يوفقوا الى طرح موضوعاته كما لم يوفقوا الى اسلوب تكليف الأدباء بها . فقد كنا نفهم ان يلجأ هؤلاء الى احد موقفين : اولهما ان يتخيروا موضوعات عملية تتصل بالمشكلات الراهنة الحية التي تراود الأدباء في عملهم الأدبي والتي تحتاج الى ان يأتمروا ليصلوا فيها الى بعض الحلول المشتركة الميسرة لعملهم هذا : كأن يبحثوا في وسائل صيانة الحرية الأدبية ، او في واجب الأدباء حيال المشكلات القومية التي تهز مجتمعهم العربي ، او في تنظيم الدعاوة لقضية فلسطين والمغرب ، او في اساليب نشر الأدب العربي في العالم ، او في تيسير سبل النشر امام الأدباء ، او في نظم الجمعيات الأدبية ، او في وسائل محاربة الأدب التافه او غيرها من المشكلات العملية التي تدرك حرفة الأدب .

والموقف الثاني الذي كان في وسعهم ان يلجأوا اليه ان يطلبوا الى كبار الأدباء ، ممن نضجت تجربتهم الأدبية وحرقتهم الحاجة الى فكرة ينشونها ان ينقلوا الى جمهور الأدباء صورة عن هذه التجربة الحية ويحدثوهم عن تلك الفكرة التي غدت لهم مقضّة .

اما ان ينصرف منظمو المؤتمر عن كلا الموقفين فيفرضوا على بعض الأدباء موضوعات اكثرها بعيد عن مشكلات العرب الراهنة ومعضلات الأدباء الحية ، وأما ان تلقى امام الأدباء عناوين قد تثيرهم وقد لا تثيرهم ، واما ان يكون توزيع هذه العناوين على هؤلاء الأدباء توزيعاً لا تفسره اتجاهات هؤلاء ونزعاتهم ، فهذا ما لا يتفق وغايات اي مؤتمر ادبي .. وما كانت المؤتمرات الأدبية في يوم من الأيام قاعات للامتحان يسأل فيها الأدباء عن الجواب يقدمونه لبعض المسائل ، ويحاسبون بعد ذلك على جوابهم حساب الطالب امام الهيئة الفاحصة .

واذا غادرنا هذه الغمزة الى صلب ما جاء في حديث الدكتور طه حسين ، وجدناه يسعى لتقويم مفهوم في حاجة حقاً الى تقويم ، هو الاعتقاد السائد بأن الأدب العربي لا يكون عالمياً الا اذا قرئ في بلاد الغرب . وبهذا ينضو غشاوة كان من شأنها ان تفسد الحديث عن الصلة بين الأدب العربي والآداب العالمية . ومثل هذا الجلاء للأمور نجده عنده حين يبين الفارق العميق بين ما اصابه الأدبان اليوناني واللاتيني قديماً من ذيوع وانتشار ، وما اصابته اللغة العربية من ذلك وهو يقرر حقيقة جديرة بالذكرى حين يبين كيف استطاعت اللغة العربية ، من دون اكثر اللغات القديمة ، ان تجاوز حدودها وديارها لتبلغ بلاداً مترامية الأطراف ، وتصبح فيها لغة حديث ولغة علم . ومن هنا ينتهي الى القول بأن

يسر « الآداب » ان يعود الدكتور عبد الله عبد الدائم الى قرائها بعد انقطاع دام زهاء عام قضاه في باريس حيث أتم إعداد الدكتوراه في الفلسفة وناقشها وأحرزها بامتياز منذ شهرين.

والدكتور عبد الدائم يقصر تعليقه في هذا المقال على ابحاث مؤتمر الادباء العرب الذي عقد في دمشق في الشهر الماضي مفتتحاً بذلك النقاش في قضايا ادبية ما تزال من حياتنا الفكرية في الصميم . و « الآداب » تعتذر عن عدم تمكنها – بسبب تأخر صدور العدد الماضي – من تقديم نقد القصص والقصائد في باب هذا الشهر .

الحضارة العربية حضارة انسانية في اعماقها. وبهذا يفتح امام السامع آفاقاً فسيحة ما تلبث حتى تذكره كيف تلتقي النزعة القومية بالانسانية عند العربي ، وكيف نجد في صلب بنية اللغة التي يتكلم بها اساساً لهذا اللقاء بين نزعتين طالما نصل بينهما الغرب ولم ينتهوا الى توحيدها الا بعد لأي . ونعتقد ان هذه الفكرة وحدها كانت اهلا لفضل من البحث ، ولعلها جوهر الموضوع الذي عالجه الدكتور طه حسين . فمن عصب الموضوع حقاً ان ندرك ان الأدب العربي ، ومن ورائه اللغة العربية مع ما تحمله من فكر وفلسفة ونظرة الى الحياة ، يشتمل في اعماقه على موقف انساني ويحتضن طاقة على الذيوع والانتشار . هي طاقة الفكرة التي خلقت لتذيع وتنتشر لأنها بطبعها مبعوثة الى الخلق كافة . ان الكلمة العربية تحمل في ثناياها بذور انطلاقها شطر العالم ، شطر الانسان البعيد والقريب ، فهي مثقلة بنظرة الى الكون اساسها المشاركة والتآزر والعون. واللغة العربية ، كما يقول عميد الأدب العربي موجزاً : « تمتاز بشيء من قوة الطبيعة وتمتاز بشيء من السحر الخاص الذي ينفذ الى القلوب ويسيطر على العقول ويستأثر بملكات الناس واللفظة العربية لفظة كريمة كأبنائها — لها القدرة على الترحال والتطواف والدخول في مسارب العقول والنفوس . وهي قبل هذا وذاك تحمل — فيما نعتقد — شحنة من العاطفة والحمية قلما تستثيرها لفظة في لغة اخرى ، والعاطفة والحمية قطبان من حياة الانسان بهما يتأتى له التشارك مع سائر الناس . وليس من باب المصادفة ان تكون للكلم في حياة العرب تلك الآثار البينة التي عرفناها في ايامهم ووقائعهم وتاريخهم جملة : « فالألفاظ — القوى » ، ان صح التعبير وان صح ان نغير بعض الشيء من مصطلح أطلقه « فوييه Fouillé » على « الأفكار — القوى » ، نجدها اعمق ما نجدها في لغة العرب حيث يحمل اللفظ غالباً سهم انطلاقه الى عمل وتحوله الى فعل وحيث نجد الوحدة بين الأسلوب والعمل ، بين انحناءة اللفظة وانحناءة الفعل ، وحيث تجتاز العبارة حلبة العقل بما فيها من سدود وحدود ومقاومة لتسري في الدم والحياة عملا حراً طليقاً ينال كل انسان . أفلا يصح ان نقول الى حد بعيد ان العرب فتحوا العالم باللفظ والقلم قبل السيف ، وان رسلهم الى الدنيا كانت لغتهم وكانت أدبهم ؟ الم يقل اكثر الناس في لغة العرب ماقاله ذلك الأعرابي حين سمع القرآن : « إن

لهذا الكلام لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق » ؟ ان الحديث عن بيان اللغة العربية يحتمل فيما نعتقد كثيراً من الدراسة العميقة ، وانه مايزال حديثاً لم يطرق بعد.

٢ — الأديب والناقد : لميخائيل نعيمه

هذه الكلمة نبتة من نبتات الأديب الكبير الذي اعتاد دوماً ان يعب من نبع الحياة دون ان ينهل من غدرانها الصغيرة الآسنة . فلقد عود قراءه ان يصدر في أدبه عن وحدة عضوية بينه وبين الحياة ، عن استلقاء ضمن روح الكون يغتذي منه ويرتضع أفاويقه . ولهذا تلقاه يجد الحرج كله في ان يسلط على عمل الحياة من يستوقف ذلك العمل ، وان يقيم امام الابداع وما فيه من حرارة واصالة عيوناً رقيبة باردة تنظر الى هذا الابداع من خارجه لترى الهيكل والصورة دون ان تلمس الدفء والرعشة . وهل يستطيع الحكم على عمل كله شوق وتوقد من مكث يلقي عليه النظرات السادرة المغرورة ؟ وهل تستطيع ان تنقل دفقة « القلق » الى انسان هو عنها في معزل ؟ وهل يعرف آلام المخاض من ينتظر الوليد ليعرف وزنه وحجمه وطوله ؟

تلك في رأينا روح الكلمة التي القاها الأديب الكبير في مؤتمر الأدباء . واذا كان النقد فهماً لحركة الكاتب من داخل ومحاولة للنفاذ الى خط ابداعه ، كان من الظلم لهذه الكلمة ان نناقشها ضمن معطيات هي غير معطياتها . انها في الواقع تنقد نفسها بنفسها حين تضع نتائج الابداع الأدبي في مصاف العمل الذاتي الحي الذي لا تحكم عليه الا الحياة . وهو يقطع الطريق في الواقع على كل من قد يتهمه بالهزء بالنقاد او الاقلال من شأنهم حين يبين لنا ماذا يفهم من النقد وحين يقول بكلام لا غشاوة عليه ان ثمة ناقداً وناقداً ، وان الناقد الذي يعتز به هو من « لا يعيش على حساب غيره كما تعيش الطفيليات على بعض النباتات والحيوانات ، بل ليعطيك من وهج روحه مقاييس للحق والخير والجمال تستهويك وتفرض احترامها عليك » . انه ، بتعبير آخر ، يريد ان يقول : لا يفل الحديد الا الحديد ولا ينقد نتاج الحياة الا حياة مخضلة مثلها ، وان الزهرة لا تنقد بأنها دون الثمرة في الطعم وانما تنقد بزهرة اكثر منها عبقاً وألمع جمالا . انه يريد من الناقد ان « يخلق » لا ان يعيش على فتات الموائد . وكم في هذا القول من صدق وخير في هذه المرحلة من حياتنا الأدبية حيث نجد متحدثين كثيرين عن

واجبات الأدب والأديب ولا نجد اديباً حقاً يرينا هذه الواجبات رؤيا العين وينقلنا اليها مباشرة دون ما مقدمات او تعريفات . وهل جاءكم خبر « فاليري » حين كان يتحدث عن الرقص ، ثم قدم الراقصة « ميراندا » قائلا انها خير ما يتحدث به عن الرقص ؟ انه لجميل حقاً ان نفرق مع الأديب الكبير بين النقد الخلاق وبين الضجيج ، بين المخاض والكتاب ، وانه لعميق حقاً ان ندعو معه الى علاقة بين الناقد والكاتب هي « علاقة اطمئنان وثقة وسلام » .

والحق ان كل ما نود ان ننبه للأديب الكبير من نجوى ان اسلوب عرضه لهذه الأفكار الجميلة كلها اسلوب يثير الشبهات في بعض الأحيان ، بل يثير النقاد فيحملونه اكثر مما فيه . وكثيراً ما نجد في هذه الكلمة التي القاها اقوالا ما نظن الكاتب يود ان يقولها على اطلاقها ، فحركة فكره العامة لا تنبئ بها . ومن حقنا ان نذكر الاستاذ الكبير ان بعض القراء السامعين معذورون ان لم يستطيعوا دوماً بلوغ الجو العام الذي تصدر عنه سائر اجواء الكلمة والذي يفسر بعض نبواتها . ثم المعذرة من ادبينا ان سألناه كيف انجر الى تلك الموازنة بين نتاج الطبيعة التي تقذف بالغث والسمين ، وبالغث من اجل السمين ، وبين نتاج الأدب ، فقرر مثلا ان الأدب يستحيل ان يكون ادب عباقرة لا غير ، وذكر ان « لابد مع العباقرة من انصاف عباقرة ومن كتاب وشعراء ما زارتهم العبقرية حتى في الحلم » ؟ افيطلق هو كلمة «أدب » على كل ما دبج وكتب ام يضن بها على غير اهلها فيقصرها على الأدب الرفيع العبقري وحده ؟ ام أغرته حجج بعض فلاسفة العرب حين بينوا علة وجود السر وذكروا ان الخير لا يستبين ان لم يخلق الشر ؟

٣ – الاديب والدولة : لفؤاد الشايب

في هذه الكلمة المطولة نخترق دروباً وشعابا لا ندري ما الذي يحملنا اليها ولا نعلم لم الانطلاق فيها . ان السامع لها يحبس الأنفاس طويلا يترقب ما يرده الى الواقع الحي فلا يظفر . انه ليخيل اليه ان صاحبها يفر من قلب الموضوع عن قصد ، ويبيت البعد عن كل ما يمس الصلة بين الأديب والدولة في بلادنا ، رغم انه اولى الناس بالحديث عنها . والا فما هذا الحج والاغتراب البعيد الى « هوبس » و « روسو » بعد أن نفضهما الفلاسفة وعلماء القانون واشبعوهما بحثاً ؟ وهل توقفت ابحاث الانسان عند هذين القطبين وعند من احتذوا حذوهما حتى نخصهما بمثل هذا الحديث المطول ؟ ان الصلة بين الفرد والدولة في هذا العصر الذي تغيرت فيه بنية الدول الحاكمة وظهرت فيه المذاهب الاجتماعية الشتيتة لم تعد تدرج ضمن منطق المباحث التي كان يقوم بها هوبس او روسو في عصر ما كانت الشعوب تعرف فيه معنى حكم الشعب بالشعب .

ام ان هنالك صلة عميقة خفية بين ما اتى به هذان المفكران وبين ما يريد ان يقوله الأستاذ الشايب ، من شأنها ان تفسر هذا الاصطفاء والايثار ؟ الحق ان بعض هذه الصلة قائمة فيما نعتقد ، واننا نفهم سبباً واحداً لهذا الوقوف عند هذين القطبين ، هو ترجح الكاتب نفسه بين الفكرتين اللتين جاء بهما هذان الفيلسوفان . فهو ، رغم الخاتمة التي ينتصر فيها لحرية الكاتب ، يظل في الواقع نهباً مقسماً بين الفرد والدولة لا يدري لأيهما يحكم ، لأنه ما يزال في مرحلة هذا الفصل المجرد بين فرد ودولة ، وما يزال حبيس قرني الاحراج كما يقول المناطقة . انه ما يزال يؤمن مع « هوبس » بأن اعطاء الدولة كل شيء أساس « لا يزال الآن وسيبقى ابداً من وراء كل بناء لدولة تمزقها الاضطرابات ويهدد سلامتها العدو» وهو في الوقت نفسه يشيد بحرية الفرد وبمعاقله المقدسة ، سليلة الفكر الحر الجريء . فكأنه يتخذ لنفسه موقف ذلك

الرجل الذي حار بين طعم اللوذينج وطعم الفالوذج فقال : كلما حكمت لأحدهما ادلى الآخر بحجته .

ثم ما هي الحرية الفردية التي يريدها الكاتب للأديب ؟ انها في معظم ما ذكر لاتعدو تلك الحرية التي تجعل الكاتب فوق المجتمع وفوق القيم الاجتماعية والخلقية والتي تعيد الى الأذهان تلك المشكلة البالية المكرورة حول اخلاقية الأدب ولا اخلاقيته. وطبيعي في مثل هذه الحال ان يظل الفصام قائماً بين الفرد والدولة ، وطبيعي ان يظل الأستاذالشايب في مرحلة القسمة الثنائية Dichotomie . وطبيعي بعد هذا كله الا يتبين لنا في نهاية المطاف ذلك الخيط الدقيق الذي يريد الكاتب ان يجريه بين الدولة والأديب وان نظل ضمن قطر التناقض العميق بينهما .

ان في الصلة بين الأدباء والدولة في بلادنا زاداً ثراً لمن اراد ان يمتاح الواقع الحي ويغرف من تجربة حارة يعانيها باعصابه وروحه . وان في تحرق الدولة عندنا لأدب جريء صادق ينفصل عن الفساد الاجتماعي ويأبي السير وراء كل ناعق ما يجري الأقلام فوارة جادة ، وما يبعدها عن التمطق بأحاديث الذاهبين والسباقين .

٤ ـ الادب والفنون الجميلة : لمحمود امين العالم

هذه الكلمة صورة موفقة عن البحث الجدي المركز ، الذي جمع الى وفرة المعلومات القدرة على الايجاز المعبر ، والذي استطاع في صفحات قلائل ان يتطرق الى مشكلات غنية موحية . وهي قدكتبت فوق ذلك بأسلوب علمي مطمئن قلما تجد فيه صيحات خطابية او جرحاً هائجاً . انها مطمئنة فيما تجزم ، وهي من اطمئنانها في قوة ، ومن عمقها في وضوح . وهي تعرف ما ينبغي ان يقال ومالا ينبغي ، ولا تفهم معنى « لطش » الأدبي . هذا الى انها كلمة محددة الموقع الجغرافي والزماني ، فهي تدري ـ وقلما يدري سواها ـ انها تقال في بلد عربي وفي مرحلة من نضال العرب . ولعلها توحي الى السامع والقارئ في كثير من التواضع الرفيع انها تمشي على استحياء وأن صاحبها يأبي ان يشقق الألفاظ الكثيرة ، وينتق لمعاني العريضة باحثاً عن موضوع لا يعنيه فيه غير صلته بأمته بمرحلتها التاريخية الحاضرة .

وهنا يحق لنا ان نحاسب الأستاذ العالم بعض الحساب وان نضع بعض التساؤل في كفة الميزان الأخرى. فهل وفى الأستاذ العالم حديث الصلة بين الأدب والفنون الجميلة في بلادنا العربية ما يستحقه من بحث وتعمق ؟ واذا جازله الايجاز المحمود في الشق الأول من الموضوع حيث يلخص بعض التجربة العالمية بهذا الشأن ، فهل يجوز له ان يكتفي بهذا العرض السينمائي الخاطف في الشق الثاني حيث الحديث عن الفنون وتضامنها في بلدنا العربي ؟ ان كثيراً من الومضات الخاطفة التي أتى بها في هذا الباب جديرة بفضل من البحث والايضاح . وهي كالبرق تومض فتستفزنا دون ان تنير لنا السبل . وهل نغتفر له مثلا ان يضن علينا بالحديث المفصل عن تلك الفنون الجماهيرية التي اشاد بقيمتها ؟ اليس في هذا الموضوع منطق خصيب لأديب مثله يريد ان يجعل من الأدب اداة انضاج للمجتمع وتوجيه للمشاعر القومية ؟

٥ – وسائل تعريف العرب بنتاجهم الأدبي الحديث لبدر شاكر السياب :

في هذه الكلمة روح المؤمن بقضية، الحامل لرسالة . فصاحبها ممن لا يقف من مشكلات مجتمعه ومشكلات الأدب فيه موقف من يحلو له أن يثقب اللآليء ويصوغ عقودها في حلبة صراع الشعوب ومصرعها ، بل يعرف معنى المرحلة التاريخية التي تجتازها الأمة العربية ويؤمن بتاريخية المشكلات والمباحث Gechchichkeit. انه لا يفصل موضوعه عن زمانه ومكانه ولا يعنيه ان يثير مباحث فقهية عائمة عن صنوف الأدب في العالم وعما يمكن ان يصدر في المستقبل البعيد من نتاج ادبي عربي . انه ابن السنة السادسة والخمسين بعد التسعمائة والألف وابن هذا المجتمع العربي : انه يدرك مسؤوليته ككاتب عليه ان يساعد على انبعاث الفجر الذي أومض .

فلهذا فمن الابتعاد عن منطقه ان يأخذ عليه بعضهم الدفاع العنيد عن الأدب الواقعي الملتزم. ان المسألة – كما ذكر وألحف – مسألة توقيت . انه يقول قولا لا جمجمة فيه. اننا نخوض معركة يتقرر من فوزنا او خسارتنا فيها وجودنا كأمة ذات فن وحضارة ورسالة .. انه يعود فيقول « ان الأدب الذاتي ، في هذه المرحلة من حياة امتنا ، ترف لا غير» فهل نرذل قول من ينادي كل مثقف واديب في ايام الحرب لحمل السلاح في معركة البقاء ؟

اما ان نبحث عن موضوع الالتزام وعدمه ، بصرف النظر عن زمان معين ومكان معين ، فهذا أثر لم يدعنا الأستاذ السياب الى الخوض فيه ، ولانود المناقشة حوله . وهو في رأينا موضوع مطروح طرحاً زائفاً ومشكلة من تلك المشكلات المختلقة الصنعية .

من هذا الأفق اذن ينظر الأستاذ السياب الى الأمور ، ومنه يريد ان يطل على معالجة موضوع الوسائل الخاصة بتعريف العرب بنتاجهم الأدبي . فهو لا يريد ان يفصل بين الفكرة والوسيلة . بل هو يريد ان يقول ان الفكرة تحمل في صلبها وسيلة نشرها وتضم في ثناياها بذور انقلابها الى عمل ونشاط. انه يريد ان يتجاوز ذلك البحث البالي في الوسائل دون النظر الى اتحاد الهدف بالوسيلة حيثما تصفو الفكرة وتستقيم الأشياء . وهل كالأدب شيء اجدر بأن تتحد فيه الغاية والأسلوب المؤدي اليها ؟

ان الكاتب يتلمس حصيناً من الرأي حين يرى ان واقعية الأدب هي بحد ذاتها وسيلة من وسائل التعريف به . وانه يدعو الى موقف جدي شجاع حين يحمل الأدباء وحدهم مسؤولية انتشار ادبهم . انه يذكرهم ان الأدب القوي الحي لابد ان يذيع الحياة من حوله ويضم الناس اليه . انه يريد ان يحول بينهم وبين اضفاء المسؤولية على غيرهم – وهي في الصميم منهم – ليبين لهم انهم وحدهم يتحملون مسؤولية ما يلقاه ادبهم من نقص الذيوع وضعف الانتشار . فالأدب الذي لا يحمل معه قلوب الشعب عسير ان يسير الى الشعب ، والفكر الذي لم يغتذ من حرارة تلك الملايين العربية الظامئة الى الحرية الطامحة للكرامة لا يستطيع ان يغذي مثل هذه النفوس السخية ولا يجوز له ان يطلب اليها ان تنهل منه . ان هذه النفوس – على جهلها وسذاجتها – اطول باعاً في الأدب من الأدباء حين تثور لقوميتها وتتحرك اوتارها على انغام الحرية والعزة .

عبد الله عبد الدائم — دمشق – كلية التربية

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

مع ميخائيل نعيمة
في مؤتمر الادباء العرب
بقلم الدكتور جودت الركابي

كان مؤتمر الأدباء العرب الذي انعقد في نهاية الشهر المنصرم في بلودان أكثر من مؤتمر ، لأنه لم يجتمع فيه الأدباء ليقرروا أمراً واضحاً بين المعالم ، بل اجتمعوا ليتحدث الأدباء فيه عما يجول في خواطرهم ، كل بما اختط لنفسه من فلسفة ، وكل بما انتهج لنفسه من أسلوب . وتلك ظاهرة اباركها واحبها لأنها لم تتنكر للأدب وحريته . قد تكون الموضوعات التي حاضر فيها الأدباء قد وضعت لهم وفرضت عليهم ، ولكن هذا الفرض لم يغير شيئاً من رسالة الأدب ، لأن الأدباء في محاضراتهم ومناقشاتهم انما اخلصوا قبل كل شيء لأنفسهم ، وفي هذا الاخلاص عبروا عن تجربتهم الانسانية التي كانت اجتماعية في ذاتيتها ، وذاتية في تطلعها الى المجتمع .

أجل ان الأستاذ ميخائيل نعيمة ، المحاضر الأول في مؤتمرنا ، الذاتي النزعة ، قد عبر في ذاتيته عن انسانية شاملة .. كما اراد الأستاذ بدر شاكر السياب في محاضرته ان يضع الأديب في معركة المجتمع العربي ..

وفي تيار هذين الاتجاهين كانت تدور المناقشات وكانت شديدة في مختلف المحاضرات .

وفي المؤتمر أملان : أمل يمثله شباب الأدباء ولاسيما شباب وفد مصر ، وهو أن الأدب يجب ان يكون صدى لواقعنا وخادماً لشعبنا المتحرر الذي ينفض عنه غبار الرجعية ويتطلع بل يعمل في سبيل الوثبة العربية .. ولذا كان وفد مصر وبعض اعضاء وفد العراق وبعض اعضاء وفد سورية ووفد لبنان ينظرون هذه النظرة ويأملون ان تكون الكلمات التي القيت منبجسة من هذا الواقع ، عاملة في سبيل القضية العربية وكرامتها ، دون ان تدغدغ ذاتية الفرد في حلم عميق ، او ان تحلق في جمال حالم بعيد عن ضوضاء هذا العالم الذي يصطرع فيه قوى الشر ..

ومن هنا يطل الأمل الثاني : أمل بعض الأدباء الذين يعملون في صوفية الفن ويرون أن هذه الصوفية الفنية انما تخدم المجتمع في تكوين افراد يشعرون بقيمة الخير ، وان الفن عندما يخدم الفن انما يرسم بريشة حساسة المدينة الفاضلة يتناغم فيها الخير مع قيم الحق والجمال .

وهذان الأملان بقيا حتى نهاية المؤتمر يصطرعان . وفي اصطراعهما هذا عبرا عن شعور واحد : هو أن الأديب سواء اكان ذاتياً ام اجتماعياً انما يعبر في ذاتيته وفي اجتماعيته عن رسالته نحو امته التي ترغب ان تعيش حرة كريمة عزيزة في ظل انسانية يسودها العدل ، فلا يعتدي فيها باغ ولا تشوه فيها معالم الجمال او تداس فيها كرامة الحق .

ولما كانت هذه القيم يدوسها المستعمرون في بلادنا العربية ، كان واجب الأديب العربي عظيماً ومسؤوليته خطيرة ، وكان عليه الا يكون في معزل عن شعبه وعن قضية امته التي هي قضية الانسانية جمعاء ، مطعونة في اقدس صفاتها الا وهي : الحرية .

بمثل هذه النتيجة خرج مؤتمرنا الذي كان ظاهرة قومية رائعة

ويطل امامي في هذا المؤتمر الذي عشته اياماً سبعة ، وجه اديب انساني ، كان في محاضرته قمة شامخة من قمم الأدب هو الأستاذ ميخائيل نعيمة . لا أحب ان ابين دوره في هذا الصراع ، بل لعلكم عرفتم هذا الدور ، بعد أن قلت لكم انه ذاتي وصوفي وانساني ، وانه ، لهذا كله ، يريد لهذا الانسان العربي حقه في ان يعيش في وطنه حراً يكتب في سفر الانسانية لوحاته التي بشر بها بكل ما يملك من قوى الروح ، وبكل ما اوحت به له قدسيات الأديان ، وبكل ما الهمته نبضات القلب الصافي ونسمات الجمال المجرد من حب للخير وتوق الى التسامح وشوق الى الأمان . هذا الأديب ، بكل ما في الأدب من معنى جديد ، كان يغدو ويروح في أبهاء فندق بلودان في صمت وتواضع ، كان الأدباء يتبعون خطواته ويتحلقون حوله ، ولكنه كان يصغي الى الملهم منهم ويكلم من يرى في اقواله نغم الاخلاص ، ولذلك كان ينفر في استحياء ممن علت قسماتهم عنجهية الجهل ، أو بدت على حركاتهم عامية الوظيفة ..

وكنت اطل احياناً عند الفجر من نافذة غرفتي فأراه في باحة الفندق او على هضبته الممتدة يروح ويغدو وكنت اقول انه مع الطبيعة يعيش ومن الطبيعة يستوحي براءة صوره وطهارة فكره .. وليس عجيباً منه هذا فهو ابن هذه الرابية نفسها التي تمتد فتسمى في بقعة عربية أخرى لبنان وتسمى في احد مرتفعاتها «بسكنتا» ! وتحدثت معه عن الأدب وعن الفن ، فكان دائماً يعدد اجوبته ولكنها تعود دائماً الى هذه النفس ذاتها التي يراها خلاصة العالم ونتيجة لعناصره المختلفة . ألم يقل : من يدري ان هذه التفاحة التي نأكلها تحمل في ذاتها اسرار الكون !

وفي اليوم الأول من افتتاح المؤتمر ، اضطرب القائمون على امره .. ماذا ؟ لم يحضر المحاضر الذي كان مقرراً أن يلقي في هذا اليوم محاضرته . والتفتوا الى ميخائيل نعيمة ، يطلبون منه الانقاذ . فقال : لا بأس ، سأقدم موعد محاضرتي اذا كان هذا يريحكم فأنا متهيء للكلام .. وتكلم فعلا في اليوم الأول ، وكانت محاضرته اولى محاضرات المؤتمر وبقيت الأولى ! ..

لقد كان عنوان محاضرته : « الأديب والناقد » .. ولقد تكلم اديباً حقاً ، وتكلم ناقداً حقاً ، وتكلم مفكراً حقاً .. ولا أحب هنا ان اعرض لتحليل هذه المحاضرة فهذا يعوزه حديث طويل ، وليس هذا قصدي .. ولكني اكتفي بلقطات من جمله هي وحدها كافية بما فيها من اشعاع لتضيء الظلمة ، وترسم الفكرة ، ثم لتوحي بهذه الأصالة التي ينبعث بها اسلوب نعيمه وتفكيره .

لقد بدأ بهذا المطلع فقال : « لو شئت ان احدد النقد بكلمات ثلاث لقلت انه غمل الحياة الدائم » وبهذا الايجاز حدد النقد كما يراه ثم لم يشتت تفكيره في غير ما يراه ويعتقد بل بقي مخلصاً لتفكيره واصالته الى نهاية المحاضرة .

فقد قال : ان الكاتب والناقد كليهما يعملان بدافع من القلق والشوق . « فالكاتب في ما يكتب انما يعبر عن قلق تثيره فيه حواسه الخارجية والباطنية من اوضاع بعينها وعن شوق الى التخلص من ذلك القلق . ويأتي الناقد ليعبر عن القلق الذي يثيره فيه عمل الكاتب وعن شوقه الى الانعتاق من ذلك القلق » .

وقال : ان التنويع الدائم في ما نقول ونكتب يعود الى تفاوتنا في القلق والشوق حتى ولو وضعتنا الحياة في عين الظروف والأحوال .

وقال ايضاً : ليس علينا ان نتقصى الدوافع التي تدفع الكاتب الى الكتابة ،

ولا ان ندينه لأنه كتب ، ولنا اذا شئنا ان نقرأ ما كتب ، فاذا وجدنا فيه قلقاً يشبه بعض قلقنا ، وشوقاً يضارع بعض شوقنا ، ثم وجدنا انه يعبر عن ذلك القلق او الشوق تعبيراً نصدقه ونطمئن اليه ، شعرنا بشراكة الحياة بيننا وبينه وباركنا انتاجه .

وهكذا نرى ان محاضرنا قد فهم سر النقد وغاص على سر جمال الأثر الأدبي . ولكنه كان يعترف بأن هناك اناساً لا يفهمون ما يقرأون او كل ما يقرأون ، ولذلك يمرون باللؤلؤة الفريدة وكأنهم يمرون بأكرة من زجاج ، ولمثل هؤلاء قام النقد والناقدون .

ثم اخذ المحاضر نقد الحياة ونقد الناقدين فوجد بينهما فرقاً شاسعاً فرأى أن الحياة تنقد ذاتها بذاتها . ورأى ايضاً ان الناقد الذي يتصدى لنقد أثر ادبي عليه ان يكون عارفاً للحق مميزاً للخير محيطاً بسائر صفات الجمال ، ولكن هذا الناقد الذي يريده لا وجود له على الاطلاق لأننا كما قال الأستاذ نعيمة في عالم النسبة .

ثم يتحدث المحاضر عن الأدباء الكبار فيرى انهم هم الذين يمهدون الطريق للنقاد الكبار ولا يرى العكس . اذ ان العبقرية الحقة — كما يقول — تشق طريقها بقدرتها لا بما يقوله فيها مادح او قادح . فالنقد لا يستطيع خلق العباقرة . وينتهي المحاضر الى هذه العبارة الفذة فيقول :

« حيثما كثرت القمم الشامخة قلت الدهشة للتلال . وحيثما كانت الأنهار الكبيرة قلت قيمة السواقي . اما حيث لا قمم شامخة ولا انهار كبيرة فالكثبان والسواقي تبدو كما لو كانت ابدع آيات الله في خلقه .. فلا عجب ان يكون نقدنا حتى اليوم في مستوى الكثبان والسواقي ، ثم يكون لنا في كل يوم كاتب كبير وشاعر عظيم ! »

هذا هو الأستاذ نعيمة في نظرته الى الأديب وهي نظرة تحل الأديب المقام الأسمى بينما تجعل الناقد في مرتبة دون مرتبته . والمحاضر يرغب — وهو على حق — الا نبالغ في قيمة الناقد ونجعله الدعامة التي لا يقوم الأدب الا بها ، فنحن نستطيع — كما يقول — ان نؤلف الروايات والمسرحيات وننظم القصائد ونحبر المقالات دون الحاجة الى ناقد بل نترك تقدير ذلك الى القارئ وللزمان فان اخطأ القارئ فلن يخطىء الزمان .

اما علاقة الكاتب بالناقد ، فيراها على الاجمال علاقة قلق وحذر وحرب ويتمنى ان تكون علاقة اطمئنان وثقة وسلام . ويرى ان الكاتب الذي يعرف قيمة ما يكتب ، عليه الا يزعجه ذم ناقد ولا يستخفه مدح قارئ ، وعلى الأخص اذا احسن نقد نفسه ، فناقد نفسه في غنى عن نقد الناس ، وهو يطاوع في ذلك الحياة التي لا تنفك تحاسب نفسها في كل طرفة عين ، فهي الناقد الأكبر والمبدع الأعظم .

وبعد ان يبين المحاضر اختلاف مقاييسنا في النقد عن مقاييس الحياة ، وان أحكامنا تبقى مبتورة لأنها صادرة عن بشر ما اكتملت بعد معرفتهم للناس والأشياء ، وان الأدب يستحيل ان يكون ادب عباقرة لاغير ، بل لابد مع النسور من خنافس ، يرى ان من الأفضل للناقد ان يصرف مواهبه في الانتاج وان يصرف همه بنقد ما ينتج بدلا من الاهتمام بنقد الغير .

ويطلب الأستاذ نعيمة في ختام محاضرته : « ان يكون همنا الأول والأخير ان ننطق بالحق كما نفهم الحق ، وان نعمل الخير كما نفهم الخير ، وان نخدم الجمال كما نفهم الجمال ، ثم ان نترك للغير مثل ما نترك لأنفسنا من الحرية في قول ما يرونه حقاً وخيراً وجمالا . والحياة كفيلة بغربلة ما نقول ونفعل . فلها وحدها القول الفصل والحكم الأخير » .

وهكذا ينهي الأستاذ نعيمة محاضرته بعد ان بعث في نفوسنا طمأنينة الحق ورعشة الجمال .. ثم اذا به يقف ليناقش المناقشين ويرد على المنتقدين فيبدو طوداً شامخاً لا تهزه الأعاصير وتبدو محاضرته لؤلؤة المؤتمر ودرته الغالية .

وتلت الأيام .. وعاد محاضرنا الى نزهاته الصباحية في الطبيعة التي احبها ، وعاد الى حلقات اخوانه وسماره ، وتابع صفوة الأدباء اصغاءهم الى حديثه العذب وصوته الهادئ .

كان عليه ان يبقى الى اليوم الأخير من المؤتمر ، ولكنه لم يفعل . وبينما كان الناس في الفندق « يخرجون » محاضرة الختام التي كان على الدكتور طه حسين ان يلقيها ، كانت تقف على باب الفندق سيارة لتقل الأديب الكبير ميخائيل نعيمة الى بيروت ، وكنت انا وصديقي الشاعر في وداعه ، لقد همس في اعيننا منظره ما كان يعتور نفسه من قلق وشوق عندما اخذت مظاهر هذه الاستعدادات تخدش حساسيته ، ولذا اراد ان يعود مسرعاً الى هذا القلق وهذا الشوق يناجيهما ويكتب للخلود آثار الخلود .

دمشق — **جودت الركابي**

معرض الفنان رفيق شرف

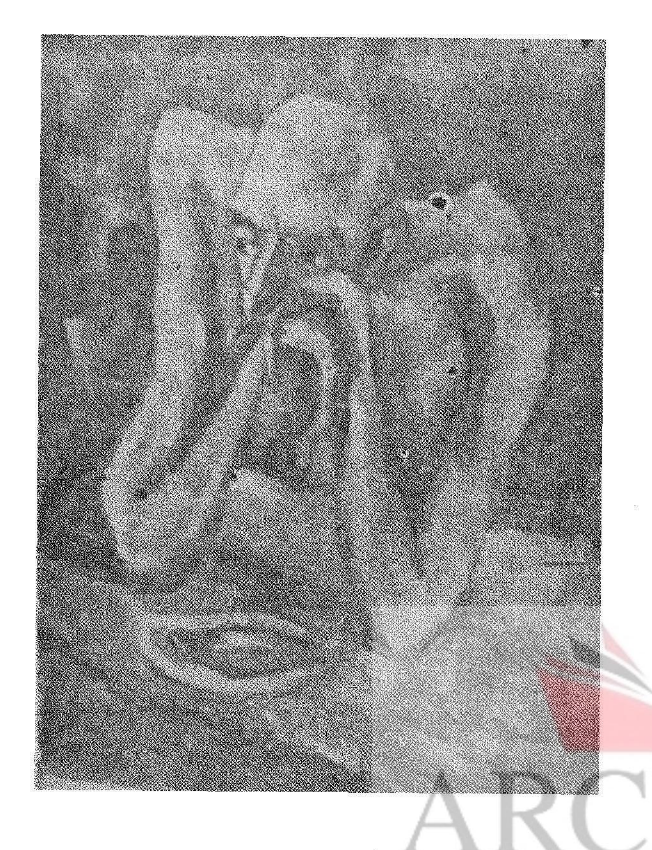
عاد الفنان رفيق شرف من اسبانيا حيث قضى عاماً دراسياً في اكاديمية مدريد. وقد اقام اخيراً معرضاً للوحاته في مسقط رأسه بعلبك اختلف اليه عدد كبير من هواة الفن ولاسيما من الأجانب الذين كانوا يحضرون مهرجانات بعلبك .

وقد اتى رفيق شرف بعناصر جديدة في فنه . فبعد ان كانت الالوان في رسومه السابقة كئيبة قاتمة ، اذا بها اليوم باسمة مشرقة ، تكثر فيها الألوان الزرقاء مطلية بشعاع من أمل وابتسامة من نور فيها خيوط الشمس الباردة .

ولا تخلو لوحة من لوحات شرف من اللون الأحمر الذي يعبر عن الشهوة القلقة ، ولكن هذه الشهوة قليلة الدفء بما يرافق اللون الأحمر من بهوت يرتمي بين الأزرق والأخضر .

اما مخلوقاته البشرية ، فان فيها آلان دماً يرتعش في شرايين بنفسجية باردة تلتقي وتلتف حول عضلات متهدلة يعلو جلدتها غشاء فيه اصفرار وشحوب . وحول هذه المخلوقات البشرية لون ربيع حزين مع بصيص من نور . اما المناظر الأخرى ، والزهور والاشجار والبيوت فقد هدأت فيها ريشته واتسعت خطاها . فأصبح لديه (توش) جديد اكثر تمدداً من قبل .

وقد رأينا في هذا المعرض ثلاث لوحات جديدة كل الجدة علينا ، ولعلها كذلك على الفنان نفسه من حيث الطابع والتكوين . من هذه اللوحات « السمكة الحمراء والرجل الازرق » وهي غريبة عن جونا . ومن اروع لوحاته (عينان

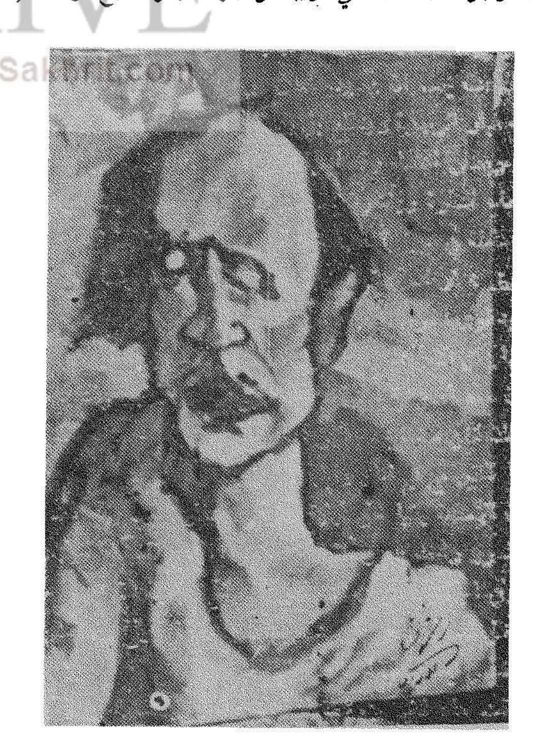


عينان وجسد ...

وجسد) و(مشكلة) . وفي هذه الأخيرة ثقة وعمق وقوة وصدق واستمرار في التعبير الكامل قلما يوجد في غيرها . واما لوحة (وجه) فألوانها موفقة ومنسجمة جداً ، وعلى السحنة ينسكب لون الشرق ، بسمرته وبشرته الجذابة ، وطابع التهويل يحتل معظم اجزاء اللوحة من الشعر حتى العينين وعضلات الوجه والفم .

وفي المعرض حوالي ثلاثين لوحة جديدة من اسبانيا وكلها تدل على ان هذا الفنان يثبت اقدامه ويدفع فنه الى الاكمال . وعساه ، وقد عاد الى الوطن، يعود الى الموضوعات القومية التي كان يعالجها بنجاح في انتاجه السابق .

ناظم ايراني



وجـــه ...



جامعة بغداد الجديدة

اقر مجلس الأمة مؤخراً لائحة قانون جامعة بغداد ، واستصدرت الارادة الملكية بالقانون ، وبهذا يصبح قانون الجامعة حقيقة ماثلة بعد ان كان فكرة ذهبية تساور عقول المفكرين والمصلحين منذ اكثر من ربع قرن مضى .

وقد كان الملك المؤسس فيصل الاول – طيب الله ثراه – اول مفكر في بناء

النشاط الثقافي في الوطن العربي

صرح الجامعة على الاسس العلمية والفنية واول قائل بان الجامعة « حجر الزاوية في تدعيم الكيان الوطني ، وارسائه على القواعد العصرية الراسخة .. وكان من نتائج حرص فيصل الكبير على تحقيق فكرة الجامعة تأسيس جامعة «آل البيت» على عهده واحتواء مناهجها على شعبة الالهيات .. ولكن قلة ذوى الكفاءات من الطلاب ، وضعف الامكانيات العلمية يومذاك جعلا الجامعة لا تعيش الا اعواماً قليلة .

وقبل ان نتحدث عن قانون جامعة بغداد بشكله النهائي نريد ان نستعرض بعض المحاولات الجدية التي سبقت تشريع القانون وبعض المبادئ الاساسية التي انطوى عليها ، لقدكان التصميم الاول ، او المشروع الاول لجامعة بغداد، هو المشروع الذي وضعته لجنة « هملي » سنة ١٩٤٣ .

اما المشروع الثاني لجامعة بغداد ، فهو المشروع الذي وضعه الخبيران الانكليزيان السر (تشارلس جي . دارون) والدكتور (ارثر دي مورغان) اللذان استقدمتهما الحكومة العراقية سنة ١٩٤٧ من انكلترا لدراسة مشروع الجامعة .

لقد جاء هذان الخبيران الى العراق واتصلا باقطاب التربية والتعليم ورجال الفكر في العراق وقاما بدراسات عميقة شاملة في الوية العراق ووقفا على حاجات البلاد المختلفة ، ومشاكلها الآنية والمزمنة ، والتيارات الاجتماعية التي تنصب على المواطنين .. وهكذا وضعا تقريرهما الضافي عن مشروع الجامعة بعد ان اخذا ببعض المبادئ والاسس التي تضمنها مشروع « هملي » الذي المعنا اليه .

لقد نوه تقرير (دارون – مورغان) بالاشواط البعيدة التي قطعها العراق في الخمس والعشرين سنة الاخيرة في ميادين الزراعة والصناعة والتعليم والصحة والمواصلات والخدمات العامة . وجاء في التقرير المذكور ان امام العراق اعمالا كباراً لابد من الاضطلاع بها ، ومسؤوليات جساماً لابد من تحملها . بيد ان هذه الاعباء والمسؤوليات والاعمال الجسام لا ينهض بها غير الاكفاء من الرجال والنساء الذين يتصفون باسمى المزايا الفكرية والخلقية .. ومن هنا تبرز امامنا الحاجة القصوى لهذا النوع الممتاز من الجنسين ومن هنا تتجسم امامنا وظيفة الجامعة التقليدية ، الا وهي العمل على تربية وخلق اولئك الرجال والنساء .. ومن هنا كذلك ندرك خطورة التربية والاعداد العالي الجامعي في حياة الأمة ودفعها الى حيث معارج النهضة والارتقاء في كافة المناحي بوجه عام .

وانطوى التقرير – اي تقرير دارون – مورغان – من الناحية الثانية على صفحة اساسية في الاختبار الزراعي والصناعي والهندسي وشكوى العراق من قلة الرجال والنساء الذين توفروا على هذا النوع من التعليم المهني . وتلك ظاهرة بارزة تتصل اتصالا وثيقاً بمشاكل البلاد الكبرى بصورة عامة ، وبمشكلة تأسيس جامعة بغداد بصورة خاصة .. ويشفق الخبيران كثيراً من تأسيس الكليات في الجامعة المنتظرة لاجل تدريس الموضوعات المهنية ، وينصحان بضرورة النظر منذ البداية في انشاء نظام خاص للتعليم الزراعي والصناعي ، اي بتأسيس معاهد يراعى فيها ان تكون عملية وفنية ، وذلك لسد حاجات البلاد بهذا النوع من المتخرجين .

اما اولئك الذين يتخرجون في المعاهد المهنية ويكون لهم الاستعداد الكافي لمواصلة الدراسة في الجامعة فانهم يجدون امامهم الطريق معبداً الى الجامعة .

وقد عالج تقرير (دارون – مورغان) مسألة التوسع في الجامعة بحيث يجب ان يعتنى كثيراً وقبل كل شيء بامر السرعة التي يتهيأ فيها للجامعة النمو والتطور المطردان . ولا يتأتى هذا الا بمراعاة اعتبارين اساسيين :

١ – حاجة البلاد الى الافراد الذين يتعين ان تمتد دراستهم الى الشوط الذي يستلزم التعليم الجامعي .

٢ – الوسائل التي تضمن الضبط الدقيق لدخول الطلاب الى الجامعة . وهذا ضروري جداً لان الاخفاق في المحافظة على مستوى القبول في الجامعة لن يقتصر ضرره على تخريج عدد كبير جداً يضاف الى ذوى الثقافة الفكرية الذين فشلوا في الحياة بل يتعداه الى الهبوط بالدراسة الجامعية ، والى الحط من قيمة الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعة ايضاً .

اما قانون جامعة بغداد فان اهم المبادئ الاساسية التي بني عليها هي :

١ – مبدأ استقلال الجامعة في ادارة شؤونها ، غير انه جعل وزير المعارف هو الممثل لها في مجلس الوزراء ومجلس الأمة .. وقد اقرت هذا المبدأ لجنة « هملي » اذ ارتأت « ان تكون الجامعة هيئة مستقلة ما امكن ذلك حيث ان التجربة قد برهنت على ان اعمال الابتكار لا تزدهر الا اذا احاطها جو معقول من الحرية » كما ان لجنة « شارلس – دارون » هي الاخرى قد وضعت الضمانات الكافية لاستقلال الجامعة .

٢ – مبدأ جعل اللغة العربية هي اللغة الرئيسية . وقد اتفق الخبراء الاجانب الذين استشيروا في هذه الناحية على ان اللغة العربية باعتبارها لغة البلاد الاصلية الرسمية يجب ان يكون لها المقام الاول في السيادة ، ويجب ان تكون « القلب النابض » لكلية الآداب بصورة خاصة .

واذا ما اخترنا لغة اجنبية واحدة الى جانب اللغة العربية فمن الأفضل في رأي دارون ومورغان وهملي – ان تكون الانكليزية هي اللغة المختارة .

٣ – مبدأ ضمان الاساتذة من ناحية بقائهم في مناصبهم وتوفير وسائل المعيشة والرفاه لهم . وهذا اساسي هام يؤدي اهماله الى عزوف الاساتذة الاذكياء عن قبول مناصب التدريس في الجامعة ، كما يشجع الاساتذة الضعفاء على التهالك والتهافت ، مما يضر بالجامعة ضرراً بليغاً .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

المغرب العربي

تونس الادبية

لمراسل (الآداب) محمد بلحسن

كان للعهد الجديد الذي بدأت تنعم به تونس إثر الفوز الذي احرزته في ميدان الحرية والسياسة شأن في كل الاوساط العاملة التي استردت نشاطها من جديد بعد ان زالت العوائق والظروف القاسية التي مرت بتونس وعاقت الجميع عن العمل . واستأنفت الجهود لخوض المعركة السلبية بعد النجاح المظفر في المعركة الايجابية والكفاح السلبي السياسي . واندفعت جماهير الشعب ورجاله لبناء الأسس السليمة للكيان التونسي العربي سواء في الحقل الادبي او الأجتماعي او الأقتصادي ، وقد وضع جميع قواه وامكانياته للنجاح بعد ان آمن ان هذا الكفاح السلبي جزء من المعركة العربية الحالية .. معركة المصير المشترك .

* * *

الاستاذ البشير العريبي من افذاذ الادب التونسي الحديث، جمع بين الكتابة والشعر وهو الفائز في مسابقة النشيد الوطني الليبي وعضو اسرة نادي القلم وقد سألناه عن :

س – ماهي مراحل النهضة الأدبية التونسية، ماضيها وحاضرها ؟

ج – مراحل النهضة الأدبية التونسية مرتبطة الى حد بعيد بمراحل النهضة الشرقية على العموم وبالتطورات السياسية ومستوى الثقافة في البلد على الخصوص. اما ارتباطها بالنهضة الشرقية فلأن التونسيين لم يكونوا يوماً ينفكون عن اخوانهم في الشرق في نزوعهم اليهم واعتدادهم بأخوتهم والتأثر بهم والعمل للارتباط معهم، فهم لا يزالون يتبعون خطوات الشرقيين ومراحل النهضة الشرقية بعناية .

وا حب ان لا يفهم ابداً ان النهضة التونسية – وخاصة في ماضيها القريب – كانت عالة على النهضات التي قامت ني الشرق .. احب ان لا يفهم انها كانت آخذة لا معطية، ومتأثرة لا مؤثرة، فقد كانت تونس – كما لا تزال – واسطة بين المغرب والمشرق، من جهة، ففيها تجد امتداداً للنهضة الشرقية الى المغرب واشعاعاً ينعكس منها على اخوتها بلاد المغرب العربي لكي يربط عجلتهم بعجلة اخوانهم الشرقيين . واذا نهض الشرق على اثر حركة جمال الدين ومحمد عبده تمخض جامع الزيتونة – وهو ضريع الأزهر بمصر – عن ميلاد رجل من افذاذ رجال العروبة والاسلام وهو المرحوم عبد الحميد بن باديس الذي بث نواة النهضة في الجزائر الشقيقة المكافحة وأنشأ فيها اجيالا من الكتاب والشعراء والخطباء تفخر بهم العروبة والمغرب الكبير .

ومن جهة اخرى فان تونس لم تكن امتداداً لنهضة الشرق وحسب او مزودة للمغرب فقط، بل كانت تنشىء الرجال لنفسها وتوجه ببعضهم الى الشرق اختياراً مرة واضطراراً مرة اخرى .. فمن رجالات النهضة التونسية والادبية منها على التخصيص خير الدين باشا والبشير صفي ومحمد علي باش حانبه وعبد العزيز الثعالبي .. وغيرهم كثير ممن حملوا اقلامهم ليبشروا قومهم بالمستقبل الزاهر اذا هم عملوا له ويبصروهم بمواطن الزلل في مسالك العصر الذي عاشوه، ولكنهم لم يلبثوا حتى تلقوا ضربات من ايدي مناوئيهم – وهم قليل – أو من ايدي الدخيل اذ كان جلهم يعيش في عهد الاحتلال الفرنسي ، فهؤلاء الرجال الذين كانوا يمثلون النهضة السياسية والاجتماعية في الماضي القريب كانوا – كمعاصريهم عبده وامثاله – كرجال النهضات الاجتماعية البصيرة يحملون عبء النهضة الادبية مع ذلك العبء السياسي الثقيل ، لذلك شردوا في البلاد وعذبوا تعذيباً يطول بسطه ..

وقد كان من ابرز رجالات النهضة الادبية في ذلك الماضي القريب البحاثة المدقق محمد السنوسي الذي بقي اكثر آثاره واغزرها مخطوطاً وفيه روائع الادب التونسي القديم والحديث حتى عصره، ومنهم الشاعر الفحل محمود قابادو الذي سجل اكثر مراحل النهضة في شعره الرائع، ومنهم الشاعر الناثر المؤرخ احمد ابن ابي ضياف الذي كتب اعمق ما يمثل النهضة في عصره وادق ما يصح ان يقال عن الحركات السياسية والاجتماعية .

هذا ما كان في الماضي القريب . اما البعيد فان النهضة الأدبية بتونس كانت بارزة ظاهرة للعيان تفيض على المشرق والمغرب مالا يسعني الاطالة بذكره. ولو قد ذكرنا ان من اعلام التونسيين ابن خلدون لهزئ الجميع منا لان ابن خلدون لم يبق رجل تونس وحدها . ولو قد ذكرنا الحصري صاحب زهر الادب اوسميه الضرير صاحب المعترات و (ياليل الصب) او ابن رشيق صاحب العمدة او ابن منظور صاحب لسان العرب او ابن ناجي صاحب معالم الايمان .. او امثال هؤلاء الذين لم يزل الجهل ببعض جوانبهم يعشش في نفوس اكثر قراء العربية لطالبتني نفسي – قبل الآخرين – ان اعرف بهم فضل تعريف واني لي ذلك والمقام محدود ؟! ..

اما في الحاضر التونسي، فان النهضة الأدبية تسير بخطى وانيه بعض الشيء وما احسب ان هذا الونى يعود الى شيء قبل مستوى الثقافة في البلاد والتطورات السياسية التي جرت فيها وتجري وهما السببان الأخيران اللذان ارتبطت النهضة الأدبية بهما الى حد بعيد .

وفي مجال النهضة الادبية الحاضرة يلمع امامي اول ما يلمع اسم شاب جريء من الشباب المثقف الواعي وهو المرحوم الطاهر الحداد : فهذا الاديب الذي كان يحمل قلماً عالي النفس في النثر وكانت مشاركته موفقة في قرض الشعر، قد توفر له من اسباب البروز ما جعل قوماً يتحركون للرد عليه وقوماً يتحركون لتأييده فكان مشع حركة قلمية تذكر .. وهو اول من كتب كتاباً كاملا عن الحركة العمالية وكان ذلك سنة ١٩٢٧ تسجيلا لما بلغه الوعي الشعبي التونسي في تلك الفترة اذ اسس حركة عمالية بزعامة الدكتور محمد علي. وألف الحداد كتاب (العمال التونسيون) ثم تهيأ له بعد ذلك ان يؤلف كتاباً آخر احدث رجة عظمى في الاوساط التونسية وسلكه عند اكثرهم في عداد الزنادقة الملحدين، هو كتاب (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) . ويبرز في هذا المجال ايضاً اسم الشابي الشاعر الوجداني الذي ظل مجهولا في الشرق حتى العهد الأخير .

ونطوي المراحل بعد وفاة الشابي فنجد النهضة الادبية تتأثر بالسياسة فهي تقوى عند انطلاق الحريات وظهور الصحف والجمعيات الثقافية والاجتماعية وتضعف عند الحد من تلك الحريات حتى لا نكاد نظفر بأثر يسجل هذه الفترة الحائرة .. فاذا ظهرت وزارات الجبهة الشعبية في فرنسا وابدت من التسامح

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الظاهري في السياسة ما سمح المسؤولين الفرنسيين في تونس ان يصرحوا باصدار الصحف على نطاق متسع برزت عشرات من الدوريات كان لبعضها اثر اي اثر في تمثيل النهضة الفكرية في البلاد واستتبع هذا الانطلاق ظهور التأليف ظهوراً ما ونهضة ادبية تمثلت في ظهور مجلة (العالم الادبي) و (الجامعة) و (الافكار) .

ثم كانت فترة الحرب العالمية الثانية التي حطت بكلاكلها على البلاد التونسية فكمت الافواه واجدبت القرائح . ولكن ما كادت صفحة الحرب تنطوي حتى ظهرت وجوه جديدة في الميدان واغمدت الاقلام القديمة او كادت .. واذا كانت ظروف الحرب قد امتدت على البلاد امتداد ليل الهول، فان ذلك لم يمنع المنتجين من استغلال الصحف التي كانت تروج لهذا العهد مهما كان مشربها وما يقال عن نزعتها وصلتها بالدخيل كمجلة (الثريا) وجريدة (الاسبوع) ولكن حملة الاقلام- او بعضهم على الأصح – وجدوا فيهما متنفساً فأنتجوا لها الشيء الكثير .. ومن الحق ان نقول ان الوجوه القديمة ظلت اكثر من الوجوه الجديدة على صفحات الثريا والاسبوع . ولكن سرعان ما قامت الحركة السياسية العارمة التي شن بها (الديوان السياسي) حملته الوطيدة على العادي الفرنسي الدخيل وحينئذ ظهر جيل جديد من حملة الاقلام لم يكن يسعه الاعلان عن نفسه بادئ الأمر ثم وجد في مؤسسات الشباب الثقافية والرياضية ما جعله يبرز للناس مناقشاً لما يسمع على منبر (الجمعية الخلدونية) وجمعية قدماء الصادقية او محاضراً على منابر تلك المؤسسات وكذا جمعية الشبان المسلمين وسائر المنظمات الطالبية . وفي هذه الفترة ظهر محمد العروسي المطوي والحبيب بلخوجة واحمد بن صالح وعبد الله شريط وغير هؤلاء ممن اعتمدت عليهم مدرسة مجلة (المباحث) بادارة الاستاذ محمود المسعدي وجريدتا (الحرية) و (لواء الحرية) بادارة الزعيم الاستاذ علي البلهوان .. واخيراً ظهرت جريدة (الصباح) وكان لها حظ في انعاش النهضة بصفحتها الادبية الاسبوعية (صفحة الثقافة والادب)

وهنا يعود الينا الاستاذ محجوب بن ميلاد كاتباً باحثاً واديباً مفكراً وظهرت مجلة (الندوة) فبرز على صفحاتها بعض من سبق ذكرهم كما برز الاستاذ الشاذلي القليبي ومحمد مزالي وعامر غديره وظهرت مجلة (الفكر) فظهر على صفحاتها آخرون مثل الاساتذة الطاهر قيقة ومحمد الطالبي ومحسن بن حميده والهادي حمو .. وان لم يكن جلهم منقطعاً عن الحركة في الماضي .

على ان من العقوق ان ننسى رجلا من ابرز رجالات النهضة الحاضرة او انشط بنيها هو الاستاذ ابو القاسم محمد كرو فقد عرف بلاده عندما كان في الشرق طالباً في العراق او استاذاً في ليبيا وعرف بها بعد ان عاد الى وطنه الحبيب فساهم في حركة النشر والتأليف اذ كتب في اكثر صحف البلاد وزاد واسس مشروعاً لعله الاول من نوعه سلسلة (كتاب البعث) الشهرية فضرب بذلك بأقصد سهم في النشاط الثقافي ..

وهناك الى جانب هؤلاء جيل ناشيء من الادباء فيه من العناصر الموفقة كثير ومن المع هؤلاء محمد العربي صمادح صاحب ديوان (أفق) ولو أن هذا الديوان لا يمثله في نظري ومنهم اخوه منور صمادح صاحب ديوان (فجر الحياة) ومصطفى البحري صاحب (ثورة العبيد) . والمنتجون في هذه الفترة كثيرون بعضهم يزود الصفحات الادبية في الصحف كجريدة (العمل) وبعضهم يندفع الى الانتاج الخارجي او الداخلي في غير ريث او تبصر

س – ما هو نصيب الادب ورجاله من حركة المقاومة الوطنية ؟

ج – ان كان المقصود يهدف الى مدى مساهمة الادباء في حركة الكفاح العملية فالجواب سالب، فلست اعتقد ان للادب ورجاله نصيباً يذكر في حركة الكفاح الوطني ففيما عدا بعض العاملين في الحقل السياسي وهم من الشبان الذين نالهم السجن والتعذيب ولهم كفاءات أدبية او بعض رجالات الصحافة الذين يمارسون الانتاج القلمي العادي كالعبيدي والشطي فيما عدا هؤلاء واولئك لا نكاد نظفر بأثر ادبي ذي بال يصح ان نزعم انه مساهمة في الكفاح ولو ان بعض الادباء قد ساهموا باموالهم في تلك الحركة القومية .

اما ان كان المقصود يهدف الى التعريف بمدى ما أعان عليه الأدب في مجال بث الوعي قبل المعركة او تسجيل مراحل المعركة نجد للادباء مساهمة لا تخلو من نقص ومراوغة .. ولكنها موجودة على كل حال .. وفي الحق ان ابرز ادبائنا في هذا الحقل هو امير شعراء الخضراء المرحوم الشاذلي خزنه دار فان شعره سجل واف للحركة الوطنية . فقد كان يوقظ الهمم بمثل قوله :

الحر من لا يستكين لمرهق	فعليك خصمك م – ويحك – تتقي
واصدع بحقك في الاباة ولا تقل	(ان البلاء موكل بالمنطق)
والام تستجدي وحقك بين ؟	شلت يد تمتد للمتصدق

حتى اذا اعتدى بعض المستعمرين على بعض المواطنين سجل ذلك في مثل قوله :

في الجد او في اللعب	ارواحنا في نهب
من حادث لحادث	مستنكر مستغرب
حتى متى والتونسي	مستهدف للكرب ؟
لم يخل يوم واحد	من باعث للعجب

ومن ابرز ادباء الوعي الشاعر الرقيق الهادئ المدني والشاعر الجريء المرحوم سعيد ابو بكر . فقد نجد للمدني قوله في مخمس طويل الذيل يناجي فيه ربه :

تحت جنح الظلام والليل باد	والهزار الأغن في الدوح شاد
ونسيم بين الربى متهاد	قمت ادعو من فوق احدى النجاد

رب حرر بين الشعوب بلادي

وله في قصيد وطني آخر قوله :

هيا فتى الوطن العزيز ، الاستعد	الا انهض فلات حين سهاد
حتى يحق بان تصيح منادياً	(الارض ارضي ، والبلاد بلادي)

اما سعيد ابو بكر فقد كان ايضاً مولعاً بتسجيل الاحداث باسلوبه الساخر اللاذع وعلى ضوء نزعته الانسانية :

جمعية الرفق بالسنور والديك	ماذا عن الرفق بالانسان يلهيك ؟

ونجد في هذه الفترة من الحياة التونسية كثيرين ممن عملوا لبث الوعي اكثر مما عملوا لتسجيل سير الحركة وهؤلاء منهم من لقي حتفه ومنهم من ينتظر ولكن بعضهم قد بدلوا تبديلا فاذا منهم يستحثون المواطنين ايام الحرب العالمية الثانية لمد ايديهم الى اخوانهم .. اجل اخوانهم .. الفرنسيين كما قالوا في قصائد (الاغاثة الوطنية) التي دعي اليها التونسيون ايام حكم الماريشال بيتان في فرنسا، ولو ان الدوافع كانت انسانية لاتجهت الدعوة او تتجه الى اغاثة ابناء البلاد الجياع العراة المضطهدين ولكنها كانت دوافع اخرى لعل بعضهم

اضطراري .. واذا الشعر .. يرسل مثل هذا القول :

جاء الشتاء بفرط القر ملآنا واقبل البرد اصنافاً والوانا
وفي فرنسا ناس من حمائلهم ونبلهم اصبح التاريخ مزدانا
في حاجة لمعونات يقدمها جميعنا لهم آنا يلي آنا (١)

هذا ما كان من جيل الماضي، فلما ان مضت تلك الايام حتى استتر اكثر شعرائه وكتابه .. خجلا .. او رجاة ان ينسى الناس بعض ما سجلوا في ادبهم من مخازي العهد الذي انصرم غير مأسوف عليه .. ولكن قليلا منهم عاد في هذه الايام الى الظهور ، لانها ايام الرخاء .. ومن العجيب انه عاد اقوى وطنية .. واشد حرقة لتسجيل العواطف الشعبية من الوطنيين انفسهم !

والى جانب هؤلاء جيل من الادباء المحدثين عاشوا واقع البلاد وسجلوه. واذا كنا نعد أبا القاسم الشابي منهم فلانه لم يدع لنا مجالا الى عده مع الآخرين، لانه كان شاباً طيلة حياته، ولان شعره احتفظ بجدته وشبابه. وقد اشتهر على السن الناس ادباء وقادة قوله :

اذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر
ولابد للظلم ان ينجلي ولا بد للقيد ان ينكسر

ونجد من المتأخرين مصورين بارعين للواقع التونسي الأليم كالشاعر محمد العروسي المطوي في قصيدة (عيد السجين) التي قالها لما حل عيد الفطر واتون الثورة الوطنية ملتهب والقمع الفرنسي بالغ اشده .. فماذا تكون عواطف الفتى الذي غيبت السجون اباه وهو ينظر الى ابناء الآخرين يرفلون في حلل الزينة ؟

أبي ..
هل تعود
ويزغ في البيت فجر السعود
فقد طال منا انتظار الصباح
وعود البشير بجني الكفاح
وعهد الخلاص
فحتام نبقى – وانت البعيد –
قلوب حيارى وشمل بديد
وكان الخطاب:
(بني ترقب ، وخل الضجر
فما قريب يجيب القدر
وتحلو الحياة
وآتي اليكم بعيد الخلود
فصبراً بني . قريباً اعود)

ونجد بين ادبائنا المعاصرين شاباً يعنى اتم عناية بتسجيل الاحداث هو منور صمادح فقد اخرج للناس قصيداً مطولا بعنوان (الفردوس المغتصب) صور فيه تونس في واقعها واخرج ديوان (فجر الحياة) واكثر قصائده مساهمة في الحياة التونسية الجارية واخرج كتيباً يحمل عنوان (حرب على الجوع) عنوانه دليل موضوعه ومن قصيدة نشرها فيه بعنوان (الثورة)

كم شعوب عبث الظالم بها واستجد العزم فيها واستعر

وانبرى من نشئها مستنهض ينثر الاقوال من فيه شرر
فاذا الذلة عنه باذخ واذا الظالم مغبر الأثر
لاتقل هذا ظلوم ظافر فغدا تصبح انت المنتصر

ولسنا نذكر الكثير مما انتج محمد المرزوقي او مصطفى خريف او علي بن هادية او غيرهم . ولكن لابد لنا من ذكر ما انتج الشاعر الملهم الاستاذ احمد اللغاني في خاتمة قصيدة (الند) قال :

انا الخضراء ما عشت والخضراء دمائي
قد نكرت الذات ما احقر عيشي وفنائي
ما انا ؟ ماذا ارجي ؟ ما قنوطي ما رجائي
قد نكرت الذات ما ذاتي الا محض وهم
ما أنا ؟ لست كياناً ! لست الا بعض قومي

ويذكرني طالع هذا القصيد بنشيد لشاعرنا الفحل الطاهر القصار

أنا للخضراء والخضراء دمي وبها يهتف روحي ودمي
كلما لاح هلال العلم قلت : يا تونس ! دومي واسلمي

على هذا النحو كانت مساهمة الادب – الشعر الخاصة – في حركة الكفاح الوطني. على اننا اهملنا هنا الادب الشعري الحق.. الادب الشعبي المخصب الذي لم نعتد الحديث عنه في مثل هذه المواطن مع ماله من مقام

س – ما هو مستقبل الادب التونسي في رعاية الاستقلال ؟

ج – يبدو ان هذا السؤال سابق عن اوانه كما يقول السياسيون ولعل صلة هذا السؤال بالواقع السياسي له ضلع في استحقاق هذا الجواب . ذلك ان السؤال ينتظر مني ان اتكهن بمستقبل الادب في رعاية الاستقلال وعهده اليوم ما يزال يركز القدم في مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع. اما الادب فما زلنا ننظر اليه كمادة كمالية هي آخر ما ينظر اليه ويعنى به . ومع ذلك لقي الادب في عهد الاستقلال عناية تذكر .

لقد كان من ابرز ما تمخض عنه عهد الاستقلال في تونس انشاء نواة للجيش التونسي واندفع بعض الشعراء، شعراء المناسبات قبل سواهم، .. الى اعداد قصائد عادوا بها الى الميدان بعد انقطاع طال امده .. وأنشدوا هذه القصائد في حضرة زعيم الأمة ورئيس وزارتها الاستاذ الحبيب بورقيبة فكان جوابه عما سمع : (اني لمسرور بمساهمة الشعر في تسجيل هذه الظاهرة الجديدة من مظاهر استقلال البلاد واني لأعد الادباء بأن الحكومة ستهتم بالادب في جملة ما تهتم به من شؤون البلاد .. لأن الادب مظهر لحياة الأمة لا يصح اغفاله)

لكن ما صنع الادباء ليجعلوا من هذا التصريح حقيقة واقعية ؟هل اعدوا مناهج لاحياء التراث التونسي او تقييم الانتاج ؟ .

كلا مع الاسف ولكن الامل ما يزال معقوداً لتلافي الأمر والعذر قد يكون قائما لأن التصريح حديث عهد .

وظاهرة اخرى تشير الى عناية ما من العهد الجديد بالآداب هي اعلان وزارتنا المعارف عن مسابقة لاختيار نشيد وطني قومي . وقد رصدت لهذا الغرض جائزة مالية وعممت حق المشاركة فيها من بين سائر الشعراء العرب .

الى هنا تنتهي وسائل التشجيع الادبية منها والمادية . ولكن الادب لن يعيش للتشجيع فحسب فانه لو اقتصر على ذلك لتقلص ظله وقصرت ايامه وانعدم او كاد . فهل تبدو على الادباء اعراض تبشر بمستقبل باهر زاهر ؟

---

(١) هذه الابيات للشاعر غير المأسوف على وفاته محمود بورقيبة !

السودان

مستقبل الشعر في السودان

في السودان اليوم نوعان من الشعر .. نوع يصنعه سكان الحواضر والمدن ، من هذا اللفيف المتعلم الذي يحسن الكتابة ويجيد القراءة .. ونوع ينشئه سكان البوادي والريف ، اولئك الذين تنطلق السنتهم على البديهة بمكنونات الوجدان وما تجيش به الصدور والنفوس في غير ما تكلف صناعة او افتعال .

فالنوع الاول قيدت المطبعة كثيراً من حريته في التأثير، لأن شعره مكتوب يقرأ بينما ظل النوع الثاني يتمتع بكامل حريته لأنه فقد المطبعة ولم يمارس الكتابة وانما اخذ في انشاء انتاجه من الشعر على مستمعيه بلغته العادية التي يستعملها في حياته اليومية .. ومن هذا الانشاء كان ولا يزال يستمد شاعر البادية او الريف الوحي والالهام .

اما شاعر المدينة فواقع تحت تأثير عوامل كثيرة مختلفة منها الاجتماعي ومنها الاقتصادي ومنها السياسي والثقافي ايضاً .. وهذه العوامل كلها تفصله بعنف عن قرائه فتبعده عنهم لانهم قد يشاركونه نفس العوامل والمؤثرات التي خضع لها حينما كان ينظم شعره . وعليه فبقدر ما عجزت المطبعة عن احكام الصلة بين شاعر المدينة ومجتمعه عجزت الأمية عن ان تفصل شاعر البادية من قطيعه .

ومهما تكن الفوارق بين شعر البادية وشعر الحواضر فكلاهما يتفجران من ينبوع واحد وهو الخيال .. تلك الدنيا السحرية التي يرتفع اليها الشاعر بعد ان يهجر دنيا الواقع الصارم فينتقل الى دنيا من الاماني والامال تختفي فيها المرئيات كادوات جامدة بينما تظل مضموناتها مطبوعة في أعماق النفس والحس والوجدان .

في هذه الدنيا السحرية يتجرد الشاعر من فرديته وينفصل تماماً عن شخصيته فيعيش لحظات تحت أسر الاحساس الباطني الذي يستوي فيه شاعر المدينة وشاعر الريف .. لأن الانسان حينما يحلم يبتعد عن دنيا الواقع الصارم ليقترب من دنيا اخرى جديدة تنعدم فيها الفوارق الاجتماعية التي نشاهدها في دنيا الحياة الواعية

وما دامت الدنيا الجديدة التي يلجأ اليها الشاعر اقل فردية من دنيا الحياة الواعية فان الانتاج الذي يضمنه تجاربه واختباراته وطموحه ويصور فيه اتجاهاته وأمانيه واهدافه لابد ان يجد استجابة عامة تهز اوتار القلوب .. وبقدر ما للشاعر من قدرة فنية على التعبير والتصوير وموهبة بيانية في الدقة والترشيح بقدر ما يجذب اليه القراء والمستمعين فيعيشون معه لحظات في تلك الدنيا الساحرة .

غير ان القراءة كثيراً ما تشوه من سحر هذه الدنيا الجديدة فان القارئ حينما يقرأ قصيدة مكتوبة قد يعجب بها ويهتز لها ، ولكنه يظل مسيطراً على ارادته فلا ينجرف بتيارها ، ولئن فعل وانجرف فما هي الا لحظات يردد فيها ما قرأ فاعجب به .. اما في البادية حيث يستمد الشاعر وحيه والهامه من مستمعيه لانه لا يكتب وانما ينشد ولا يقرأ وانما يرتجل ، فهو لا يلبث ان يرد كل ذلك الى مستمعيه ولهذا يستجيبون له ويتفاعلون معه . ومن جهة أخرى بينما كان شاعر المدينة يعيش في مجتمع بالرغم من انه سيطر على كثير من قوى الطبيعة الا انه انقسم على نفسه فتعقدت علاقاته الاجتماعية ، عاش شاعر البادية بين كتيبته يقاسمها تلك الحياة البدائية البسيطة غير المنعقدة ولا المتناقضة ، عاش في جبهة مع كتيبة بالرغم من ضعفها بالنسبة لمجتمع المدينة وامام قوى الطبيعة الا انها جبهة متحدة ضد جميع هذه القوى .. فهو اذن لا يعمل او ينتج وحده وانما يشترك معه في عملية الانتاج سامعوه .. ولعل هذا هو السبب لانطباع شعر الريف بطابع الجماعية لصدوره عن المجتمع كله ورجوعه اليه كله ايضاً بينما ظل طابع شعر الحواضر والمدن طبقياً لأن منشأه انقسام المجتمع وتفاوت طبقاته اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً وبذا يختلف عمق الاحساس في نفس الشاعر ونفوس قرائه حتى المعجبين به منهم .

اما الشاعر في المدينة فهيهات له ان يبلغ هذه المرتبة من التأثير الا اذا بلغ درجة من الوعي العميق تتكشف عندها مخزونات الاحاسيس التي تموج بهـا نفوس الملايين .. فالوعي وحده هو الذي يعين شاعر المدينة على تفهم اتجاهات المجتمع المصطرع الذي يعيش فيه .. ولما كان الوعي عبارة عن انعكاسات العقل في تصوراته اللانهائية كذلك كان هذا الوعي نفسه هو الاداة السحرية التي يستمد منها الشاعر الوحي والالهام .. وكلما انتشر هذا الوعي بين جماهير القراء وتعمق كلما تفتحت نفوسهم المغلقة لقبول تعاليم الشاعر ومثله العليا واتجاهاته .

ومهما يكن من شيء فان الوعي الملاحظ نموه وانتشاره اليوم بين سكان المدن السودانية هو الذي انتج شعراء مجيدين استحقوا التقدير كالشاعر جعفر حامد البشير فلنستمع اليه حين يقول :

اخي يا اخي لن نيأسا
اذا ما الزمان علينا قسا
فكفكف دموعك واعمل معي
فلا نفع يا صاح للأدمع
فناضل وسر يا اخي واسرع
لنسكت فرقعة المدفع

اخي يا اخي لا تمل العمل
وناضل أخي وابتسم للامل
وكن يا اخي بغد مؤمناً
سنخرجهم في غد من هنا
فيوم علينا ويوم لنا
ولكن سنبقى هنا وحدنا

*

اخي فلنكافح يداً في يد
رباط كريماً اخي سرمدي
رباط الكفاح رباط الهدى
يد صافحت في حلال يدا
وليل توارى وفجر بدا
وزهر ترقرق فيه الندى

هذه الحيوية التي تنبض بها هذه الابيات القليلة وهذه العاطفة الواعية التي تنبعث من خلال العبارات قوية رائعة وهذا الاحساس العميق الذي تفيض به بتعاليم الشاعر فتكشف عن دقة معرفة الشاعر بحاجيات المجتمع الذي يعيش فيه ؛ كل اولئك هي رؤوس الخيوط المجتمعة التي تقودنا الى ان الشعر في السودان بدأ يدخل في عهد جديد وينتظره مستقبل زاهر فسيح .. فبعد ان كان الشعر عندنا يغلب عليه الجانب الوجداني الفردي كشعر النسيب والغزل بدأ اليوم يفتق آفاقاً جديدة تتجمع فيها الملايين وترتبط .. وبعدان كان الشعر يفيض بالبكاء والدموع والرياء كشعر المراثي والمدح الذي ملت الانسانية سماعه بدأ اليوم ينشيء مجتمعاً جديداً ينعدم فيه اليأس وتجف فيه الدموع فتهرع الملايين الى البناء والتعمير مدفوعة بدافع الامل المقرون بالعمل .. وبعد ان كان الشعر يفرق بين الكتل حيث يثير في النفوس الضغائن والاحن والاحقاد كشعر الفخر والحماسة اخذ اليوم ينتظم جميع الايادي في رباط موحد صلب هو رباط الكفاح الذي يعمق في النفوس عواطف الاخاء ويوحد من ارادتها .

الخرطوم **حامد احمد حمداي**

الكتابة العربية

– تتمة المنشور على الصفحة ١٧ –

كالمستظهر بالله والمسترشد ومن الوزراء كهبة الله بن حسن صاحب الديوان والقاضي نجم الدين احمد بن الريس الدمشقي والبوصيري صاحب البردة، ومن النساء زينب الملقبة بشهدة الدينورية وقبلها لبني كاتبة الخليفة المستنصر وقبلها حفصة بنت عمر ام المؤمنين مما يدل على ان العناية بالخط كان لها تاريخ في القديم الى ان وصلت الى الزمن الحديث، فوجدت من كبار الخطاطين مثل عبد الله زهدي الذي علم في المدرسة الخديوية زمن اسماعيل والمهندس علي لطفي في الزمن الاخير ومصطفى السباعي الدمشقي ومحمد مؤنس وغزلان والرفاعي وبدوي ويوسف احمد وسيد ابراهيم والمكاوي ونجيب هواويني ومحمد مرتضى وحسني ممدوح الخطاط الدمشقي ومحمد طاهر المكي الكردي الذي أرخ للكثيرين من الخطاطين وغيرهم وغيرهم ممن يذكرون على سبيل المثال، ولا اريد ان افصل تاريخ الخطوط العربية وتطوراتها ومن خدموها منذ بدء الاسلام حتى الآن، لكني اريد ان اشير الى ان الخط الكوفي هو الخط القريب للخطوط العربية وان تعددت صورها الى نحو ثلاثين صورة في عهود الاتراك. وهذا الخط المبارك اعيد انعاشه في زمننا الحديث نظراً لحاجات الفن الزخرفي ووسائل التجميل لانه قابل للمطاوعة الزخرفية ومرجع الفضل في بعثه واحيائه الى لجنة الآثار العربية المشكلة في مصر في اواخر القرن التاسع عشر، حين بدأت في دفع عاديات الايام وما افسده الزمن من خطوط المساجد وزخارفها، وكان احد موظفيها من الرسامين والخطاطين هو المرحوم يوسف احمد فكان في مواهبه وفي تعيينه في لجنة الآثار احياء لهذا الخط الزخرفي العظيم الذي تعلم قواعده ومرن عليها من جدران المساجد وشرفات نوافذها في مساجد ابن طولون والازهر والحاكم والسلطان حسن والغوري وفي شواهد القبور حتى اذا مكنته عبقريته من فك رموزها ومن استلهامها في التحسين ارادته الدولة على ان يكتب الأوسمة والرواسم والخواتم كما ارادته على تدريس الخط الكوفي بمدرسة تحسين الخطوط منذ اكثر من ثلاثين عاماً. ودعت حاجات العصر الحديث والاضاءات الكهربية الى استلهام الابتكارات والتجويد فظهر الى جانب يوسف احمد في مصر امثال محمود خاطر، ممن نزعوا الى اتقان الخط الكوفي وتزويده بالوان التحاسين، ومن اراد المزيد في تاريخ الخطاطين فعليه بكتاب محمد طاهر بن عبد القادر المكي الكردي الخطاط وهو مطبوع في مصر.

والخلاصة مما تقدم ان الخطوط العربية الكثيرة وان لم تكن معروفة قبل الاسلام وكانت غير مضبوطة عندهم بالنقط والشكل فان الاسلام زاد في الخط وحسن ونشر فتفرعت منه الفروع وضبطت وانتشرت في البلدان المعروفة بالعالم العربي، ويعد سكانها باكثر من سبعين مليوناً، وفي البلاد الاسلامية التي لاهلها لغات غير العربية وهي بلاد تمتد من تركستان الصينية الى غربي الآستانة والبحر الاسود وفي البلاد التي تمتد ما بين شرقي الهند الى غربي السند ومن اعالي جبال هملايا الى جنوب شبه جزيرة الدكن وفي البلاد التي تشمل هضبة ايران وفي بلاد افريقية من شمالها وغربها وشرقها واواسطها. وبالجملة تصل اللغات التي تكتب بالخط العربي الى نحو ثلاثين لغة، وباضافة اللغة العربية الى هذه اللغات يقدر عدد الكاتبين بالخط العربي الى ٢٤٠ مليوناً. فهي كتابة كل بلد انتشر فيه دين الاسلام، فخلع على هذا الخط قداسة الدين وقداسة الانتشار، مما يجعله متميزاً عن الخط اللاتيني الذي ليست له قداسة دينية.

وعلى رغم ذلك كله، وعلى رغم ما استعمل في تحسينه وتطويره وتزيينه من الجهود في مختلف الاجناس والعبقريات والعصور جاء من دعا الى تغييره، فمنهم من قالها مهموسة ومنهم من قالها معلنة جهيرة. وكان المرحوم عبد العزيز فهمي اظهر من دعا الى تغيير الخط بالكتابة اللاتينية، وهو رجل ضليع في قوة الحجة، شجاع في ابداء الرأي، صادق في حسن النية، وله مكانته بين ذوي العلم والحجى؛ ومع ذلك فان دعوته على روعة بيانها وقوة سلطانها لم تلق من قبول.

ولم تحل سنة ١٩٤٤ حتى رأى المجمع لامكان المناقشة في اقتراح الداعين الى تغيير صورة الخط العربي المألوفة ان يطبع كل ما قيل حول هذا الموضوع من مناقشات الاعضاء

ومقترحاتهم وان يضع جائزة مقدارها الف جنيه لاحسن اقتراح يقدم لتيسير الكتابة العربية ، وكان آخر موعد للاستباق سنة ١٩٤٧ ، فتلقى المجمع من المقترحات ما يربي على المائتين وفي سنة ١٩٥١ الفت لجان فنية من المختصين في الخط والطباعة من غير اعضاء المجمع لتتولى دراسة المقترحات التي صنفتها اللجان الى اصناف فكان منها ما يقوم على اساس الحروف اللاتينية ومنها ما يقوم على اساس الحروف العربية مع اضافة زوائد للضبط زيادة على الحركات ومنها ما يتخذ حروفاً ورقوماً تبدو كأنها جديدة ومبتكرة ، ولا اريد ان ازيد في التفصيل ، فتلخص قرارات اللجان عن المقترحات ينتهي الى انها جميعاً لم تحقق التيسير المنشود ، واتفق على الغاء الجوائز ، ولولا انفساح صدر المجمع المصري وتقديره للتوسع في حرية الرأي والسخاوة بالامهال والاناة لكان لزاماً عليه ان يطرح هذا الموضوع وكان لزاماً على اللجنة ان تلغي نفسها . واخيراً في سنة ١٩٥٥ بعد ان تلقت اللجنة طائفة من مقترحات اخرى متشابهة لما سبق تقديمه من مقترحات لاحظت ان اقوم المقترحات بين اقدمها واحدثها يلتف حول الاكتفاء بصورة واحدة للحرف مع ادخال تحسينات شكلية . فوكل الى الاستاذين محمد علي المكاوي الخطاط وشفيق متري الخبير بالطباعة ان يقوما بتجربة تلك الصورة المحسنة فقدم خبير الطباعة نموذجاً من الكتابة العربية على جهاز الصف الآلي اختصرت فيها صور الحروف الى نحو ١٩٠ حرفاً بالشكل التام بعد ان كانت تربو على ضعف ذلك . وقدم خبير الخط نموذجاً لطريقة الاكتفاء بصورة واحدة للحروف مع وضع مدات صغيرة لوصلها وعلامة تدل على انتهاء الكلمة .

ومع ما لهذه الطريقة من محاسن كدستور يجب مراعاته ، فان الكتابة بين مختلف انامل الناس لابد ان تتسم بخصوصيات تندبها عن الدساتير المثالية ، وكلما ينشد الا تنأى الخصوصيات عن دستورها شوطاً بعيداً .

واحدث ما كان في هذا الموضوع ان المجمع تلقى من الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية نبأ بتأليف لجنة بتيسير الكتابة قد حدد لها شهر مارس الماضي موعداً لاجتماعها . وقد جمعت بين ممثلين للبلاد العربية والمجمع ، واشترك فيها خبراء الخط والطباعة وانتهت هذه اللجنة المشتركة الأخيرة الى ما يلي من قرارات :

١ — يترك الآن موضوع البحث في الكتابة اليدوية ، فتبقى على ما هي عليه فهي موجزة مختزلة ويمكن تشكيلها عند الضرورة .

٢ — الاختصار الآن على تيسير حروف المطبعة والآلة الكاتبة باختصار صور الحروف والاستغناء عن المتداخل منها والمنتظر .

٣ — يلتزم الشكل في الطباعة وتشير اللجنة بالبدء بالتزام ذلك في كتب التعليم في مراحل التعليم العام .

٤ — يوضع النقط في موضع ثابت نفياً للاشتباه .

٥ — يوضع الشكل في موضع ثابت ، وايضاً يراعي فيه الفن الخطي بحيث لا يكون السطر افقياً ولا بأس بان يمتد في الطول قليلا .

٦ — توضع علامات الدلالة على اصوات الحروف التي لا مقابل لها في العربية ويطلب الى لجنة اللهجات بالمجمع دراسة هذا الموضوع وتقديم المقترحات فيه .

٧ — اقترح ان يطلب الى الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية ان تدبر ما يلزم من التكاليف لتطبيق الطريقة المقترحة لتيسير الكتابة واجراء تجاربها الفنية لادخال التعديلات عليها تمهيداً لوضعها في الصيغة المقبولة .

٨ — ابلاغ قرارات اللجنة الى الادارة الثقافية حتى تكون هذه القرارات موضع النظر في مؤتمر المجامع (المنعقد الآن بدمشق) وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً .

ايها السادة :

بعد بحوث طويلة ومضنية كانت بدايتها منذ ستين عاماً او اكثر حين انفق سفير ايران في لندن مالا طائلا لتركيب حروف عربية منفصلة وطبع بها بعض النصوص من اقوال الامام علي وكلوستان ، وبعد دعاية ملحة لها ، فانها باءت بالفشل . وفي سنة ١٩٣٦ وجد من اراد ادخال حروف منفصلة ودعا لها على صفحات المقطم ولم يكتب لدعوته النجاح . وفي مجمع مصر توافدت المقترحات التي تزيد على المائتين ودرستها لجان فنية وغير فنية ، وبعد ذلك كله لم يفضل شيء على ما جرى العرف به الا في امور ثانوية تنفيذية هي كل ما انتهت اليه المحاولات من النتائج المعقولة المقبولة .

ان في تقدم الطباعة منذ دخلت المطبعة قبل اكثر قرن من ايام السلطان احمد الثالث وفي تحسين شكل الحروف وفي ذوق

الخطاطين القائم على سنة مستقرة وفي دقة الالوان ووضع الشكلات وتنسيق النقط ما يغني في تعطيل كل اقتراح لتغيير الحروف وصد ذلك التيار . ولعل في سريان التعليم ورسوخه بوسائل الايضاح المستحدثة ومختلف وسائل النشر والاذاعة ورفع مستويات المطابع الكبرى في البلاد العربية وتنمية امكانياتها—لعل في كل ذلك ما يجعل القول في مشكلة الكتابة او الحروف ضرباً من اللغو والسرف .

ايها السادة .

ان للكتابة العربية ماضياً حافلا طويلا يرجع عهده البعيد الى نحو ثلاثين قرناً — وعهده القريب الى نحو النصف من هذا المدى . فضلا عما للخط العربي من مزايا الاختزال وحسن التشكل الهندسي دون فقدان لجوهره وفي الجاذبية الرائعة الاخاذة عند تجويده بوحي الفن الجميل ، بل في ما ابتدع من علاماته ورقومه لتجويد النطق من تفخيم وترقيق بل بما تأسس على اوضاع الحروف العربية وعلى صورها من معارف وفنون تدخل في تاريخ الكد الذهني البشري ولولم يعمل بها الآن . بل بوفرة عدد الحروف العربية التي توسع المجال لوضع الكلمات ونفي ما يقع بينها من اشتباه.ولقد صدق الكندي احد مفكري العرب في القرن التاسع حين قال : لا اعلم كتابة تحتمل من تحليل حروفها وتدقيقها ما تحتمل الكتابة العربية ويمكن فيها من السرعة مالا يمكن في غيرها من الكتابات.

ابعد ذلك التاريخ الطويل ، وبعد تلك المزايا للكتابة العربية يهون على عربي ان يستبدل بها غيرها ؟

اني لا احب ان استبيح لنفسي تقدير سوء القصد ولا ارمي به احداً ممن نزعوا الى تغيير الخط العربي او ينزعون بعد ان مر باطوار عديدة حتى بلغ الاوج منها .

لكني استبيح لنفسي ادعاء مجانبة التوفيق لمن دعوا تلك الدعوة .

بقي علي بعد ما تقدم ذكره ان اقترح على المؤتمر والمهتمين باللغة العربية ان يبعثوا الى جامعة دولها برجاء استنهاض همم حكوماتها للمزيد من العناية بالخط العربي في مختلف مدارسها.

ان المستقبل المرموق يربطنا بما لنا من ماض عزيز كريم ، والامم التي لا تحتفظ بطيب ماضيها تنساق الى مستقبل مضطرب لا يشد الى قرار ، فمصيره الى خواء. ايها السادة : لعل في الخوض ، فيما لا جدوى فيه فتنة وبلاء وتعكيراً للصفاء ، اللهم قنا شرور الفتن ، انك ارحم الراحمين .

منصور فهمي

يسروا النحو والكتابة

– تتمة المنشور على الصفحة ٦ –

المكان القلق ، انما احب واحب للمواطنين من العرب ان يكونوا ايقاظاً لا نياماً وان لا يؤخذوا على غرة . وان لا ينظروا ذات يوم فاذا هم يدرسون ويجتهدون ويجدون ويكدون لأنفسهم لا للشعوب ، لابد اذن ان ننظر في هذا كله وان ننظر فيه نظرة الشجعان الذين يواجهون الحقائق ولا يستخذون منها ، ونظرة الناصحين الذين لا يريدون ان يستأثروا بالعلم دون العامة ودون الشعب ، وحسب الدنيا شقاء ان يكون المستأثرون بالمال والمستأثرون بالحياة المادية ، وشر الاستئثار هو الاستئثار بما خلقه الله ليكون شائعاً بين الناس جميعاً وهو العلم والمعرفة والثقافة ، لا ينبغي لعلماء اللغة العربية ان يؤثروا انفسهم بالعلم العربي ، بل يجب عليهم ان يشيعوه ، ولا ينبغي عليهم ان يظنوا انهم حين ينشرون كتاباً من كتب القدماء يشيعون حقاً . فالكتاب لا يشاع الا بين الذين يستطيعون ان يفهموه ، ويتصرفوا به . سلوا انفسكم كم عربياً قرأ هذا الكتاب او ذاك من كتب الجاحظ ! سلو انفسكم كم عربياً قرأ كتاب البخلاء .. او كتاب التربيع والتدوير ؟ وما شئتم من الكتب القديمة التي نقرأها فنجد فيها المتعة ، والتي يقرأها بعض المستشرقين فيجدون فيها المتعة .. سلوا انفسكم كم عربياً قرأ هذه الكتب ؟ .. قرأها العلماء واشباه العلماء وطلاب العلوم العالية ، فاما ملايين العرب فلا يعرفون عنها شيئاً واعرف قوماً اذا ذكرت لهم هذه الاشياء هزوا رؤوسهم ورفعوا اكتافهم ، واستهزأوا من ذاكريها .. وقرأت ذات يوم في الصحف من ينكر على دار الكتب نشاطها في مصر ، وقال ان هذه الدار لم تطبع الا كتاباً واحداً وهو كتاب « الفاضل » لابي يزيد المبرد ، ينشر هذا ايها السادة في صحيفة يومية ، كتاب الفاضل لابي يزيد المبرد ، هذا الكاتب ينشر والصحيفة التي نشرت له لا تعرف ان المبرد يسمى « ابا العباس محمد بن يزيد » وانما يجعله ابا يزيد المبرد والكتاب لا يسمى – الكامل بل يسمى – الفاضل – وعلى هذا النحو .. وبالطبع فوق كل ذى علم عليم .. وقد يكون للمبرد كتاب يسمى الفاضل ولكني اعترف انني لم اقرأه ولم اسمع به قبل اليوم

ليس من شك في اني إذ اتحدث في هذا كله ، اتحدث الى فريقين من الناس ، اتحدث قبل كل شيء الى العلماء الذين يستطيعون الخير ولكنهم لا يقدمون عليه ، ثم اتحدث الى الشباب المتعلمين الذين من حقهم ان يطالبوا العلماء ان ييسروا لهم لغتهم ، وبأن لا يباعدوا بينهم وبين عروبتهم. ولا شك ولا يجد الشك الى نفسي سبيلا بان الحكومات العربية اذا قال لها العلماء هذا هو النحو الجديد الميسر الذي يلائم عقول الشباب في هذا العصر ولا يمس جوهر اللغة العربية من قريب ولا من بعيد ولا يغير من طبيعة اللغة العربية شيئاً وان يتقنوها وان يتكلموها وان يقرأوها وان يفهموها ، لا شك مطلقاً بان الحكومات عندما يقدم اليها العلماء هذه الكتابة اليسيرة لن تتيح للشباب ان يقرأوا قراءة صحيحة ويفهموا فهماً صحيحاً ويجعلوا اللغة جزءاً من قلوبهم ويجعلوها جزءاً من حياتهم اليومية لا لغة متكلفة يتكلفونها ان استطاعوا ان يتكلفوها في اوقات الحاجة ، اذا قدم العلماء هذا كله الى الحكومات فانا مطمئن كل الاطمئنان الى ان جميع الحكومات العربية لن تتردد في اقرار هذا النحو وفي اقرار هذه الكتابة وفي اشاعة هذا النحو في المدارس وفي اشاعة هذه الكتابة ايضاً .

ولقد رأيت مرة كتاباً من كتب المطالعة في المدارس الابتدائية عندنا في مصر طغت عليه (البداغوجيه فويل لنا من البداغوجية) فزعمت ان اللغة العامية قد تكون ايسر لافهام الصبية ، فادخلت بعض الجمل وبعض الالفاظ العامية في هذا الكتاب فلما تحدثت في ذلك الى وزير التربية والتعليم لم يتردد في ان يعدني بالنظر في تلك الثورة. فقدموا ايها السادة العلماء ، والحديث هنا موجه الى مجامعنا الثلاثة التي تأتمر الآن في هذه العاصمة العربية ، قدموا ايها السادة العلماء الى الحكومات كتابات ميسرة ونحواً ميسراً وقربوا لغتكم من الشعوب وثقوا بانكم ان فعلتم فستبلون بلاء خيراً من البلاء العظيم الخطير الذي ابلاه نحاة البصرة والكوفة وبغداد في العهد القديم .

طه حسين

صندوق البريد

فوضى التأليف

أمامي مؤلف سماه صاحباه (جغرافية الوطن العربي) نشرته مكتبة ربيع بحلب ومؤلفاه هما عبد العزيز عثمان ليسانس في الحقوق والآداب من جامعة باريس ودبلوم في الآثار ، ومحمد التقى عبد الرحمن ليسانس في الجغرافيا من جامعة الاسكندرية ودبلوم معهد التربية العالي .

والكتاب يقع في اربعمائة صفحة من القطع المتوسط ؛ وقد تعرض فيه مؤلفاه لعموم جغرافية البلدان العربية السياسية والاقتصادية والطبيعية ، وجاءوا فيه باحصاءات جمة ومصورات كثيرة .. وانا لايعنيني من هذا المؤلف سوى عشر صفحات تعرض فيها لجغرافية شبه الجزيرة العربية السياسية والأقتصادية والطبيعية والمملكة العربية السعودية من حيث تقاسيمها واقتصادياتها وسكانها .. الخ وهذه الصفحات العشر تعنيني لاحاطتي بها وادراكي لها الادراك التام مما جعلني اتابع قراءتها بدقة وامعان واعجب من وقوع المؤلفين فيها باخطاء فاحشة وكثيرة ما كان يظن بمثلهما ان يقعا فيها هذا رغم تأليفهما لثمانية كتب في الجغرافيا العربية وتحملهما امانة تثقيف النشء في هذه المادة وقولهما في مقدمة هذا الكتاب : « رأينا حاجة الجيل الصاعدة والتعلم الى كتاب يعرفهم بوطنهم وثرواته وامكانياته .. فوضعنا هذا الكتاب آملين ان يقدم لهم ما يحتاجون اليه من معلومات عن وطنهم العربي .. »

والحق انهما لم يقدما للنشء ما يحتاج اليه عن وطنه ، ولم يعطياه الا معلومات بعضها خاطيء تمام الخطأ وبعضها مشوش وقليلة هي المعلومات الصحيحة التي تعطي الشباب العربي صورة صادقة عن وطنه ما دمنا نجد في هذه العشر الصفحات فقط ما ينوف عن عشرين خطأ جوهرياً فكيف بالكتاب في مجموعه ؟ !

انها خيبة الأمل ومشكلة الثقافة العربية ان يقدم مثل هذين الاستاذين بشهاداتهما الكبيرة وتآليفهما الكثيرة على مثل هذا العمل المشوش ! ! وان نرى النقد العربي في سبات عميق حتى فيما يتعلق بتثقيف ناشئته عن جغرافية بلاده ! !

وها هي بعض الاخطاء التي وقع فيها المؤلفان :

١ – جاء في صفحة ٣٠٠ – وهي الصفحة الأولى من العشر – في اثناء حديثهما عن جبال جزيرة العرب ذكر بلاد (عسير) فاوردا الاسم مغلوطاً اذ ادخلا عليه الالف واللام فقالا : (العسير) ونحن نعرف لغة ان الالف واللام لا تدخلان على الاعلام الا ما سمع من ذلك عن العرب .

٢ – كررا لفظ (النفود) بالدال المهملة ، كرراه بالذال فقالا : (النفوذ) بالذال المعجمة وهو خطأ لا مبرر له .

٣ – قالا في صفحة ٣٠٣ مثل وادي سينا في جنوب اليمن . ونحن لم نعرف هناك وادياً بهذا الاسم ويجوز انهما ارادا وادي سبأ :

٤ – وجاء في نفس الصفحة قولهما : وبعض الوديان في عمان والهفوف .. الخ والهفوف لم يكن فيه وديان البتة ، بل هو منخفض من الارض تتخلله الرمال والوهاد خلا المعمور منه بالنخيل والزروع .

٥ – وجاء في صفحة ٣٠٤ ما نصه : كل سكان الجزيرة العربية مسلمون ما عدا بعض اليهود في اليمن وبعض مدن الحجاز التجارية . وانا اتحدى المؤلفين ان يثبتا وجود يهودي واحد في احدى مدن الحجاز او في المملكة كلها . ولا ادري اي مصدر اعتمداه في اثبات هذا الخطأ الا ان يكونا استعملا الحدس والتخمين وهذا ادهى وأمر ! !

٦ – وفي نفس الموضع جاء : ولكن المذاهب تتعدد . فالحجازيون سنيون والنجديون وهابيون ، واليمنيون يزيديون وينتشر الشيعيون والخوارج على ساحل خليج فارس ..

وهذا من افحش ما وقعا فيه فكأن الوهابيين على زعمهما مغايرون لأهل السنة ومنتحلون لمذهب جديد يباينهم وما علم حملة الليسانس ان الوهابيين هم اهل السنة وان مذهبهم مذهب الامام احمد بن حنبل امام السنة ، وانهم الذين احيوا كتب السلف وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم بطبعها وتوزيعها مجاناً ، وانهم الذين طبقوا سنة نبيهم في القضاء على البدع والخرافات والذبح للاموات والطواف بالأضرحة وما الى ذلك مما درج

عليه كثير من الأغرار ونفايات هذه الأمة .. فمن السنيون اذاً ؟!

وفي قولهما: واليمنيون يزيديون أخطاء؛ اولها انه لاوجود لطائفة في اليمن تسمى اليزيدية . وثانيها انهما لم يفرقا بين النسبة الى زيد والنسبة الى يزيد . فالطائفة التي في اليمن زيدية نسبة الى زيد لا يزيدية نسبة الى يزيد بل ان الزيديين يلعنون يزيد لانهم احد طوائف الشيعة وقصة يزيد مع آل البيت معروفة . وثالثها ان اهل اليمن ليسوا كلهم زيدية بل فيهم شوافع وفيهم اباضة وفيهم غير ذلك .

وفي قولهما على سواحل خليج فارس خطأ ايضاً فالوعي العربي لم يعد يسميه خليج فارس لتتشبث بهذه التسمية ايران فتطالب بضم البحرين واشباهها اليها بل هو الخليج العربي ليكون اسماً على مسمى !

٧ – اعادا الكرة في دخول الألف واللام على الاعلام فقالا في صفحة ٣٠٥ عن (حائل) : (الحائل) ولا ادري ما الذي حدا بهما الى ذلك ! ؟

٨ – قالا عن جدة ان عدد سكانها ٥٠ الفاً وهذا العدد يصح ان يكون سكان حي واحد من احياء جدة الكثيرة ولكنهما درجا على ان ينقلا بعض هذه المعلومات من كتب اكل الدهر عليها وشرب ولا يصح ان يعتمد عليها من يريد التحقيق

٩ – اذا درجنا مع المؤلفين على ان سكان مكة ٥٠ الفاً وسكان جدة ٥٠ الفاً وسكان الرياض ١٥٠ الفاً وسكان بريدة ٣٠ الفاً وسكان غبرة ٢٥ الفاً وسكان الاحساء ٣٠ الفاً يتحصل معنا من مجموع هذه الارقام ٣٣٥ الفاً اي ما يزيد قليلا عن ثلث المليون لكبريات مدن المملكة وعاصمتها فاين الستة الملايين التي اثبتاها عدداً لسكان المملكة او السبعة والنصف كما جاء في هامشه ٣٠٦ ؟! اليس هذا خبطاً يستدعي الأسف؟ ان هذه الارقام التي اثبتاها ذكرها بعض المؤلفين عن المملكة منذ ثلاثين عاماً او اكثر . فهل يزيد المؤلفان ان يعطيا النشء فكرة صادقة ام كاذبة ؟!

١٠ – قالا عن غبرة انها تقع شمال بريدة والصحيح انها تقع جنوبها !

١١ – وقالا عن الظهران انها تحيط بها منطقة زراعية اصلحتها الشركة لتموين المدينة بالخضر والفاكهة . وهذه دعاية جديدة للشركة قد تكون مقصودة وقد لا تكون مقصودة ، فهذه المنطقة الزراعية لا وجود لها الا في اذهان المؤلفين ! فان الشركة التي يفرض فيها ان تقوم بمثل هذا العمل قد عكست القضية واعتمدت ان تجلب جميع ما تحتاجه من الخضروات والفواكه واللحوم وجميع الحاجيات من امريكا بلادها الأم وكانت اكبر سبب في تعطيل الفلاحة في تلك المنطقة ..

١٢ – وقالا عن القطيف انها اكبر مدينة على الخليج (الفارسي !!) شمال الظهران . والصحيح ان اكبر مدينة شمال الظهران هي الدمام لا القطيف !

١٣ – قالا عن تقاسيم المملكة ١ – نجد وتنقسم الى مقاطعة نجد والقصيم وجبل شمر . فما الذي تفهمه من هذا التقسيم ؟ الا يدل هذا الكلام على ان القصيم وجبل شمر مغايران لنجد ؟ وهما يريدان ان يقولا ينقسم نجد الى العارض والقصيم .. الخ فاخطأهما التوفيق !

١٤ – رددا لفظ (أبها) بكسر الهمزة وهو خطأ واضح.

١٥ – وقالا عن عسير انها تشتهر بزراعة التمور وعسير لم تكن يوماً من الأيام منتجة للتمور فمن اين تلقيا هذا النبأ ؟!

١٦ – وقالا عن الذرة البيضاء انها غذاء رئيسي في الملكة وهذا خطأ من اخطائهما الكثيرة .

١٧ – ورددا اسم مدينة (الخبر) بهذه الصيغة (الخوبار)

١٨ – وقالا عن رأس تنورة انها بالاحساء على الخليج الفارسي بعد ان قالا ان الزيت يصدر الى لبنان (والخوبار) والدمام . واقول لهما ان القطيف والدمام والخبر والظهران تفصل رأس تنورة عن الاحساء :

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يجتمعان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

١٩ – وقالا عن المملكة انها تصدر الحيوانات والصحيح انها تورد الحيوانات لا تصدرها . الم اقل لكما انهما يتكلمان عن المملكة منذ ثلاثين عاماً ؟!

٢٠ – وقالا ان الحكومة قد انشأت مطاراً في مكة ويمكن ان هذه رؤيا رأياها جميعاً في نومها المبارك فدوناها لأن رؤيا المؤمن حق ! والا فمكة لا مطار فيها !!

هذه بعض الاخطاء التي احتوت عليها عشر الصفحات من هذا الكتاب المبارك وكم في الزوايا من خبايا . !

بيروت **عبد الله بن خميس**

حول «الوفـــاء المر»

كتب السيد الفاضل الاستاذ «عبد العزيز عبدالفتاح» في عدد الآداب السابع «يوليه» من سنتها الرابعة، نقداً لكتاب «الوفاء المر» وهو مجموعة قصص ومسرحيات. وحين تنتهي من قراءة نقده تخرج بأن الأستاذ الناقد لا يعرف عن النقد «الموضوعي» الا انه اغفال للميزات، وتشويه للسمات وتجاهل للأفكار، والتواء لأهداف بينة لا تستعصي على قارئ بادئ، فضلا عن ناشئ. ! وتخرج — كذلك — من نقده — مع الأسف الشديد — انه بدهيات كثيرة تتصل بالفن القصصي. تغيب عن سيادة الناقد ؟ كما تلاحظ من قراءة النقد او المقال — لست ادري بماذا اسميه. ؟ — تلاحظ في مقاله «متناقضات» «ومغالطات» «وسرق كلام» «وحشد أحكام». ؟

فمن «متناقضاته» أنه يقول في بدء كلامه: «والحق ان هذه المجموعة غنية بالمضمون» ويقول بعد ذلك مؤكداً «ان الأستاذ محمد لقمة يحدثك عن مشاكل كثيرة: عن البطالة وهي مشكلة المجتمع الحديث. عن التشرد. عن الخير والشر الخ، ويضع امامك صوراً تاريخية عن الوفاءالخ» وبعد ان يكرر ذلك ويؤكده يتناقض مع نفسه، ويتعارض في رأيه. ويذكر أن «العيب الثاني الذي تتميز به هذهالمجموعة هو ما يمكن ان يسمى باتساع الرقعة». ؟ فكيف تنفى ما اثبت اولا ايها الفاضل ؟؟

الجواب ان هذا من «المتناقضات». ؟

ومن «متناقضاته» كذلك انه يعيب المجموعة بأنها ذات «جمل، متلاحقة، موسيقية الايقاع. على طريقة «الزيات» كما يعيب ابطال المسرحيات لأنهم يتحدثون «بمثل هذا الكلام المنمق، والتأملات العالية» في حين انه يقرر في عيبه الخامس: «ان كاتب يكتب قصصه بأسلوب جامد، والفاظ متحجرة». ؟ فكيف تكون للأحجار موسيقى ؟؟ وكيف يكون في الجمود ايقاع ونغم ؟؟؟ الحق ان هذا ايضاً من «المتناقضات» ومن «مغالطات» السيد الفاضل انه يعيب المسرحية الأولى وهي «الوفاء المر» بقوله عنها انها مجرد خبر تسمعه ولا تتأثر به. ويلخصها بقوله: — انها قصة شاب عربي يدعى «صمصام» خرج، فشاهد شاباً أسبانياً يقاتل آخر عربياً، فتدخل في الأمر ولكن الشاب الأسباني انتهز فرصة قتل فيها «صمصاماً»، وفر هارباً، ولجأ دون ان يدري الى شيخ عربي خوفاً من مطاردة اصدقاء «صمصام»، وظهر أخيراً ان هذا الشيخ هو بعينه والد القتيل، فهل ينتقم لولده من ضيفه ؟ ام يعفو عنه حرصاً على وفائه ؟ ثم يؤكد تفاهة القصة اذ يقول: «انك لو قرأت القصة لما احسست بأي انفعال اكثر مما تقرأ هذا الخبر» يقول هذا متجاهلا: كيف عولجت المسرحية ؟ وكيف استخدمت في بنائها الأجواء المناسبة، والأطر الفنية الملائمة لها ؟ ويتجاهل مع ذلك: كيف ظهرت الانفعالات التي صاحبت التجربة ؟ ويغالط في كل هذا منكراً افتتاحيةالمسرحية فأزمتها، فالانقلاب، فالاكتشاف. ؟؟.. ولعل الأخ الفاضل يذكر تلك الليلة التي مثلت فيها «الوفاء المر» وكان هو ضمن ثلاثة آلاف من النظارة يشاهدونها ولعله يذكر اثرها في نفوس الجمهور، ووجوههم، بل وعيونهم ؟؟ الواقع ان الأخ ما يزال يذكر كل هذا. وما يزال يذكر انه كان من المعجبين ؟. ولكن.. لماذا ينكر هذا ؟؟ هذا مالا أفهمه. ؟ ولا اريد ان افهمه ؟؟.

وليس ذلك كل نقده للمسرحية هذه. بل انه ينتقد الموضوع ذاته، التي تتضمنه المسرحية. ولماذا يا أخي الناقد ؟ «لأنها افتعال لتجارب مضرة بالواقع العربي الحديث» وهو من أجل ذلك ينفى افادتها في هذا العصر. ولكني اسأل السيد الفاضل: — أية تجارب مضرة تعنيها ؟ أإظهار مفاخر العرب وأمجادهم، ومثلهم العليا من نجدة، وانسانية، ووفاء أمام العالم العربي والغربي، وأمام الصهيونية الغادرة الكافرة بمثلنا وقيمنا. أقول: أإظهار ذلك كله افتعال لتجارب مضرة بواقعنا العربي الحديث ؟ العكس هو الصواب يا أخي.. ان امثال هذه المسرحية يزجى لهم لوناً من الوفاء لا يعرفونه، ويهدى للعرب وشبابنا معاني اعتزاز واعتداء، وثقة. ويربي فيهم ملكة الغلبة والقوة، ثم طبيعة السمو بالغرائز والعواطف انها توحى «بالتغلب على قوى الشر، وادواء الأرض» وليس في هذا قتل لهمة، ولاضياع لحقوق. على ان هناك فرقاً بين العفو عن قدرة، والعفو عن عجز. وبين الوفاء الذي يحيي مفاخر، ويبني أمجاداً، وبين الوفاء الذي يقتل قوميات، ويقبل مذلات. ان الوفاء الأول هو السمو

والفضيلة . اما الأخير فهو الضعة والرذيلة . وما كنت احسب يا أخي ان هذه البدهية غائبة عنك ، بعيدة منك . ؟ وأنا حين صورت شخصية الشيخ العربي الوفي لم اصوره خانعاً ، ذليلا .. كلا وانما صورته قادراً ، قوياً ، ثورياً . ينسى البكاء على وحيده ريثما ينتقم له . وان من يقرأ موقف الشيخ أمام جثمان قتيله ليشهد بأن ما قاله ما هو الا نشيد دموي ، ينضح بالثورة ويتأجج بالنيران . ؟ ولو كنت استشهدت يا أخي بسائر ما استشهدت به لعرفت مدى أبعاد رجل فجع في ولده ؟ . ولكنك تتصيد ما يروقك . وكذا تكون المغالطات ؟

وهناك مغالطة اخرى تدور حول « عفة وإيمان » إذ أن السيد عبد العزيز « لا يستسيغ فتاة دعيت الى بيت عمتها » وأساءت اليها عمتها وابنتها وخدمها فتغضب محمومه مهمومة . وتخرج لتضل الطريق « انه لا يستسيغ هذا ويسوق لنا القاعدة السيكلوجية التي تجعل الانسان يعرف الطريق الذي اعتاده آلياً « ولو كان غارقاً في السرحان » وأنا اقول للأخ : إن الفتاة لم تكن سائرة على قدميها . بل كانت تركب عربة . والخطأ وقع من السائق لا منها ! والأستاذ الفاضل يضيق ذرعاً حتى بمقدمة الكتاب . والجملة التي احنقته ، وآسفته هي : « حسبي ان هذا الكتاب اتجاه جديد في صياغة القصة والمسرحية وارتفاع كبير بمعنى الفن والأدب »

هذه الجملة جعلته يعمل جاهداً على الرجوع بالكتاب الى اواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين . ؟ وجعلته — كذلك — يثور ثوراناً يفقده اعصابه واتزانه فيصرخ في « كل مؤرخ ادبي » ان يحدد زمان الكتاب في التطور كما حدده هو . لا يتزيد ولا ينتقص .

فما الذي خول للسيد الهمام تلك السلطة على كل ناقد ، ومؤرخ ، واديب . ؟ الحق انها سلطة يهنأ عليها الزميل الفاضل على ان صرخة السيد عبد العزيز لم توجه الى مؤرخي الأدب فحسب ، بل وجهت ايضاً الى الكتاب والقصاص « ان يقدموا اعمالهم في شيء من الشجاعة والصدق والاخلاص والويل لهم ثم الويل ان فسقوا عن طاعته ، او خرجوا عن اشارته . انه سيرجعهم حينئذ الى الوراء لا الى ما وراء سبعين عاماً مضت فحسب ، بل الى ما وراء الآلاف من السنوات . قبل ان تعرف قصص او مسرحيات . ؟ .. واحب ان يطمئن السيد الغيور الى انني لم امرق من طاعته . فقد قلت في نفس المقدمة التي احفظته : « وهأنذا اقدمها للقراء تاركاً لهم النظر فيها ، والتعليق عليها . وأنا لا ادعي الكمال .. فالكمال لله وحده . ولا ازعم بلوغ الغاية .. فالطريق ما زال طويلا . « افلا يكفي هذا لأن يجعلني شجاعاً ، وصادقاً ، ومخلصاً . ؟ والا فماذا تبتغي من الكتاب والقصاص ان يفعلوا يا أخي ؟ اتريد من كل مؤلف ان ينحني اجلالا . ويذل خشوعاً أمام بساطة القارئ وسلاطة الناقد . ؟ اتريد منه ان يقدم عمله بعد ان ينال منه الذم والتجريح لترضى عنه ، وتبارك عمله . ؟ أصدقك القول يا أخي ان هذه اصبحت طريقة عتيقة . ! وأنا لا ارى أي شيء يمنع من ان يضع الكاتب ابصار قرائه على النقاط التي يريد ابرازها لهم . والا فما معنى الدقة ؟

والأستاذ الفاضل يعيب المجموعة « بعدم منطقية بعض القصص » ويضرب لذلك الأمثال ولو تروى جيداً ، واطلع على التاريخ كما يجب ، وعرف الفرق بين الحوار « والدردشة لقال بمنطقية القصص ، وواقعيتها ، انه يستكثر مطالب الأسر وحاجياتها في البطالة « ولو عرف ان الموظف تنتظره كل المطالب التي تتعلق بأسرته اول الشهر وخصوصاً حينما يكون له سبعة اولاد مثل صاحبنا « محمود » لما رأى خروجاً عن المنطق ، وافتياتاً على الواقع . وأما قلق الشيخ لمجرد خروج ولده ، فقد كان مألوفاً في مثل ظروف القصة . اذ ان احداثها تقع في الأندلس ابان ان فتحها العرب . وكانت الخلافات تنشب بين الفاتحين وبين الأندلسيين ، لأتفه سبب . وغير ما علة . فلم يكن بعيداً ان يقلق الوالد لتأخر ولده . اضف الى ذلك مكانة الولد الوحيد عند أبيه الشيخ. اضف الى هذا وذاك ان « العرب الذين نشأوا في الصحراء ، وتعود ابناؤهم القنص والصيد « اصابهم ترف في الطبع . وخور في العزيمة بانغماسهم في اللذائذ ، واخلادهم الى الطيبات . والتاريخ يروى ان الذي ضيع الأندلس منهم بعد ثمانمائة عام واكثر أمور يجمعها شيئان : الترف ، والخلاف . ؟؟ .. اما قولك في « من اعباء الدعوات » : ان « المنطقية منعدمة اطلاقاً لأن المسرحية عبارة عن « دردشة » بيد زعماء قريش الغرض منها التسفيه والتحقير من شخصية « محمد » فهذا قول يا أخي ظاهر البطلان وهو — لذلك — اتفه من ان يناقش . على ان قولك في « من أعباء الدعوات » ربما يكون مقبولا اذا ما قيس برأيك في « البطالة » انك لم تعرف عن « محمود » الا

أنه موظف يصيح : انا فصلت ؟ ولا عن القصة الا انها « ليس فيها حادثة على الاطلاق » ولا عني الا انني « لم استطع ان اربط احساس البطل بالآخرين « والا انني » لو شاهدت فيلم « العصر الحديث » لما كتبت قصة البطالة التي اخذت نصيباً كبيراً من الكتاب « ولم تنصح لي بشيء الا بذلك الأمر الجازم القاطع » ان قصة البطالة كان يجب ان تكون ارضيتها ذلك المجتمع الحديث من العمال الخ « هذا ما قلته عن « البطالة» وبخيل الي انك لم تقرأ هذه القصة البتة . بل يخيل الي انك قرأتها وانت غير مستعد للقراءة . ؟ والا فكيف لم تعرف « قصة محمود » « وظروفه » « وملابساته » والجو « والصرا» « والحبكة » والاطار الذي يبرز لنا الهيكل العام » ؟؟ ان الكتاب من ص ٣١ الى ص ٥٢ يتولى بالرد على هذا .. وأما الحوادث فهي تملأ Back Ground فليس في القصة شيء من الفراغ الذي تدعيه . وما معنى هذه الأشياء ان لم تكن حوادث واحداثاً ؟ ما معنى « طرد محمود » « وخواطره المحمومة التي كادت تقتله تحت السيارات » « وموقفه من زوجه » « ومن أولاده » ثم « تركه لبيته » ثم «نزوله في حجرة قذرة » ثم « بيعه لكل ما يملك » ثم « طلبه لعمله » ثم « رؤيته للعمال الذين طردوا بسبب الآلة » ثم « صراعهم امام صاحب العمل « ثم « يأسهم من النقابات » ثم « الجرائم التي ارتكبوها » ثم رؤيته لفوج العاطلين من اصحاب الشهادات » ثم « احتكاكه بأولئك الموظفين الذين فصلتهم الشركة فهاموا يرتكبون الجرائم والشرور » .. ثم .. ثم . الخ الخ الخ » ؟؟ ماذا تسمى هذا الأشياء يا عزيزي الناقد ؟ أتقول عن القصة انها « ليس فيها حادثة على الاطلاق » وما اجمل كلمة « على الإطلاق » هذه ؟ .. واما « انني لم اربط احساس «محمود» بالآخرين » فهذا محض مين وزور . ؟ بل استغفر الله . فأنت معذور لأنك لم تقرأ القصة . ولو كنت قرأتها لعلمت ن ابطال القصة هم هؤلاء « الآخرون » الذين لم نلتفت اليهم . ن القصة – في جوهرها – قصة حوادث لا اشخاص . اسمها قصة « البطالة » افهمت يا سيدي الكبير ؟؟ واعتقد ان هذا يغني عن الرد على حتمية اختيارك لأن تكون الأرضية مجتمع العمال . فانك رأيت ان العمال لم يهملوا فيها وان القصة عالجت البطالة في شتى صورها . البطالة الدائمة ، البطالة العرضية ، البطالة الموسمية والفنية على انها لم تغفل مع ذلك العلاج العلمي القويم . والكتاب معك يقنعك بما تريد (١) وأما حكاية « الفيلم » الذي اعجبك فأذكر انني شاهدته قبل كتابة القصة وبعدها ومن سوء الحظ ان نظرتي لم تتغير نحو مشكلة البطالة كما حدست فراستك . ومن سوء الحظ ايضاً ان ذلك « الفيلم » مازادني الا ايماناً بعملي، وثقة بقصتي . فما رأيك في ذلك كله يا سيد عبد العزيز . ؟؟

بقي شيء مهم وهو « البدهيات » الكثيرة التي تتعلق بالفن القصصي ، وتغيب عن سيادة الناقد . منها (٢) ان الأستاذ عبد العزيز يعيب علي بعنف وقسوة انني رسمت شخصية « محمود » من الخارج « ولو وعي هو معنى « الخارج» هنا لعرف ان هذا من محاسن القصة لا من « عيوبها » . ولأترك الأخ يعرف هذا المعنى بنفسه هو لا اقول مني استغفر الله ولكن من كتاب في النقد الأدبي للقضية . يقول الكتاب : « ويعمد الكاتب في رسم شخصيات قصته الى وسائل مباشرة (الطريقة التحليلية) . وأخرى غير مباشرة(الطريقة التمثيلية) ففي الحالة الأولى يرسم شخصياته من « الخارج » . يشرح عواطفها ، وبواعثها ، وافكارها ، وأحاسيسها ، ويعقب على بعض تصرفاتها ، ويفسر البعض الآخر » ا . ﻫ .

ومما لا شك فيه ان البطالة من النوع الأول الذي يجب رسم الشخصية فيه من « الخارج » . أفهمت معنى « الخارج » الآن . أيها الناقد الفنان ؟؟

ومن البدهيات الكثيرة التي غربت عن سيادة الناقد ، نقده المجموعة بأنها ذات «جمل ، متلاحقة ، موسيقية الايقاع وبأنني » اهتم بترتيب الجمل واناقتها ، واختيار اللفظة الخ الخ واحب ان انبه سيادته الى ان ما عده عيباً في هذا ما هو الا من محاسن الكتاب . فان « لكل كاتب طريقة في اختيار الكلمات ، وترتيب الجمل ، وتنسيق الحوادث (٣) » وان للموسيقى اللفظية هيمنة على النفوس ، واستيلاء على المشاعر . ولست ارسل قولي سدى . بدون استناد الى دليل ، او اعتماد على حجة . يقول : « جورج ديهاميل(٤) » ما نصه : ان

---

(١) انظر ص ٥٥ – ٦٣ من « الوفاء المر »

(٢) فن القصة – الدكتور محمد يوسف نجم . ص ٩٤ .

(٣) نفس المرجع – ص ١٠٩ .

(٤) جورج ديهاميل – دفاع الأدب – ترجمة الدكتور محمد مندور ص : ٣٢٩ – ٣٣٠ .

موسيقى الأسلوب في نظري شرط لازم لسيطرته على النفوس نعم . ان الروائي الحق هو الذي يعرف قبل كل شيء بعضاً من اسرار الحياة . ولكنه ايضاً رجل يلجأ في التعبير عما يعلم الى موسيقى لفظية يستخدمها بطبيعته ، فيتميز بها كأنارة خفية لخصائص نفسه » .. ثم يوجه النصح للناشئين من القصاصين « ليكن اللحن في اول كتبكم رائعاً ، يجب ان تجذبوا القارئ في غير تعثر ولا مشقة وهو لم يعرف بعد شخصياتكم الروائية ، ولا تملكته وقائع قصتكم ، او قوة تصوركم ، او صدق نظركم النفسي .. ليكن في موسيقى الأسلوب ما يسهل له الأخذ في المغامرة ، اجيدوا الغناء كي تأسروا تلك النفوس الشاردة التي تريدون ان تستولوا عليها » .

ارأيت يا أخي ان ما عددته عيوباً لم يكن الا من محاسن الكتاب ؟

هذا واني لأنصح للسيد عبد العزيز ان يترود بكتب النقد الأدبي اولا وان يتريث في احكامه على الأعمال ، وان يعلم ان النقد امر فوق « المتناقضات » و « المغالطات » وفوق « سوق الكلام » و « حشد الأحكام » . وله مني على نقده شكري والسلام .

القاهرة **محمد محمد لقمه**

الشباب العربي

عزيزي السيد عبد الله يونس .

احب ان اناقشك حول ما كتبته في عدد تشرين من الآداب عن قصة صباح محي الدين وفيه كثير من التجني على الكاتب فيما اعتقد .

١ – القضية ليست قضية « خلو ذلك الانسان العربي » الذاهب الى اوربا « من اي جذور انسانية سابقة » وانما القضية قضية الشاب العربي الذي ينشأ على تربية اساسها الكبت والحرمان وانعدام الثقافة فيما يتعلق بالناحية الجنسية ، وحقيقة العلاقة الكائنة بين الرجل والمرأة .. هذا الشاب الذي يتقذف به ، وبهذا الرصيد السلبي لمجابهة حياة غريبة عنه ، مضطر لأن يتفاعل معها لأنه انسان اولا ، وينحرف نحو الشؤون الجنسية كرد فعل لما يلقاه في حياته اليومية في الشرق الذي غادره ، هذا الشرق الذي ينبه هذه الغريزة بشكل قوى فيما تقذفه المطابع للمراهقين من شبابنا من ادب انحلالي وفيما تقدم له السينما من صنوف الافلام التي يغفو عنها مقص الرقابة دونما سبب ظاهر يبرر ذلك .. فهو بذلك – اي الشرق ينير في الشباب هذه الغريزة بشكل قوي ويحول دون اشباعها بشكل اقوى . ولا اقول باشباعها هكذا دون اي تدخل من الهيئة الاجتماعية بل أقول انه يحرمه – في كثير من الأوقات – من اشباعها على الاساس الاخلاقي المتعارف عليه : تحول دون ذلك عوائق وظروف معاشية كثيرة انت تعرفها كشاب شرقي عربي .

٢ – والأديب عندما يتعرض لمثل هذه المشاكل انما يسلك الطريق الصحيح المرسوم به كعضو يشارك في بناء مجتمع عربي أمثل : فهو يشير صراحة الى الداء . يسلط عليه الانوار ، وعلى غيره من المصلحين الاجتماعيين ان يبحثوا عن العلة والداء .

هذا ان كنت تعترف معي ان التربية الخاطئة القائمة على الكبت هي موجودة في مجتمعنا الحاضر وهي من معايبه ..

٣ – أنا اجيبك على تساؤلك : « الى متى يجب ان يظل هذه الجوع الجنسي قدراً مكتوباً على جبهة هذا العربي الذي يغادر بلاده الى باريس ؟ » .. سيظل ذلك قدراً مكتوباً الى ان يبرزه بشكل قوي – كتابنا الذين ننكر عليهم هذا بدافع انكار الواقع والتعامي عن الحقيقة فاذا ما ابرزه هؤلاء الكتاب جاء دور المصلحين ليعملوا على محو هذا « القدر المكتوب » .

٤ – وصباح محي الدين كفنان واديب لا تتعدى مهمته ان يرسم واقعاً انت تنكره عليه . واقع عاناه بطله كتجربة ذاتية ، ويعانيه الشرقي في باريس ! .. لماذا نحاول ان نهرب من الحقيقة ان كانت صارخة ! ؟ ..

٥ – وليست المشكلة – مشكلة البطل – لا تتعدى العمل لاقتناص امرأة – كما تقول بل هي غير ذلك : العمل لاشباع رغبة مكبوتة . ان الغريزة الجنسية قوية جداً وعلم النفس يقرر بأن الغرائز جميعها لا تقاوم ويجب أن تروى ، والمفروض في المجتمع ان يتدخل في تنظيم اروائها كي تشبع عند كل فرد في هذا المجتمع .. ولكن مجتمعنا يعقدها بدلا من ان يصعدها بطريقة الخاطئة ويحصل رد الفعل عندما يطلق هذا الفرد الجائع من بلده الى بلد يتمكن فيه من اشباع هذه الرغبة ولو لم يكن ذلك على اساس خلقي اجتماعي .

٦ – ثم يجب الا نشمئز من (هذا المستوى الغير لائق) مادام واقعاً ملموساً وما دامت الاشارة اليه تؤدي بدورها الى علاجه .. الطبيب يا صديقي لا يشمئز من دمل في جسم مريض بل ينظر اليه كشيء ضار يجب ازالته ! .. وان كنا رأينا في مثل هذه الوقائع مستوى غير نظيف » فيجب ان نهيأ نحن وغيرنا لاجتثاب اصول هذا (المستوى الغير لائق) ليحل محله مستوى لائق لشباب امتنا العربية المتطلعة الى مستوى أفضل .

٧ – وما مثل صباح محي الدين وغيره ممن كتبوا في هذا المجال الا كمثل رائد اشار بجرأة الى عيب في مجتمعنا وقال : « هذا عيب . أصلحوه » .. افنقول لهم لستم على حق . لماذا فضحتمونا ؟ ! واشرتم الى عيبنا ؟! ..

أخي . نحن في سبيل بناء مجتمع عربي على قواعد متينة راسخة ، فمن الواجب ان نعرف كل ضعف يمكن ان يتهدد هذا البناء في يومه ! . وفي غده ! ..

ولك مني تحية .

حلب **محمد شحاده كرزون**

